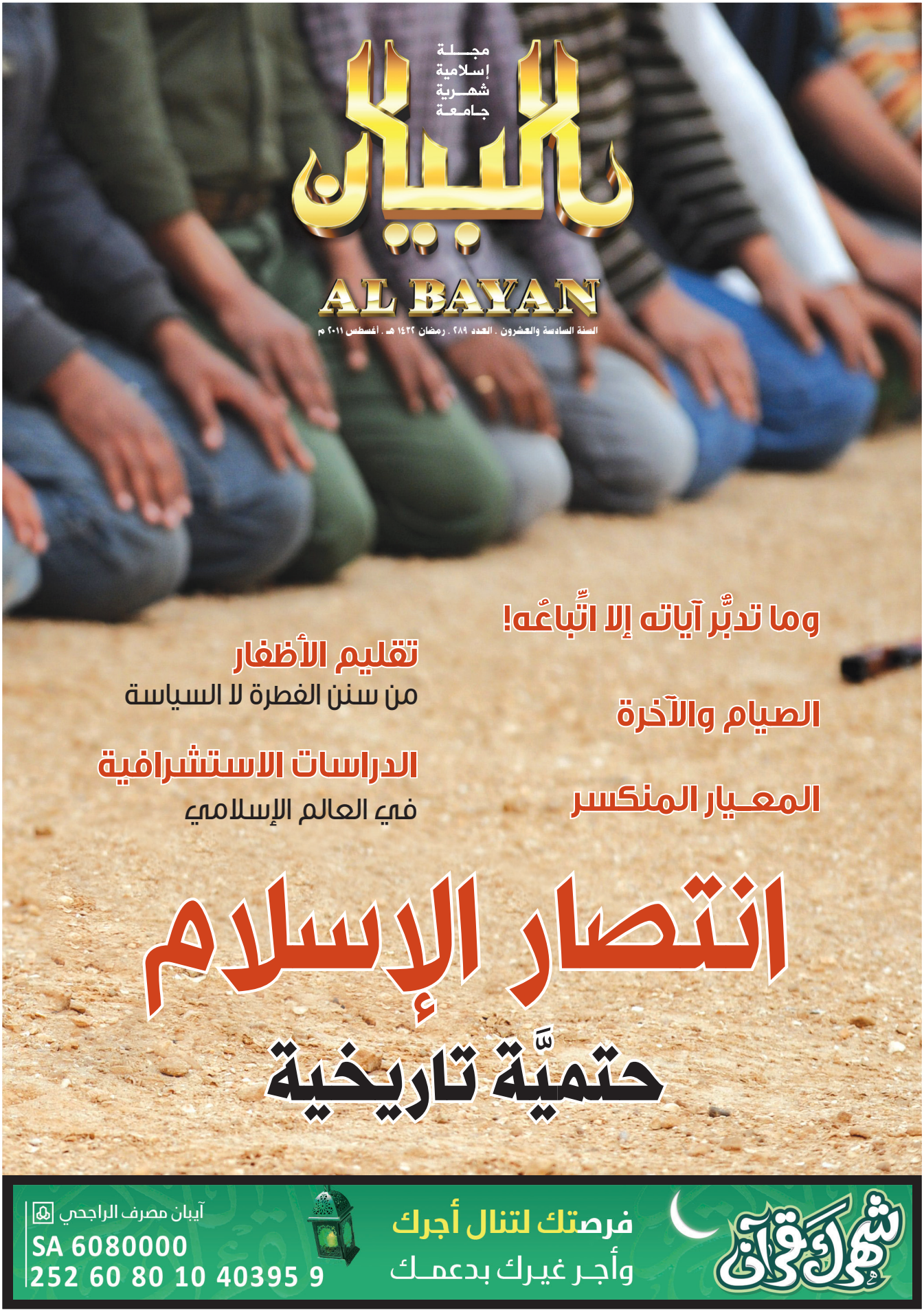
مجلة
إسلامية
شهرية
جامعة
البيان
AL BAYAN
السنة السادسة والعشرون . العدد ٢٨٩ . رمضان ١٤٢٢ هـ . أغسطس ٢٠١١ م
وما تدبَّر آياته إلا اتِّباعُه!
تقليم الأظفار
من سنن الفطرة لا السياسة
الصيام والآخرة
الدراسات الاستشرافية
في العالم الإسلامي
المعيار المنكسر
انتصار الإسلام
حتميَّة تاريخية
شهر قرآن
فرصتك لتنال أجرك
وأجر غيرك بدعمك
آيبان مصرف الراجحي
SA 6080000
252 60 80 10 40395 9

مستشفى أبها الخاص
Abha Private Hospital

http://www

الآن...
موقعنا الإلكتروني
في ثوبه الجديد

www.aph.med.sa

- ☑ الحجز
- ☑ الأطباء
- ☑ التخصصات الطبية
- ☑ الاتصال ....

كلها الآن على موقعنا الإلكتروني

مركز الإحسان الخيري

رمضان محطة إيمانية
نتزود منها للآخرة

عُرُوض الخَير
فِي شَهرِ الخَير

مؤونة رمضان
تفطير الصائمين
سقيا التراويح
كسوة العيد
احتياجاتي
هدية العيد

رمضان .. في كل يومٍ لك صدقة

٢١٢٦٠٨٠١٠١٧٧٧٠١

وقف بيرحاء

صدقة جارية لك ولوالديك

قيمة السهم ٢٥٠ ريالاً

يمكنكم المشاركة بأي مبلغ
القليل عند الله كثير

للمساهمة حساب
٢١٢٦٠٨٠١٠١٨٠٠٢٨

ريع الوقف يصرف على مشاريع وبرامج المركز

طريقك للإحسان

www.Ehsan.org.sa

السعودية - القصيم - بريدة - حي الرفيعة
ت ٠٦٣٢٥٥٩٥٥ - ف ٠٦٣٢٥٥٧٥٥ - ج ٠٥٥٣٢٥٥٧٥٥
ص.ب ٢٤٠٠٠ بريدة ٥١٣١١
الصدقة ٧/٢٦ الزكاة ٩/٢٥ الراجحي فرع ٢١٢

مركز الإحسان الخيري
بإشراف جمعية البر الخيرية في بريدة

جمعية آباء لرعاية الأيتام

لجنة المشاريع الموسمية

مشروع السلة الغذائية الرمضانية المميزة

للعام الثالث ١٤٣٢هـ

أكثر من ١٣٠٠ أسرة بانتظار مساهمتك

٥٥٠ ريال

للسلة الواحدة

ساهم معنا...

في ملء هذه السلة لتسعد بها أسرة

للمساهمة

٣٤٧٦٠٨٠١٠٨٠٠٠٠٣

٩٩٩٣٠٠٠٠١٠٢٠٠٠٨

٠٠٤٢١٨٤٢٠٠٠٠٠١٠٧

ساهم ولو بجزء من المبلغ مع إشعارنا بذلك برسالة إلى جوال ٠٥٦٦٢٢٠٤٦٠

أبها - بداية طريق الملك فهد (أبها - الخميس) هاتف : ٠٧٢٣٠٣٠٠٠

خميس مشيط - مقابل فندق مركيور هاتف : ٠٧٢٣٥٥٥٥٠

مكتب مرية - مكتب الربوعة- مكتب سبت العلاية

مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة

خدمة العملاء

السعودية

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
الهاتف المجاني: ٩٢٠٠٠٤٥٤٨
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
خدمة العملاء
sub@albayan.co.uk
التسويق
sales@albayan.co.uk
العلاقات العامة
pr@albayan.co.uk

الموزعون

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩
هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع:
هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
السودان: الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.
قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ – ٤٥٥٧٨١١ – ٤٥٥٧٨١٢ – فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥
تونس: الشركة التونسية للصحافة، ت ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٠٠٤

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصغير
فهد بن صالح العجلان
د. أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير
إسلام السيد علي

الإخراج الفني
محمد سالم لرضي

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk

الحسابات

السعودية: مصرف الراجحي
آي بان: SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

الاشتراكات

السعودية ودول الخليج	١٢٠	ريال سعودي
بريطانيا وايرلندا	٤٧	يورو
أوروبا	٥٥	يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥	يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥	يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠	يورو

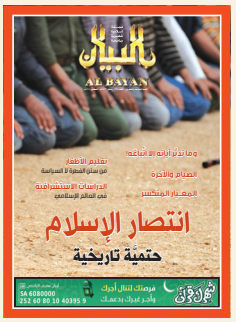

الافتتاحية

٦ **انتصار الإسلام حتميَّة تاريخية**
التحرير

الشريعة والعقيدة

١٠ **وما تدبُّر آياته إلا اتِّباعُه!**
عبد اللطيف بن عبد الله التويجري

الغرب: قراءة عقدية

١٦ **تحريف التوراة... متى وكيف؟**
فيصل بن علي الكاملي

قضايا دعوية

١٨ **إصلاح الإسلاميين بين الوجود الذهني والخارجي**
بدر بن سعيد الغامدي
٢٠ **المجتمع بين قدسية المنهج وقدسية الذات**
عبد القادر وحيد

قضايا تربوية

٢٢ **الصيام والآخرة** د. عبد العزيز آل عبد اللطيف
٢٤ **لذة العبادة** عبده قايد أحمد الذريبي

الإسلام لعصرنا

٢٨ **نظرات نقدية في أُسس الأيديولوجية اللبرالية الغربية**
أ. د. جعفر شيخ إدريس

معركة النص

٣٠ **المعيار المنكسر** فهد بن صالح العجلان

نص شعري

٣٤ **مناجاة** د. حيدر البدراني

عاجل إلى الإسلاميين

٣٦ **تقليم الأظفار من سنن الفطرة لا السياسة**
أحمد فهمي

حوار

٣٨ **حوار مع المفكر الإسلامي (د. طارق عبد الحليم)**
أجرى الحوار: أحمد حسين الشيمي

المسلمون والعالم

٤٤ نداء من الناتو إلى العرب: ثورة... قِفْ
أحمد سعد

٤٨ الحرب الأمريكية على (الإرهاب) خسائر بدون جدوى
د. أكرم عبد الرزاق المشهداني

٥٠ انفصال جنوب السودان نتيجة؛ فما أسبابه؟
أسماء عبد الرازق

٥٤ الفرقاء إن يريدوا خيراً يوفق الله بينهم
د. مصطفى يوسف اللداوي

٥٦ الدولة الصهيونية... من النبذ إلى الدعم!
كريم خشبة

٦٢ مرصد الأحداث — جلال سعد الشايب

خاطرة أدبية

٦٨ الابتلاء — يس عبد الوهاب نبيه مسعد

عين على العدو

٧٠ الفوائد الصهيونية من إقامة دولة «جنوب السودان»
د. عدنان أبو عامر

إعلام

٧٢ أسطول الحرية... الإغراق قبل الانطلاق
باسل النيرب

في دائرة الضوء

٧٤ الدراسات الاستشرافية في العالم الإسلامي
أحمد بن رشدي طومان

فكرية

٨٠ الثقافة الجدالية
د. محمد الفقيه الغامدي

تاريخية

٨٤ رمضان شهر الانتصارات — علي عفيفي علي غازي

قراءة

٨٨ عدوانية الغرب بين غريزة سفك الدماء وتصدير الكراهية!
عرض: محمد عبد الشافي القُوصي

منتدى القراء

٩٢ عزلة وانفراد، أم تميز وتفرد؟ — رقية القضاة

الورقة الأخيرة

٩٤ روح العلم — أحمد بن عبد الرحمن الصويان

[كلمة صغيرة]

إلى متى سنبقى صامتين؟

حروبٌ قَبَلِيَّةٌ طاحنةٌ أسقطت الجميع في بحار من الدماء، ومستنقعات من الفوضى!

مناكفاتٌ حزبيةٌ وأهواءٌ شخصيةٌ تستهين بكرامة الإنسان، وتُشرِّد العجزة والنساء والضعفاء!

نقصٌ شديدٌ في المياه النقية والمواد الغذائية!

غيابٌ كبيرٌ للأدوية والخدمات الطبية!

الأطفال والعجزة يموتون جوعاً، والنساء - الحوامل خصوصاً - يقاسين أشد أنواع البلاء والتعب!

تدميرٌ كاملٌ للبنية التحتية، وتعطيلٌ لكل أبواب التعليم والتنمية والحياة المستقرة!

تواطؤٌ دوليٌّ، ومكايداتٌ مستمرةٌ من دول الجوار، وإعراضٌ كاملٌ من دول العالم الإسلامي!

عشرات المنظمات التنصيرية التي أجلبت بخيلها ورجلها وجدت أرضاً خصبة لإرسالياتها الكنيسة!

وأخيراً جفافٌ شديدٌ غير مسبوق منذ ستين سنة يلقي بظلاله القاسية على معظم أنحاء البلاد، ويهجِّر الأُسَر الضعيفة، ويهلك الحرث والنسل!

هذا جزءٌ يسيرٌ جداً من مشهد المعاناة الصومالية التي امتدت لأكثر من عشرين سنة، شابَ فيها الصغير، وهَرِم فيها الكبير، ومع ذلك فإن آفاق الخروج من الأزمة تمر بانسداد تام، والفتن المتتابعة جعلت الحليمَ حيراناً!

لا ندَّعي أننا نملك حلاً واقعياً للخروج من هذه الأزمة الخانقة؛ لكننا نؤمن أن الحل لا يأتي من الخارج، بل يجب أن يبدأ من عقلاء الصومال أنفسهم: من العلماء والدعاة وشيوخ القبائل وأهل الرأي؛ فهل يحتكمون لنداء الشرع وصوت العقل؟

قال الله - تعالى -: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فلا تزال سنن الله الكونية القدرية تمضي بحكم الله وحكمته في حياة البشر لإخضاع وإقناع الذين لم يسلموا أو لم يستكملوا التسليم لأحكامه البشرية، والأمر كما قال الله - عز وجل -: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [**فصلت**: ٥٣]. قال الشيخ السعدي في معناها ما مؤداه: إن قلتم وشككتم بصحة وحقيقة ما جاء به القرآن، فسيقيم الله لكم ويريكم من آياته في الآفاق والأنفس بياناً لا يقبل الشك أنه هذا القرآن حق، وما اشتمل عليه حق[1].

ولقد رأينا ورأى العالم في العقود والسنوات الأخيرة، بل الشهور الأخيرة من آيات الله في الأنفس والآفاق ما يُخضِع كلَّ القلوب لو كانت فيها حياة، ويقنع كل العقول لو كانت فيها بصيرة؛ فكم من أفكار تخالف دين الله صالت وجالت، وجادل العقلاء والحكماء أربابَها في بطلانها، فلم يستجيبوا أو يرجعوا، حتى كشفت حركة التاريخ عن فسادها وزيفها وهشاشة قواعدها وأصولها؟ وكم من قوىً علت في الأرض بالبغي والباطل تأذَّن الله بسقوطها وهلاكها بعد أن تجبَّر أهلها واختالوا بقوَّتهم وقالوا: لن تَبِيد هذه أبداً، لكنهم سرعان ما خرجوا من دائرة العلو، بل من ذاكرة التاريخ بعد أن ظن الناس أن لن يخرجوا ﴿ **وَظَنُّوا أَنَّهُم**

(١) رواه الهيثمي بمجمع الزوائد: ١٧/٦، ورجاله رجال الصحيح.

مّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مّنَ اللّهِ فَأَتَاهُمُ اللّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ [الحشر: ٢]. إن انتصار الحق واندحار الباطل سُنة قدرية وحقيقة كونية وحتمية تاريخية. وقد درج المفكرون الغربيون على تسمية قوانين سير التاريخ بـ (فلسفة التاريخ) أو (حتمية التاريخ)، ويقصدون بذلك: أن حركته على المستوى الإنساني (الفردي أو الجماعي) تخضع للتسلسل المنطقي للأسباب التي يؤدي بعضها إلى بعض، وَفْقَ قوانين محددة سلفاً، يقولون هم: إنها قوانين الطبيعية، ونقول نحن: إنها سنن الله الكونية.

إنهم يقولون: إن لذلك التاريخ الإنساني فلسفة، يشير إليها أنه ينقسم إلى دورات حضارية مستقلة؛ فهناك - مثلاً - دورة للتاريخ الفرعوني والقبطي في زمان موسى عليه السلام، ودورة للتاريخ اليهودي قبل بعث عيسى عليه السلام، ودورة للتاريخ النصراني بعد بعثته عليه السلام، ثم دورة للتاريخ الإسلامي بعد بعثة محمد ﷺ، ولكل دورة فلسفتها وحتمياتها؛ فالأمم الوثنية فلسفتها التاريخية هي مراقبة مسيرتها في الوفاء للطقوس الوثنية، وعدم السماح بانقراض أتباعها أو اندثار آثارها، وفلسفة التاريخ عند اليهود ترصد مسيرة ما يسمى بـ (الشعب المختار/ الأول) منذ عهد التيه، وحتى عهود التمكين ثم التشرد والضعف، تطلعاً إلى عصر السيادة والملك العالمي تحت قيادة مسيح اليهود المنتظر، وفلسفة التاريخ عند النصارى تنظر إلى تطور مسيرة (الشعب المختار / الثاني) وطريقة انتشاره في الأرض، وتأثيره في المسار الإنساني؛ حتى يصل به التاريخ إلى (عهد الخلاص) بعد عودة مسيح النصارى المنتظر الذي يقيم لأتباعه دولة القطب الأوحد والأخير!

أما المسلمون، فإن حتمية التاريخ عندهم تنتظم تاريخ كل أنصار الحق في كل زمان في مواجهة جنود الباطل في كل زمان ومكان، وهي تختلف عن كل فلسفات التاريخ عند الأمم بأنها ترقب انتصار أهل الحق للحق وبالحق، لا انتصار أهل الدنيا للدنيا، وعلوَّهم في الأرض واستكبارَهم على الناس.

وفلسفة التاريخ هذه (أو حتميته) هي ما يُطلِق عليه القرآن وصف (سنة الله)؛ أي طريقته وعادته - سبحانه - في إجراء تصاريف الزمان ومقاديره، على مقتضى الحكمة الإلهية، كما قال - سبحانه -: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال: ﴿ سُنَّةَ اللّهِ فِي الّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال: ﴿ سُنَّةَ اللّهِ فِي الّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً ﴾. [الأحزاب: ٦٢]

إن انتصار الإسلام - وهو دين الرسل جميعاً - سنة إلهية، وبِلُغة القوم: (حتمية تاريخية) ولا مشاحة في الاصطلاح؛ فسنن الله تحكم التاريخ، وتشكِّل حتمياته، مهما بدا لقصار النظر أنها تسير بخلاف ما يقوله الله وما يريده. فقد انتصر الرسل جميعاً على أعدائهم، حتى جاء خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ ففتح الله له فتحاً مبيناً ونصره نصراً عظيماً على صنوف الأعداء من مشركين وكتابيين ومنافقين، وسجل القرآن الكريم هذه السنة الإلهية و (الحتمية التاريخية) فقال - سبحانه -: ﴿ هُوَ الّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، ولم يمت رسول الله ﷺ حتى حقق الله له النصر على كل من ناوأه، وخُتِمَت حياته ﷺ ببشارة النصر الذي اقترن بفتح القلوب بالتوبة قبل أن يقترن بفتح البلدان بالغزو، فقال - سبحانه -: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ١ - ٣].

ومثلما وعد الله رسوله بالنصر، وعد أتباعه به ما استقاموا على دينه وسنته، فقال - سبحانه -: ﴿ وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥].

ولقد شهدتْ أحداث التاريخ الإسلامي في عهوده المتوالية، على أن هذه السُّنة الإلهية وتلك الحتمية التاريخية في انتصار الإسلام، هي قدر هذه الأمة على قدر استجابتها واستقامتها؛ فمنذ أن كسر الله بهذه الأمة مُلْك كسرى وقَصَر نفوذ قيصر، توالت انتصارات الأمة في جنبات الأرض الأربع، فلم يستطع التتار قهرها، ولم يتمكن الصليبيون من إخضاعها، وكذلك قاومت العداة من الأوروبيين في العصر الحديث فلم تركع لهم، ولم تخضع لمشاريعهم الاستعمارية التي استهدفت مسخ هويتهم وتبديل شريعتهم، وقد كان آخر عهد القوة الفرنسية العالمية بالمجد بعد اجتياحها لمصر والشام في ما عُرِف بالحملة الفرنسية التي أعقبها سقوط تلك الإمبراطورية بعد عودة نابليون إلى بلاده لمواجهة المصير المحتوم.

وكذلك انتهت عهود القوة العظمى لبريطانيا بعدما قادت ضد مصر ما عُرِف بـ (العدوان الثلاثي) مع فرنسا و (إسرائيل) فبعدها أفل نجم قوة (بريطانيا العظمى) لترثها أمريكا.

وفي عصرنا الراهن - وعلى الرغم من الوهن الذي أصاب الجسد الإسلامي - فإن هذه الأمة بما بقي فيها من الخيرية أحرزت بالإسلام انتصارات كبرى، لم يمنع من إبرازها أوالمفاخرة بها إلا أن أهلها لم يكونوا إلا عصائب متفرقة في الآفاق من المطاردين والمستضعفين، الذين لم يحتف أو يحتفل بهم أحد .

- فمن كان يظن أن الكيان الشيوعي الضخم الذي أراد اكتساح العالم الإسلامي وغيره نظرياً بالماركسية بعد اجتياحه عسكرياً بالجحافل الروسية سيتوقف سيره، بل سينتهي تاريخه على أيادي المسلمين المستضعفين بعد اجتياح الروس لأفغانستان عام ١٩٨٠م، لتكون نهاية اتحاد الإلحاد على أيديهم، بعد عقد واحد من ذلك الغزو الذي عدَّ الخبراءُ انتصار المجاهدين فيه أحدَ أبرز أسباب تفكُّك ذلك الاتحاد، بل انهيار المعسكر الشيوعي بأكمله!

- ومن كان يصدق أن ذلك الاندحار العسكري الميداني سبقه أو صاحبه انهيار فكري نظري تمثل في سقوط الفكرة الشيوعية الماركسية التي طالما أراد الروس فرضها على بلاد الشرق عامة وبلاد المسلمين خاصة، فكان الإسلام أول من قهر كيانها، فأسقط بذلك فكرتها؟

- ثم من كان يتصور أن تكون أُولَى هزائم القطب الأول والأوحد في العالم بعد سقوط الشيوعية - وهو الولايات المتحدة الأمريكية - ستجيء على أيدي أتباع محمد ﷺ من المسلمين المستضعفين في كلٍّ من أفغانستان والعراق؟ حيث تتوالى تصريحات الخبراء العسكريين والسياسيين الغربيين بأن ما حصل لأمريكا في أفغانستان وفي العراق لم يسقط هيبة جيوشها فحسب، بل أسقط أحلامها الإمبراطورية في السيادة على العالم لقرن جديد قادم، كما خطط لذلك أصحاب مشروع (القرن الأمريكي)؛ حيث كان ما حصل للجيش الأمريكي على أراضي المسلمين بداية العدِّ التنازلي لانتهاء عصر القوة الأمريكية، الذي بدأ يتطور إلى تراجع أمريكي عام لن يستطع (أوباما) ولا من يأتي بعده علاج مشكلاته ولا حل معضلاته.

- ومن كان يتخيل أنَّ تَضَعْضُعُ القوة المادية لأمريكا، سيتبعه تزلزُلٌ في الجوانب الفكرية النظرية للمنظومة الفكرية الغربية كلها، لا الأمريكية فحسب؟ وذلك بظهور عوار النظرية الرأسمالية في المجال الاقتصادي؛ حيث أظهرت أزمات السنوات الأخيرة الاقتصادية أن المذهب الرأسمالي في الاقتصاد قد قاد أمريكا والعالم من ورائها إلى كوارث اقتصادية برزت عام ٢٠٠٦م في صورة أزمة مالية عالمية، لم تكد أمريكا تتعافى منها حتى أوشكت على الدخول في أشد منها، بسبب الأزمة الجديدة الطاحنة (أزمة الديون) التي قد تهدد الاقتصاد العالمي الرأسمالي القائم على الربا، بأزمات لا يعلم إلا الله إلى أي شيء ستنتهي.

لقد كان سقوط النظرية الرأسمالية بعد النظرية الشيوعية في المجال الاقتصادي انتصاراً منهجياً للإسلام الذي طالما نظَّم منظِّروه المناظرات في نقد الفكرتين العَلمانيتين، وأظهروا مناقضتهما للمصلحة البشرية والفطرة السوية. وقد بدأ العالم اليوم في البحث عن نظام عالمي اقتصادي جديد يجنِّبه الأزمات والكوارث التي جرَّها عليه الشيوعيون والرأسماليون، ولو كان لأهل الإسلام كيان ممكن يتحدث باسمه لما ترددت الشعوب في قبول النظام الإسلامي الاقتصادي الذي كثر الحديث مؤخراً حوله في المنتديات الاقتصادية العالمية بعد إفلاس النظرية الرأسمالية.

الثورات العربية:

انتصارات جديدة في جولات جديدة:

كشفت الثورات العربية الأخيرة عن أن المستقبل للإسلام في أراضيه، وأبانت أنه لا بقاء في أرض الإسلام لنظام لا يحترم الإسلامَ وكرامةَ أهل الإسلام، وأظهرت أن الأمة قد أعادت، أو هي في سبيل استعادة اكتشاف ذاتها بالعودة إلى هويتها وعقيدتها، ولا شك أن الإسلام بذلك يسجل انتصارات جديدة تتوالى مظاهرها:

- لقد انتصر الإسلام عندما انتفضت شعوبه في عدد من البلدان وليس لها معقل تخرج منه وتفيء إليه إلا المساجد التي عادت لها مكانتها بعد طول غياب.
- وانتصر الإسلام عندما اتخذت الشعوب المنتفضة من يوم الجمعة موعداً تتقرر فيه وتتكرر وقفات المطالبات السلمية

بالعدالة والحرية في ظل الحياة الإسلامية، بعد اصطفاف المنتفضين جميعاً يصلون؛ حتى أولئك الذين لم يكونوا يصلون!

• وانتصر الإسلام عندما تساقط الطغاة، واحداً تلو الآخر، من الناحية الواقعية أو الحكمية؛ فحتى الذين لا يزالون يقاومون السقوط من الطغاة بأشد الأساليب سقوطاً، قد سقطوا من أعين شعوبهم لانكشاف خيانتهم لدنيا الناس ودينهم.

• وانتصر الإسلام عندما أذن الله للذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، أن تنفتح أمامهم سبل العودة للديار بعد طول انتظار، ويُطرَد أعداؤهم ويخرجون منها مدحورين أو يدخلون السجون صاغرين، وتتبدل الأحوال فيأمن الخائفون، ويخاف الآمنون، ويقوى المستضعفون ويضعف المتجبرون.

• وانتصر الإسلام عندما فتحت بل كُسرَت الأبواب المؤصدة أمام الدعوة والدعاة في كثير من بلدان الشعوب المنتفضة، وصدع الدعاة (آمنين) بكلمة الحق والتوحيد، وعادت منابر المساجد وأعمدة الصحف وشاشات القنوات متاحه مفتوحة على مصاريعها أمام كل صادع بالحق، ناطق بالصدق.

• وانتصر الإسلام عندما انكشف عُوار الطابور الخامس من المنافقين الخائنين للدين، الذين كانوا يختالون ويحتالون فيحتلون مناصبَ (الأمن) فيحيلونه خوفاً وإرهاباً، ومنابرَ الإعلام فيجعلونها إفساداً وخراباً، وكراسيَّ الفكر والثقافة فيشيعون منها الانحرافات والضلالات.

• وانتصر الإسلام عندما رأى المستضعفون أعداءهم الطغاة في بعض البلدان، يحلُّون مكانهم في غيابات السجون وأقبية الزنازين، مع فارق أن المظلومين كان الله معهم، أما الظالمون فليس معهم أحد إلا من كانوا لهم حُراساً وحجَّاباً وخدماً من عسكر الطغيان.

• وانتصر الإسلام عندما عادت قضية تحكيم الشريعة إلى الصدارة، وعندما ظهرت الحقيقة المغيَّبة التي طالما أخفاها العلمانيون في الداخل، وتواطأ على تزييفها وتزويرها أعداء الإسلام في الخارج، وهي أن الشعوب المسلمة لا ترضى بغير الله رباً والإسلام ديناً ومحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وشريعة الإسلام أصل في التشريع تنص عليه الدساتير.

• وانتصر الإسلام عندما تبيَّن للعالم أن الجيل الجديد من شباب الأمة الذي خطط أولياء الشيطان لشيطنته ومسخ عقيدته، ومسح شخصيته، لم يُمسَخ ولم تُمسَح هويته، ولم تصادَر رجولته، على الرغم من إفساد الشياطين، فكان طليعة الثائرين لكرامة الأمة والمطالبين باستعادة عزتها، صامدين في ميادين التحدي الأرقى والأنقى على مستوى الثورات في العالم.

• وانتصر الإسلام عندما ظهرت ثمرة جهود أجيال من الدعاة والعلماء والمفكرين من كافة الجماعات في توعية عموم الأمة، فصارت غالبية الناس تميِّز بين الغث والسمين من القول، وبين العدو والصديق من الناس، وبين النافع والضار من الأفكار والنظريات والنشاطات.

• وانتصر الإسلام عندما نتج عن كل ما سبق أن الأمة لم تعد عندها (قابلية للاستعمار)، ولا استعداد للخنوع لعدو (خارجي أو داخلي) ولا قبول للخداع تحت الشعارات البراقة المستوردة من الخارج أو المصنعة في الداخل؛ فالأمناء فقط هم أهل الثقة، وأهل الخبرة هم أهل القبول.

• وانتصر الإسلام عندما أدرك العوام والخواص من الناس أن النصر من عند الله وحدَه، مهما ضعف أصحاب الحق وتجبَّر أهل الباطل، وقد ظهر لهم ذلك جلياً، مما بدا من آثار إصرار الثوار وهم في غالبيتهم عزلٌ مسالمون، ومع ذلك أطاحوا، ولا يزالون يطيحون بالعروش دون جحافلَ أو جيوش.

وظهرت للناس آية من آيات الله؛ حيث ألقى الرعب والخذلان في قلوب المتكبرين على الرغم من كثرة عددهم وعدتهم، وثبَّت المستضعفين العزل وقوَّاهم وأيدهم على الرغم من ضعفهم وقلة إماكانتهم.

إن انتصارات الماضي والحاضر، موصولة بانتصارات المستقبل التي قال النبي ﷺ عنها: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعزِّ عزيز أو ذلِّ ذليل؛ عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»[1]. وهكذا يثبت الزمان ما نطق به القرآن؛ فسبحان من صَدَقَ وعده، ونَصَرَ عبده وهزم الأحزاب وحده: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾ [**القصص**: ٥ – ٦].

(١) السلسلة الصحيحة، للشيخ ناصر الدين الألباني، رحمه الله.

وما تدبُّر آياته إلا اتِّباعُه!

عبداللطيف بن عبدالله التويجري
A44t@Hotmail.com

حين تلقَّى السلف الصالح القرآنَ العظيمَ بعقيدة راسخة مملوءة بالإيمان الجازم أن هذا الكتاب العظيم هو خطاب الله – عز وجل – لهم في هذه الأرض، كانت لهم عناية فائقة به (حفظاً وفهماً وعملاً)؛ يقتدون بالأسوة الحسنة نبينا محمد ﷺ الذي كان خُلُقه القرآن[1].

وإن المتأمل لتدبُّر هؤلاء السلف للقرآن ليلحظ معنى جميلاً يُبرِز المنهجية العملية لتدبُّرهم ويدور حول لازم هذا التدبُّر وأثره، وهو: الاتعاظ والعمل بما في القرآن.

ولذلك ظهر هذا المعنى في مقولات كثير من العلماء في أثناء حديثهم عن تدبر القرآن الكريم؛ حيث بيَّنوا هذا المعنى وأكدوا عليه. يقول: سيد التابعين الحسن البصري: (وما تدبُّر آياته إلا اتِّباعُه)[2].

وهذا شيخ المفسرين الإمام الطبري يبين أن التدبر هو تدبُّر حجج الله التي في القرآن، وما شرعه فيه من الشرائع؛ للاتعاظ والعمل به[3].

والإمام ابن القيم ينقل عن بعض السلف قوله: (نزل القرآن ليُعمَل به فاتَّخَذوا تلاوته عملاً؛ ولهذا كان أهل القرآن هم العاملون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم)[4].

والشيخ محمد الأمين الشنقيطي يبين هذا المعنى أيضاً بقوله: (تدبُّر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفُّحها، وتفهُّمها، وإدراك معانيها، والعمل بها)[5].

فهذا التدبر – كما توحي عبارات هؤلاء العلماء – له لوازم من أهمها: عمل القلب والجوارح بما يتدبره الإنسان، وإلا لم يعد تدبراً سليماً؛ ولذا نجد أن الله – عزوجل – وبخ الكافرين والمنافقين في قوله – تعالى –: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله – تعالى –: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] لأنهم لم يتعظوا ولم يعملوا، وهذا من دقة البلاغة اللفظية للقرآن حيث جاءت بهذا اللفظ (التدبر) في سياق خطاب توبيخي للكفار والمنافقين، ولم تأت بمصطلحات أخرى مشابهة مثل: النظر أو الفهم أو التفسير ونحوها؛ لأن هذه الأمور قد يفعلها غير الملتزم بأحكام الإسلام؛ فبعضهم قد ينظر في القرآن وقد يفهم وقد يفسر[6]؛ ولكنه لم يفعل ثمرة إنزال القرآن وأسَّه، وهو: الاتعاظ والعمل.

فالعمل إذن شرط أساس للتدبر؛ لأنه لازم حصول التدبر، وهذا هو الذي يميز التدبر عن غيره من المصطلحات القرآنية الأخرى المشابهة له، مثل: النظر أو التفكير أو الفهم... صحيح أنها قد تتداخل مع التدبر: إما بمعناه اللُّغوي كالنظر في عواقب الأمور مثلاً، أو يدخل بعضها الآخر باللزوم أو الاقتضاء كمطلق التفكير، أو إمعان النظر والتركيز، ونحوه؛ لكن التدبر لا بد له من الاتعاظ والعمل كما سبق[7].

> برز معنى اتباع القرآن والعمل بما فيه في مقولات كثير من العلماء أثناء حديثهم عن تدبر القرآن الكريم. يقول سيد التابعين الحسن البصري: (وما تدبُّر آياته إلا اتِّباعه)

وبصورة أوضح فإن هذا المعنى العظيم يظهر في الطريقة العملية لتلقي هؤلاء السلف للقرآن، والمنهجية العلمية التي يسيرون عليها؛ حيث جاءت الروايات والأخبار عن عدد من الصحابة – رضي الله عنهم – منهم عثمان بن عفان وعبد الله ابن مسعود وأبي بن كعب – رضي الله عنهم أجمعين – أنهم كانوا يأخذون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى، حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا

(١) ثبت ذلك من كلام أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – كما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم: (١٧٧٣) عن سعد بن هشام بن عامر قال: سألت عائشة – رضي الله عنها – فقلت: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن.

(٢) مصنف عبد الرزاق: (٥٩٨٤).

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: (١٥٣/٢٣).

(٤) زاد المعاد، لابن القيم: (٣٢٣/١).

(٥) أضواء البيان: (٤٢٩/٧).

(٦) والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فالكفار والمنافقون يسمعون الآيات ويفهمونها ويدركون إعجازها، ومع ذلك لم تزدهم إلا إصراراً وعناداً؛ بل أعظم من ذلك بعض المستشرقين فسر واستنبط وترجم المعاني وعمل الفهارس؛ كالمستشرق الفرنسي ريجي بلا شير الذي قام بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية، وله كتب عن القرآن والإسلام، والمستشرق الألماني تيودور نولدكه الذي كتب رسالة دكتوراه عن تاريخ القرآن! والمستشرق المجري الشهير: جولد تسيهر الذي كتب عدة دراسات عن الإسلام، وعن تفسير القرآن! ولكن كل ذلك لم يغن عنهم شيئاً؛ بل هم داخلون في التوبيخ القرآني لعدم امتثالهم له بعدما عرفوه؛ وصدق الله العظيم: (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)؟ ينظر: موسوعة المستشرقين، للدكتور: عبد الرحمن بدوي، دار العلم، بيروت.

(٧) ينظر كتاب: مفهوم التدبر في ضوء الدراسة التحليلية لآياته في القرآن، للدكتور: محمد زيلعي هندي، وكتاب: مفهوم التدبر..تحرير وتأصيل، إشراف: مركز تدبر، ص (٢٠٩).

العلم والعمل[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على هذا الأثر: (تدبُّر الكلام إنما يُنتفَع به إذا فُهِم، قال - تعالى -: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. فالرسل تبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وعليهم أن يبلِّغوا الناس البلاغ المبين، والمطلوب من الناس أن يعقلوا ما بلَّغه الرسل، والعقل يتضمن العلم والعمل؛ فمن عرف الخير والشر، فلم يتَّبع الخير ويحذر الشر لم يكن عاقلاً)[2].

من هذا المنطلق يظهر أن هذا الأثر الشهير الذي دائماً نقرؤه في الكتب، ونسمعه في المحافل العلمية والتربوية: أنه هو الأسُّ الذي تبنى عليه قضية التدبر؛ حيث إنه وضَّح لنا بصورة جليَّة الطريقة العملية المثلى لتدبُّر كتاب الله، ممن عاصر التنزيل وعرف التأويل؛ حيث بينوا لنا أنهم يتدرجون في أخذ الآيات ويفرقونها على أوقات؛ من أجل أن يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، وبهذا يكونون قد تدبروه حق التدبر؛ فهم يقرؤون لكي يفهموا، ويفهمون لكي يعملوا.

> **سلفنا الصالح كانوا يأخذون القرآن مفرَّقاً لكي يتدبروه حق التدبر؛ فهم يقرؤون لكي يفهموا، ويفهمون لكي يعملوا**

إن تعلم القرآن وأخذه بهذه الطريقة أدعى للفهم والاستيعاب من غيرها؛ فالله -عز وجل- يقول لنبيه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وحِرْص سلفنا الصالح على أخذ القرآن بهذه الطريقة المفرَّقة؛ إنما هو بسبب إيمانهم بأهمية ركني التدبر (الفهم السليم ثم العمل) لأنها الطريقة المثلى لتدبر كتاب الله؛ حيث يتلازم العلم والعمل، ولا تكون تلاوته بحق إلا بهذا كما بينه الصحابي الجليل: عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بقوله: (والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله)[3]. حيث بين - رضي الله عنه - لازم حق هذه التلاوة وهو العمل بما فيه، والعمل لا يكون إلا بالفهم.

وإبرازاً لهذه الصورة العملية فإنه يَحسُن ذكر بعض الأمثلة والشواهد التي جسَّدت هذا المعنى وأبانته من لدن السلف الصالح الأخيار، فلنتأملها ونتأمل كيف اقتضى عندهم العلمُ العملَ، فمن ذلك ما رواه مالك عن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: (تعلم عمر - رضي الله عنه - البقرة في اثنتي عشرة سنة، لما ختمها نحر جزوراً)[4]، فهذا الأثر يبين أن طول بقاء عمر - رضي الله عنه - في تعلم سورة البقرة ليس عجزاً ولا انشغالاً عن القرآن؛ بل إنه انشغل بعلمها والعمل بما فيها كما كان عليه عهد الصحابة من أَخْذ عشر آيات وتعلمها؛ وإلا لما جلس كل هذه المدة.

يشهد لذلك أقواله وأفعاله - رضي الله عنه - فمن أقواله العظيمة قوله: (لا يغرركم من قرأ القرآن إنما هو كلام نتكلم به، ولكن انظروا من يعمل به)[5].

أمَّا أفعاله - رضي الله عنه - فهي كثيرة نذكر منها شاهداً مؤثراً ذكره البخاري في صحيحه أن رجلاً دخل عليه في مجلسه فقال له: هه يا ابن الخطاب! فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب حتى همَّ به، فقال له الحرُّ بن القيس - رضي الله عنه -: يا أمير المؤمنين إن الله - تعالى - قال لنبيه ﷺ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين. يقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله)[6]. وهذا شاهد العملي وقوفه المباشر عند كتاب الله والامتثال له، وهو من ثمرة التدبر.

وهذا الأمر ليس خاصاً بعمر - رضي الله عنه - بل إنه عام في أفاضل الصحابة كما يحكيه ابنه عبد الله - رضي الله عنه - حين يقول: (كان الفاضل من أصحاب النبي ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به)[7].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (٦/١١٧)، والإمام أحمد في مسنده: (٣٨/٤٦٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: (٤/٨٢)، والبيهقي في سننه الكبرى: (٣/١١٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره: (١/٧٤) وغيرهم.
ومدار هذا الأثر على عطاء بن السائب، وكان قد اختلط، وقد روى ابن وضاح في البدع: (٢/١٧٠)، والفريابي في فضائل القرآن: (ص: ٢٤١)، والرازي في فضائل القرآن وتلاوته ص (١٢٧)، وابن سعد في الطبقات الكبرى: (٦/١٧٢) هذا الأثر من طريق حماد بن زيد عن عطاء، ورواية حماد عنه صحيحة؛ لأنها قبل اختلاطه كما ذكر ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب: (٢٢/٢٠٧)، ونصَّ عليه أيضاً بعض الحفاظ، منهم: يحيى القطان والبخاري والعقيلي والنسائي، وغيرهم. (ينظر: ميزان الاعتدال، للذهبي: (٣/٧١). قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (١٧/٤٠٨): (وهذا أمر مشهور رواه الناس عن عامة أهل الحديث والتفسير، وله إسناد معروف).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٥/١٠٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: (٢/٥٦٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة: (١/٣٩٧).
(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٣/٣٤٦)، وينظر تفسير القرطبي: (١/٤٠).
(٥) رواه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل: (٧١).
(٦) ينظر صحيح الإمام البخاري، حديث رقم: (٤٦٤٢).
(٧) أخلاق أهل القرآن للآجري، ص (١٠).

وكما يقوله أيضاً من أُمرنا بأخذ القراءة منه[1]، وهو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – حيث يقول في وصفهم: إنَّا صعب علينا حفظ ألفاظ القران، وسهل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القران، ويصعب عليهم العمل به[2].

> يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: (لا يغرركم من قرأ القرآن؛ إنما هو كلام نتكلم به، ولكن انظروا من يعمل به)

ويبين أثرَ هذا التساهل في هؤلاء الجيل الذي عناهم – رضي الله عنه – الأثرُ الذي أخرجه الإمام عبد الرزَّاق في مصنفه بسنده إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قدم على عمر – رضي الله عنه – رجل فجعل عمر يسأله عن الناس فقال: يا أمير المؤمنين! قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا فقال ابن عباس فقلت: والله! ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة قال: فزبرني (زجرني) عمر، فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفا قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! إن كنت أسأت فإني استغفر الله وأتوب إليه، وأنزل حيث أحببت. قال: لتحدثني بالذي كرهت مما قال الرجل. فقلت: يا أمير المؤمنين! متى ما تسارعوا هذه المسارعة يحيفوا؛ ومتى ما يحيفوا يختصموا، ومتى ما يختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا. فقال عمر: لله أبوك! لقد كنت أكاتمها الناس حتى جئت بها[3].

وقد وقع ما خشي منه هذان الصحابيان الجليلان – رضي الله عنهما – فخرج الخوارج الذي ذكرهم ﷺ في عدة أحاديث متواترة[4]، وخرج أناس شابهوهم أيضاً يقرؤون القرآن ويقيمون حروفه وألفاظه ويأكلون به؛ لكنه لا يجاوز تراقيهم ولا يعملون بما فيه.

ويضيف على ذلك سيد التابعين الحسن البصري بقوله: (إن هذا القرآن قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، ولم يأتوا الأمر من قِبَل أوله. قال الله – تعالى –: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وما تدبُّر آياته إلا اتِّباعُه؛ ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله، فما أسقط منه حرفاً وقد – والله – أسقطه كله؛ ما ترى القرآن له في خلق ولا عمل وحتى عن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَس، والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، ومتى كانت القراء تقول مثل هذا؟ لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء)[5].

إن منهج السلف الصالح في التدبر بُني على ركنين (الفهم – العمل) لكنه يبرز في الجانب العملي أكثر؛ لأنهم كما قال ابن مسعود وابن عمر – رضي الله عنهما – في كلامهما السابق: (وسهل علينا العمل به)، (رزقوا العمل بالقرآن)، وهذا الأمر الهام الذي تفقده الأمة اليوم كما جاء في آخر كلامهما: (وإن مَنْ بعدَنا يسهل عليهم حفظ القران، ويصعب عليهم العمل به)، (وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به)[6].

> عرف هؤلاء الأئمة أن في قلوبهم حاجة لا يسدها إلا هذا الأمر تدبُّر كتابه، وإن فيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بكلامه، والعيش في رحابه

ويحسن الإشارة هنا إلى أن حرص السلف – رضي الله عنهم – على أنهم يتعلمون العلم والعمل يحمل دلائل غاية في الأهمية، تكمن في عدة أمور ومقاصد لا حصر لها؛ حيث إنهم بذلك امتثلوا أمر الله – عز وجل – وأمر رسوله ﷺ في تدبر هذا الكتاب العظيم، الذي يهدي لأقوم سبيل، وأهدى طريق، ثم إنهم استشعروا بركته عليهم وعلى معاشهم ومعادهم، كما وعوها في قوله – تعالى –: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله – تعالى –: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦]، وقوله – تعالى –: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ

(١) أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٦٤٨٨) عن مسروق قال: كنا نأتي عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – فنتحدث إليه – وقال ابن نمير عنده – فذكرنا يوماً عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – فقال: لقد ذكرتم رجلاً لا أزال أحبه بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِن ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ – فَبَدَأَ بِهِ – وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ).

(٢) مقدمة أحكام القرآن، للقرطبي: (١/ ٤٠)، ومن المفيد مراجعتها؛ حيث ذكر القرطبي أكثر من أثر يدل على أهمية العمل بالقرآن، وعقد باباً في ذلك.

(٣) مصنف عبد الرزاق (٢٠٣٦٨)، باب: الخصومة في القرآن.

(٤) قال الإمام أحمد: صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٣/ ٢٧٩).

(٥) مختصر قيام الليل، للمروزي، ص (١٧٦)، والزهد لابن المبارك، ص (٢٧٤).

(٦) أخلاق أهل القرآن للآجري، ص (١٠).

يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]. وعرفوا أيضاً أن في قلوبهم حاجة لا يسدها إلا هذا الأمر من تدبُّر كتابه، وإن فيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بكلامه، والعيش في رحابه.

> **"سَرْد سِيَر المتدبرين والتذكير بها في المناشط التربوية سببٌ مؤثر في غرس التدبر لدى الناشئة؛ فأسلوب التربية بالقدوات من أهم الأساليب التربوية وأكثرها مضاء، وهو إسلوب قرآني فريد"**

وأيقنوا بقوله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وتعلموا من تدبُّرهم ثناء ربهم على من تدبر كتابه، وذمه على من تركه ولم يتأثر به، موقنين أن المدحَ مدح الله والذمَّ ذم الله. ففي الثناء والمدح: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩]، وفي الذم والتوبيخ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

أيقنوا أيضاً أن الإيمان به وتعظيمه، وتدبر آياته هو عين النصيحة لهذا الكتاب العظيم[١]، وأنهم إذا قرؤوه وعملوا به أصبحوا كالأترجة ذات الريح الطيب والطعم الطيب بتشبيه بليغ من حبيبهم وقدوتهم ﷺ[٢].

وبعد: فإن هذه الطريقة العظيمة المثلى في تلقِّي القرآن من أولئك الصفوة الأبرار أظهرت آثارَ هذا الأمرِ عليهم في معاملاتهم وسلوكياتهم، في بيعهم وشرائهم، وحديثهم ومعاشرتهم، وحلِّهم وترحالهم، وحربهم وسلمهم، وفي جميع أحوالهم؛ حتى أصبح واحدهم كأنه قرآنٌ يمشي على الأرض.

ورضي الله عن أسماء بنت أبي بكر حين قالت في وصف الرعيل الأول منهم: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله: تدمع أعينهم وتُقَشعِرُّ جلودهم)[٣]، وهذا الأمر عزيز لا يقوى عليه إلا ذوو النفوس العالية، والهمم الرفيعة، والله المستعان.

فإنهم لما طبقوا هذا الأمر، وحملوا راية العمل في تدبرهم تعدت بركتهم إلى غيرهم فأقاموا العدل ونشروه في أرض الله، فأرهبوا أعداء الله، وأخرجوا الناس من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام؛ فحققوا الخير والسعادة لأمتهم ومجدهم[٤].

وفي الختام: فهذا غيض من فيض في منهجية هؤلاء الأعلام في تلقِّي القرآن، قصدت الإشارة، فقد يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق! وإلا فالموضوع واسع وتتجاذبه عدة مسائل وأحكام، تدعو الباحثين والدعاة لعمل مزيد من البحوث والدراسات في هذا المجال الذي تحتاجه الأمة اليوم في مسيرتها الإصلاحية، وفيها أيضاً حديث ملحٌّ للقائمين على المؤسسات والمحاضن التربوية من أجل إبراز دور هؤلاء القدوات والتذكير بمواقفهم في التدبر وطريقتهم في ذلك؛ فهم خير القرون وبهم يقتدى بعد رسول الله ﷺ، فسرد سِيَر المتدبرين والتذكير بها في المناشط التربوية سببٌ مؤثر في غرس قيمة التدبر لدى الناشئة؛ فأسلوب التربية بالقدوات من أهم الأساليب التربوية وأكثرها مضاء، وهو أسلوب قرآني فريد؛ كما في سرد قصص الأنبياء والصالحين وتلك القدوات للرسول ﷺ ولأمته من بعده: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠][٥].

---

(١) كما في حديث تميم الداري – رضي الله عنه – الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان: حديث رقم: (٩٥) أن النبي ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». قال أبو عمرو بن الصلاح: (النصيحة لكتابه: الإيمان به وتعظيمه وتنزيهه، وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهُّم علومه وأمثاله، وتدبُّر آياته، والدعاء إليه، وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه). جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص (٨٠).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه: (٥٠٥٩) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ أَوْ خَبِيثٌ وَرِيحُهَا مُرٌّ).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٨٣٨٣)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢٤٩/١٥).

(٤) ينظر قصة الصحابي الجليل: ربعي بن عامر – رضي الله عنه – ودخوله على رستم أمير الفرس قبل غزوة القادسية في كتاب: البداية والنهاية، لابن كثير: (٦٢٢/٩).

(٥) ينظر: كتاب: تعليم تدبر القرآن الكريم، للأهدل: (ص: ١٢٨).

البيان
AL BAYAN

حقيبة
بينات ١٤٣٢هـ

محتويات الحقيبة

هدى للناس

وإذا سألك عبادي

أياما معدودات

الرياض المكتب الرئيسي: 014546868 تحويلة 500/502 sales@albayan.co.uk - المنطقة الغربية: 0507266120 -
المنطقة الشرقية: 0506292689 - القصيم.. بريدة: 0502220616 - المنطقة الجنوبية: 0506461058 - المنطقة الشمالية: 0590992116
السودان: 00249911256161 اليمن: 00967711205161 مصر: 0020126948855 قطر: 0097444441044 تونس: 002167132204

تحريف التوراة... متى وكيف؟ (٢)

فيصل بن علي الكاملي(*)
popedia@windowslive.com

بعد انقسام مملكة بني إسرائيل إلى مملكةٍ شمالية (إسرائيل) وأخرى جنوبية (يهوذا) عام (٩٣٠ ق. م) تقريباً، شرع الكهنة اللاويُّون[١] المتنافسون في الشمال والجنوب في تدوين ما تحصل لهم من تاريخ بدء الخليقة والأنبياء. فكتب الكهنة الموسَويُّون[٢] في «شيلوه» بمملكة الشمال ما يُعرَف بالنص أو المصدر «الإلوهيمي» Elohistic الذي يستعمل كلمة «إلُوهِيم» العبرانية للإشارة إلى الرب، ويرمز لهذا النص بالحرف الأول (E). أما الكهنة الهارونيون في مملكة الجنوب «يهوذا» فكتبوا النص «اليهْوِيِّ» Jahwistic الذي يشير إلى الرب باسم «يهْوَه»، ويرمز له بـ (J).

ولما سقطت مملكة الشمال عام (٧٢٢ ق. م) على أيدي الآشوريين أخذ اللاجئون من إسرائيل نسختهم الإلوهيمية (E) إلى الجنوب؛ فكان لا بد من الجنوح إلى التقريب بين فكر الشماليين والجنوبيين لأن تعايش الطرفين أضحى حتماً. فقام أحد الكتبة المجاهيل بضم الروايتين في رواية واحدة (JE) وتجنَّب الحذف منهما قدر الإمكان. وقد تمت هذه العملية بدقة متناهية، لكن آثار هذا الدمج لم يمكن إخفاؤها تماماً[٣]. بَيْد أن هذا النص المشترَك أبقى على نصوصٍ تقدح في عدالة نبي الله هارون، عليه السلام.

فلما تولى «حزقيا» المُلْك (٧١٥ - ٦٨٧ ق. م) وشرع في إصلاحاته الدينية قام الكهنة الهارونيون بتلفيق وثيقة أخرى لتكون بديلاً عن النص المشترك (JE) وتُواكِبَ الإصلاحات القائمة. كما حذفوا من النص المشترك (JE) تلك القصص التي تحط من قدر هارون - عليه السلام - كقصة عبادة العجل التي تنسب صُنعَه إليه! كما أدخلوا فيه شريعة الكهنة الهارونيين التي تشكل جُلَّ «سفر اللاويين». وهنا نرى أن أهواء كهنة وأحبار بني إسرائيل هي التي حكَمت شريعتهم وليس العكس. تعرف هذه الوثيقة البديلة باسم «المصدر الكهنوتي» Priestly Source، ويرمز لها بالحرف الأول (P).

بعد وفاة الملك «حزقيا» وارتكاس بني إسرائيل في الوثنية ظهر مصلحٌ جديد هو «يوشِيَّا» الذي اعتلى العرش من (٦٤٠ - ٦٠٩ ق. م) ملكاً على بني إسرائيل. رأى كهنة «شيلوه» الموسويون في هذا العهد فرصة سانحة لكتابة شريعة جديدة تخدم كهنوتهم، واتفق الكهنة والملك على وضع ما كتبوا داخل الهيكل وإعلان العثور عليه مصادفة وكأنه من آثار الأنبياء. كُتب هذا السفر ليلائم مذهب كهنة «شيلوه» ويشرِّع للإصلاح الجديد ويصوِّر الملك «يوشِيَّا» كموسى آخر ينقذ مملكة «يهوذا». يُرمَز لهذا السفر بـ (Dtr١)؛ أي «التثنية ١».

لكن الأمور لم تجرِ كما خُطِّط لها؛ فلم يطل بالمَلِك العمرُ ليكون منقذاً لبني إسرائيل كما كان موسى - عليه السلام - بل مات على إثر مواجهةٍ مع الجيش المصري عام (٦٠٩ ق. م) فانتقضت كل إصلاحاته من بعده، ثم دُمِّرت «مملكة يهوذا» على يد البابليين عام (٥٨٦ ق. م)، وأُحرق الهيكل، وأُبيدت العائلة الملكية، ونُفي اليهود إلى بابل، وتبددت الأحلام. فقام كاتب سفر «التثنية ١» بإضافة بعض

(*) باحث سعودي متخصص في دراسة الأديان - يعمل في مركز الدراسات والبحوث التابع لمجلة البيان.

(١) نسبة إلى سبط «لاوي» أحد أبناء يعقوب - عليه السلام - حسب العهد القديم. ومن نسله موسى وهارون، عليهما السلام.

(٢) هكذا يسميهم بعض علماء العهد القديم، نسبة إلى موسى، عليه السلام.

(٣) كما سأبيِّنه في مقال لاحق إن شاء الله تعالى.

التعديلات والتبريـــرات ليعكس الواقع التاريخي ويتلافى ما كان قد وقع فيه من تصويره «يوشِـــيًّا» مخلِّصاً لمملكة «يهوذا»؛ فعلل سقوط «مملكـــة يهوذا» ببعدهـــا عن إصلاحات الملك الراحـــل. تُعرف هذه التعديلات النصية باســـم «التثنية ٢» أو (Dtr٢). أما مجموع النص الأصلي (Dtr١) وتعديلاته (Dtr٢) فتؤلف ما يُعرَف بسفر «التثنية» أو «تثنية الاشـــتراع» (D) وهو السفر الخامس والأخير من الأسفار الخمسة التي تنســـب كذباً وادِّعاء إلى موسى - عليه السلام - كما أشرتُ في الجزء الأول من هذا المقال.

لكـــن حال اليهود تغيـــر بعد غزو الملك «قورش» الفارســـي لبابل عـــام (٥٣٩ ق. م) وإعادة الملأ من يهـــود يَقدُمهم «عزرا» المعروف بالـ «كاتب» إلى بيت المقدس. فقد وجد «عزرا» نفســـه أمام روايةٍ مشـــتركة (JE) تناقض الروايـــةَ الكهنوتية (P) في تاريخها وعقيدتها، وشـــريعةٍ (D) تنافس شـــريعة الكهنة (P). ولم تكن تلك المرحلة قابلة لمزيد تشرذم في صفوف الشعب الذي أذلَّه نير العبودية وقهر الجلاء. فكانت الفرصة ســـانحة للكاهن «عزرا» لأن يلفِّق ويوفِّق بين قصص وشـــرائع مختلفة بين دفتين. ففعل ذلك مع شـــيء من التعديل والتهذيب ثم قرأه على أتباعه من اليهود[١]. فعزرا (اليهودي/ الفارســـي) هو الذي أعد «العهد القديم» في صورته الملفقـــة النهائية التي بين أيدينا. وقد ذهب إلى هذا المؤلفُ الشـــهيرُ «ريتشارد فريدمان» في كتابه «مَن كتب التوراة؟» ونَقل مثلَه عن الكاتب النصراني «أندرياس فون مايس» الذي عاش قبل أكثر من أربعمائة عام[٢].

لكنَّ ما توهم «فريدمان» أنه وليد أبحاثه وأبحاث من ســـبقه من النصارى قد أشـــار إليه أبو محمـد بن حزم رحمه الله (ت. ٤٥٦ هـ) في «الفِصَـل»؛ إذ قال: «وكان كتـابة «عِزرا» للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس. وكُتبُهم تدل على أن «عـــزرا» لم يكتبها لهم ولم يصلحها إلا بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم إلى البيت، بعد الســـبعين عاماً التي كانوا فيها خالين، ولم يكن فيهم حينئـــذٍ نبيٌّ أصلاً و لا القُبَّة و لا التابوت... ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونُسخت»[٣].

وأصرح منه قولُ الســـموءل يحيى بن عباس المغربي (ت ٥٧٠ هـ) - وهو ممن أســـلم من أحبار اليهود -: «فلما رأى «عزرا» أن القوم قد أُحرِق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرَّق جمعهم ورُفِع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفَّق منه هذه التـــوراة التي في أيديهم؛ ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند البطائح بالعراق لأنه عمل لهـــم كتاباً يحفظ دينهم؛ فهذه التوراة التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله»[٤].

هذه قصة تلفيق اليهود للتـــوراة أوردتُها موجزة. وقد جاءت هذه القصة مزخرفة عند بعض من ينقل عن أهل الكتاب، مبالِغة في تعظيم الفارســـي «عزرا» الذي أسمته «عزيراً». قال ابن كثير - رحمه الله - في تفســـيره: «وذكر السدي وغيره أن الشبهة التي حصلـــت لهم في ذلك [أي حصلت لليهود في اتخاذهم عزيراً ابناً لله] أن العمالقة لما غلبت على بني إسرائيل فقتلوا علماءهم وسَبَوا كبارهـــم بقي العزير يبكي على بني إســـرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيه. فبينما هو ذات يوم إذ مرَّ على جبانة، وإذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول: وا مُطعِماه! وا كاسياه! فقال لها: ويحك مـــن كان يطعمك قبل هذا؟ قالت: الله. قال: فإن الله حـــي لا يموت. قالـــت: يا عزير! فمن كان يُعلِّـــم العلماء قبل بني إســـرائيل؟ قال: الله. قالت: فلم تبكي عليهم؟ فعرف أنه شيء قد وُعِظ به. ثم قيل له: اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه وصلِّ هناك ركعتين فإنك ستلقى هناك شيخاً فما أطعمك فَكُلْه. فذهب ففعل ما أُمِر به فإذا الشـــيخ، فقال له: افتح فمك ففتح فمه فألقى فيه شـــيئاً كهيئة الجمرة العظيمة ثلاث مـــرات، فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة. فقال: يا بني إســـرائيل! قد جئتكم بالتوراة. فقالوا: يا عزير ما كنت كذاباً. فعمد فربط على أصبع من أصابعه قلمـــاً وكتب التوراة بأصبعه كُلَّهـــا، فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء أخبروا بشـــأن عزير فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال وقابلوها بها فوجدوا ما جاء به صحيحاً فقال بعض جهلتهم: إنما صنع هذا لأنه ابن الله»[٥].

وهي رواية مزوقة - كما ترى - لتلفيق «عزرا» للتوراة، وقد تكون مـــن وضع بعض اليهود الذين أرادوا بمثلها أن يوهموا أهل الإســـلام بصدق كتبهم، ولكن هيهات بعد أن فضحهم الله - عز وجل - بقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْـمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُـمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُـونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُـوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُـوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُـم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُـونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِـرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٥ - ٧٩].

---

(١) نحميا ٨: ٢، ٣.

(2) Richard E. Friedman. *Who Wrote the Bible?*, p. 242244-.

(٣) أبو محمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (القاهرة: مكتبة الخانجي): ١/ ١٤٨ [حسب ترقيم الشاملة ٢,١١].

(٤) السموءل المغربي، بَذْلُ المجهود في إفحام اليهود (دمشق: دار القلم/ بيروت: الدار الشامية، ١٤١٠ هـ)، ص١٣٤.

(٥) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم (دار الفكر، ١٤١٤ هـ): ٢/ ٤٢٤.

إصلاح الإسلاميين بين الوجود الذهني والخارجي

بدر بن سعيد الغامدي
badr.algamdy@gmail.com
@b_algamdy

الدعوة للإصلاح عبر التاريخ البشري تنازعتها الفرق والطوائف المتناحرة لأنها دعوى براقة جميلة منشودة، فليس غريباً أن تجد متناقضي الوسائل والمقاصد كلاًّ يزعمها لنفسه وأنهم الأحق بها وأهلها.

ولذلك نبهنا الله في القرآن إلى أنها مطية المنافقين حين قال - سبحانه -: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، ولكن هذه دعوى تحتاج لبيِّنة، وعرضٍ على المعيار الذي به تُكشَف الحقائق، ومعيارنا هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] ولذلك حين عُرضَت هذه الدعاوى عليه كذبهم الله فقال بعدها ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢] .

والإصلاح الحقيقي هو سبيل الأنبياء كما قال شعيب - عليه الصلاة والسلام -: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨] ولكنه لا يتم إلا بالتبرؤ من الحول والقوة الشخصية إلى الحول والقوة الإلهية ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] ، والإصلاح الديني هو الأصل الذي لا بد أن يرتكز في قلوب وعقول المسلمين ثم يأتي بعده الإصلاح الدنيوي لا العكس، كما هو واقعٌ اليوم للأسف.

وإذا كان الإصلاح هو مهمة الأنبياء، فهو مهمة ورثتهم أيضاً، وعند التخاذل عن القيام به يتخطفه المخالفون، وتقوم سوقهم في المسلمين. وهذا الإصلاح الذي يقوم به الورثة لا بد أن يكون على سنن المورِّثين، لا بدعاً في الدين.

والمتأمل اليوم في محاولة إصلاح واقع الأمة تجاه ما تعانيه من أزمات دينية ودنيوية، يجد أنها لا تختلف عما سبق من تنازع الدعوى بين الأغيار؛ لكن اللافت للانتباه هو تطبيق الورثة للإصلاح (وأعني بهم الإسلاميين).

فمع اشتعال جذوة المرارة والألم على واقع الأمة في نفوس المخلصين وسعيهم المشكور للبذل والعمل، إلا أن هذا لا يعني عدم تلمُّس مواضع الخلل وأماكن الزلل؛ للتقييم والتقويم.

ولست هنا لأرسم خريطة الإصلاح لمن هم أجدر مني بذلك، ولكن المؤمن مرآة إخوانه، ومن عظيم الدغل الصمت عن النصح الذي بويع عليه نبينا ﷺ.

إن من أعظم خلل المصلحين اليوم، هو محاولة تنظير ثم تطبيق إصلاح ذهني لا وجود له في الواقع، ولا يمكن تطبيقه إلا بمحذور وتقديم الفاني على الباقي، ومن بدهيات التغيير: الواقعية، والتدرُّج لتحقيقه، ولكننا عندما نتحدث عن خطوات لا يمكن تنفيذها فنحن حينئذٍ لا بد أن نعي أن إصلاحنا يحتاج إلى إصلاح، وهذا تكثر أمثلته، وحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق.

فمن يدعو اليوم للتعايش والتقريب، نسأله: ما هذا التعايش الذي ترجوه وتأمله؟ وبعد مناقشة وحوار تتقشع الغمائم وتشرق شمس الحقائق بأنها ليست سوى فكرة في الذهن.

وبعيداً عن سياط الطائفية والكراهية والعنف... إلخ، هذه السياط التي ألهبت ظهور الناصحين، وأخضعت المتخاذلين فإن من يطالب بالتعايش والتقارب اليوم مع من يزعم أن للأئمة صفات ربوبية، ولهم تُصرَف الألوهية، ويقول بتحريف

ويكفِّر الصحابة - رضي الله عنهم - ومن صاحبهم، ويقذف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وعن أبيها، إلى غير ذلك من الفتن والعفن الذي هو أظهر من أن يشار إليه.

إن من يطلب التعايش والتقارب مع هؤلاء يفترض فيه أن يوافقك على قاعدة واضحة من الدين لا لبس فيها ولا تعتيم وهي: أنه ليس لمسلم أن يُظهِر هذا وإلا كان مرتداً يقام عليه الحد، وإن لم يُظهِرْه فإلى الله السرائر.

وبعد الاتفاق على هذه القاعدة يأتي الأمر الآخر: أفمن يعتقد هذه العقائد اليوم من أهل البدع يمكنه أن يخفيها في صدره لنَكِلَه إلى الله؟ أم أنه يرى تصدير الثورة أمراً لا مفرَّ منه؟

والجواب الواضح، هو: لا هم يمتنعون اليوم عن تصدير ثورتهم وإشاعة عقائدهم الكفرية، ولا نحن يمكننا السكوت عن ذلك بلا عقوبة ولا دعوة، وكل فريق يرى فعل الآخر تعدِّياً عليه ناقضاً للتعايش والتقارب، فظهر أنها فكرة ليست واقعية، ومثل هذا في التعايش مع الكفار ذوي القوة والسلطان.

و لست أتحدث هنا عمَّن قبل شروط المسلمين وامتثلها، أو عن أكثريةٍ تحكم أقليةً فهي غالبة قاهرة والأخرى خاضعة كارهة، فإنه إن حصل هذا اليوم فبدَهي أن الأخرى تتربص بالأُولَى الدوائر، ولكن الحديث حين تتساوى الكفَّتان والقوتان، أيمكن التعايش وكلٌّ طائفة ترى الأخرى تصادر حقها؟ وأن واجب هذا الذي لا مفر من القيام به هو تعدٍّ على تلك، وواجب تلك التي لا مناص من فعلها هو تعدٍّ على هذه؟ ولا يمكن التعايش إلا بإسقاط الواجب وكلا الفريقين يأبى إسقاط واجبه.

ثم يأتي اعتراض مهم وواقعي: ما البديل عن هذا التقارب والتعايش؟

و هذا لا يسأله من نهل من الشرع ثم علَّ حتى ارتوت أطرافه، وامتزجت شرائع الإسلام بعصبه ولحمه، فلا تُمَس إلا وضجَّ بالأنين، وهبَّ للدفاع عن روحه التي بين جنبيه؛ وإنما يسأل عن هذا من ورد على موائد المذاهب الفكرية الكفرية أو البدعية، فتشرَّبها قلبه حتى نضح، وكل إناء بما فيه ينضح؛ لأنها مبنية على الحرية العقدية ليس بمفهومها الإسلامي في قوله - تعالى -: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ [**البقرة**: ٢٥٦]، بل بمفهومها الليبرالي الذي يقتضي التساوي في الحقوق والواجبات، ثم التسوية بين السُّنة وأهل البدع والانحراف؛ وكأنهم على صراط مستقيم، اختلافهم اختلاف تنوُّع يجب قبوله والمصير إليه؛ إذ لا فرق بين الجميع.

إن البديل (بل هو الأصل) تحكيم شرع الله، وتطبيق مراد الله بدعوة الضال للصراط المستقيم، ومعاقبة من تجرأ على الدين، والصبر على الأذى في ذلك، ومواجهة ما يحدق بالمسلمين من أخطار، والتسلح بالصبر على تلكم الدعوة، والأذى الناتج عنها ﴿ **لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى** ﴾ [**آل عمران**: ١١١]، و ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ** ﴾ [**محمد**: ٧]، و ﴿ **اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ** ﴾ [**يوسف**: ٢١]، وهذا قَدَر الله الذي ندفعه بقَدَر الله؛ فنحن نتقلب في مرضاة الله.

وليس لخانع أن يتحجج بالضعف، أو الحكمة، أو المصلحة؛ إذ القيام بالمأمور مناط بالقدرة، والواجب يسقط بالعجز عنه، ولكنه لا يتحول عن كونه واجباً في الأصل، ونحن مأمورون أبداً بالأخذ بالأسباب للقيام به، وفرق بين الأمرين.

ومن هرول في زمن مضى لموائد التقارب والتعايش عاد اليوم تسبق صرخاتُه خطواته؛ محذراً من الهجوم الذي يقوم به أصدقاء التعايش مصدِّري الثورة، وظهر له ما كان ظاهراً لغيره حينها بأن الأمر لا يعدو كونه ذرائع للتغلغل ووسائل للتسلل.

و من وجد في نفسه مقاربة من مسالك الإصلاح العرجاء، أو طرائق التقويم الجوفاء، فَلْيعد على نفسه بالإصلاح، فهذا أحق وأَوْلَى وأهم وأجدى؛ فلا بد أن يجد لديه خللاً في أصولٍ محكَمَة كالولاء والبراء، والتعامل مع أهل البدع والأهواء، وتحكيم شرع الله، ومنزلة الصحابة، وأعظم من هذا وقبله وبعده: التوحيد الذي هو أصل الأصول، وكل ما بعده متفرع عنه ونابع منه، ومن كان هذا حاله فليس أهلاً لأن يكون من الورثة القائمين بالإصلاح.

و من أمثلة هذا الإصلاح الذهني الذي لا وجود له في الخارج ما يطرحه بعض الناس في قضايا واقع المرأة ومساواتها بالرجل، وقضايا التعددية والحرية بمفهومها الغربي، والحكم العادل من خلال الديمقراطية، وتنشيط الاقتصاد من خلال الرأسمالية وغيرها من الأمثلة التي عند التمحيص: إما أن تبقى هي أو يبقى الإسلام، والشيطان والقرآن لا يجتمعان أو يمتزجان كما تريد طائفة أن تفعل.

وكل إصلاح لا يجعل الشرع المحكَم نبراسه ودليله، فحقه أن يُصلَح أو يُلقى في وادٍ سحيق أو يُنسَف في لجة اليم، وما على المصلحين - حقاً - في ذاك من لوم.

و صلى الله على نبينا محمد وسلم.

المجتمع بين قدسية المنهج وقدسية الذات

عبد القادر وحيد

حينما نتحدث عن مجتمع (عصر الرسالة) الذي هو أفضل مجتمعات البشرية (لأنه عاش فيه سيد البشر ﷺ) فقد يرى بعض الناس أن هذا المجتمع حلم طائر لا يتحقق، وإن سلمنا أن الرجال الذين حول الرسول ﷺ كانوا نموذجاً للكمال في الأداء العمراني، فإنهم تركوا لنا هذا العطاء لسعادة الآخرين المقتدين بهم، ولو تصفحنا أحوالهم فسنجد أن أكبر أسباب نجاحهم هو يقينهم وإيمانهم بالله والوضوح الشديد بين المنهج الذي يعتقدونه ويؤمنون به وبين المصلحة الشخصية وعدم الخلط بينهما، مع اعتبار الالتزام بالدستور الرباني (القرآن الكريم) الذي أرسى هذه القواعد البشرية للنهوض بالمجتمعات؛ فكان القرآن ينزل موجِّهاً لما يعتور هذا المجتمع من عثرات في الطريق، فالقرآن كان موجوداً بينهم كما هو موجود بيننا وسيظل كذلك، ولكن الفارق في الهبوط والصعود، هو الأداء.

والمجتمع مرهون بذلك؛ فحينما يخطئ المسلمون في سرية نخلة ينزل القرآن مصححاً للمسار وإرساء القواعد وقد عقب الإمام ابن القيم على هذه الحادثة فقال: (إن الله – سبحانه – حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف. ولم يبرئ أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام بل أخبر أنه كبير، وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام)[1].

فقدسية المنهج في الشرع أسمى بكثير من المصالح الشخصية، بل سُمُو الرجال منوط باتباع قدسية المنهج، وقد علمنا الرسول ﷺ تقديس المنهج دون الالتفات إلى الذات؛ حتى ولو كانت ذاته الشريفة ﷺ؛ فحينما أشرف أبو سفيان في غزوة أُحد ونادى بأعلى صوته: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه، أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه، ثم قال أعْلُ هُبَل. فقال النبي ﷺ «ألا تجيبون؟» وقالوا: وما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجلُّ». ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم . فقال: «ألا تجيبون؟» قالوا: وما نقول قال؟ «قولوا الله مولانا ولا مولا لكم» فأمرهم ﷺ بجوابه عند افتخاره بآلهته وبشركه تعظيماً للتوحيد وإعلاماً بعزة من عَبَدَه المسلمون وقوة جانبه وأنه لا يُغلَب، ونحن حزبه وجنده ولم يأمرهم بإجابته حين قال: أفيكم محمد؟ أفيكم ابن أبي قحافة؟ أفيكم عمر؟ بل قد روي أنه نهاهم عن الإجابة...[2].

فإذا كانت قدسية المنهج والمصلحة الشخصية هما كفَّتا الميزان للمجتمع بين الصعود والهبوط، فإن قيمة الرجال تظهر في ترجيح

(١) ابن القيم، زاد المعاد: ٢/ ١٤١، المكتبة التوفيقية.
(٢) المصدر السابق، ص ١٥٥.

كفة الصعود على الأخرى؛ فإننا نستطيع أن نقول: إن أكبر ما يكون هذا الأمر في المراحل الانتقالية؛ وذلك لما يعتور هذه المراحل من اضطرابات وقلاقلَ وإرجاف ونزعات شخصية؛ فيظهر الضمير ومكارم الأخلاق لتُبرِز الرجال المصلحين المخلصين. وأعني بفترة الانتقال ما يكون دائماً بين مرحلتي الاستقرار والاضطراب، وقد يكون هذا الاضطراب كلِّي أو جزئي.

فحينما يغلِّب الشخص المصلحة العامة على مصلحته الشخصية وقدسية المنهج على الذات، يبرز الإيمان الحقيقي والتجرد الناصع والضمير الأخلاقي والمعنوي الذي يكشف السموَّ الكبير لمن كانت هذه خِلالُه، وتطالعنا كتب التواريخ بهذا الموقف الرائع لهذا الصحابي الجليل الذي لو لم يكن له إلا هذا الموقف لكفاه في مرحلة انتقالية من أكبر مراحل الانتقال، وهو الصحابي عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - حينما كان من ضمن ستة نفر مرشحين لأكبر منصب (وهو الخلافة الراشدة)، حينما عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة مَن أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابياً فيها لأخذها لنفسه أو لولاَّها ابنَ عمه وأقرب الجماعة إليه (سعد بن أبي وقاص)[1]، وعلى هذا فليكن العمل لله.

إنني أكتب هذه السطور لَمَا تمرُّ به أوطاننا العربية من التغيير بعد الكبت والتغريب، وإذا كان هناك نجاح لبعض الثورات في إسقاط صخرات الجمود، فإن تمام نجاحها في هذه المراحل الانتقالية هو الوعي الكافي والمثابرة في توضيح المنهج، والسموُّ فوق المصلحة الشخصية والذات ظاهراً وباطناً، والاهتمام بالجوهر دون الشكليات التي تعوق عجلة المسير.

فحينما يطلب ملك الروم من الصحابي عبد الله بن حذافة أن يقبِّل رأسَه مقابل إطلاق أسرى المسلمين فلم يتردد في ذلك وقال: إنما قبَّلت التاج. وهذا الفهم العميق هو ما دفع العبقري الملهَم عمر بن الخطاب أن يقول: «كان حقاً على كل مسلم أن يقبِّل رأس ابن حذافة وأنا أبدأ»[2].

إن الاهتمام بالشكليات خطير وهو أشد خطورة في مثل هذه المراحل؛ بل ربما تنازل الشخص عن حقوقه مقابل الحق الأعظم وهو بناء وإصلاح الوطن.

لعله يكون جلياً أيضاً في مراحل الانتقال عدم التميُّع في إبراز الصلاح والفساد، وخاصة ما يكون فساداً مقنَّعاً ليس معلوماً لدى الجميع فقد ذكر ابن الجوزي في سيرته لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حينما تولى الخلافة أنه أبى أن يتولاها وهو في مرحلة انتقالية إلا بعد تنفيذ شروطه الثلاثة التي كان أحدها: عزل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج لأنه كان غشوماً يتألَّه (أي: يظهر العبادة والشك) وهو من أكبر العوامل التي تعرقل حركة الإصلاح وتفسد المنهج وتعلي الذات، حينما يظهر الشخص حَسَن الدين والسمت وهو في الباطن ليس له همٌّ إلا سموَّ نفسه دون الالتفات إلى قدسية منهج ولا ضمير أخلاقي.

ولعل الإنسان يعجب من أحد قادة الغرب المشهورين في العصر الحديث (وهو نابليون بونابرت) حينما استخلف كليبر قائداً لحملة فرنسا الاستعمارية على مصر على الرغم مما كتبه نابليون في مذكراته بعد ذلك في منفاه بعد مقتل كليبر بخمس عشرة سنة من أن كليبر لم يقلع عن التصريح بتخطئة نابليون في بعض تصرفاته أثناء تلك الحملة، لكنَّ اختيارنا له ليَخلُفنا في القيادة العامة عمل منطوٍ على صدق الوطنية. إنه ضحى بالاعتبارات الشخصية في سبيل مصلحة فرنسا وأسند إلى كليبر هذا المركز الخطير مع ما كان بينهما؛ لأنه رأى فيه أليق القواد للاضطلاع بهذه المهمة[3].

يبقى لنا أن نقول: إن صعود المجتمع هو بقدر إنجاح المجتمع لمنهجه ودستوره، وإن الأشخاص الوصوليين مهما كان دهاؤهم إذا نظروا إلى الذات فالنهاية معلومة وهي الفشل؛ فحينما عرض النبي ﷺ الإسلام على وفد عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم يقال له بحيرى بن فراس: لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال له: «الأمر لله يضعه حيث يشاء»[4]. فرغم إعجابه بفكرة الإسلام نظر إلى الرئاسة والملك، فكانت النهاية هي إقصاؤه الكامل وفوز الأنصار باحتضان هذه الفكرة؛ لأنهم نظروا إلى المنهج وهو النبوة دون النظر إلى الرئاسة والملك.

فعند نجاح الفكرة تجد كثيرين يريدون احتضانها ولكن بشروط وأهواء شخصية، فيزولون وتبقى الفكرة، يبقى المنهج ويذهب الجاه، ويصعد المجتمع بالمخلصين.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٨٨، مكتبة الصفا.
(٢) المصدر السابق: ٣/ ٥.
(٣) عبد الرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية: ٢/ ٩٣ مكتبة الأسرة.
(٤) السهيلي: الروض الأُنُف: ٢/ ٢٦٤ دار الحديث.

د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف(*)
www.alabdulltif.net

الصيام والآخرة

أســـرار الصيام وحِكَمه لا تكاد تنقضي، وفوائده وآثاره لا تحصى إلا بكلفة؛ إلا أن بعض الناس انهمك في إبراز فوائد الصيام الصحية والاجتماعية، واستغرق آخرون في آثار الصيام في تغيير الســلوكيات والأخلاق، وغفلوا عما هو أنفع وآكد من أثــر الصيام في تحقيق الإيمان باليوم الآخر، فقلَّ الحديث عن التلازم بين الصيام وبين مجافاة دار الغرور والتعلُّق بيوم البعث والنشــور، ولعلنا في هذه الســطور نُبرز آثار الصيام ولوازمها في تحقيق اليقين بالآخرة، وتعلُّــق القلب بدار البقاء والخلود، والإقبال على الله – عز وجل – وقصده.

وأســتهلُّها بعبارات مشرقة ســطَّرها المفكر الكبير سيد قطب – رحمه اللــه – قائلاً: «لقد كان من الطبيعي أن يفرض الصوم علــى الأمة التي يفرض عليها الجهاد في ســبيل الله، لتقرير منهجه في الأرض، وللقوامة به على البشــرية. فالصوم مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها؛ إيثاراً لما عند الله من الرضا والمتاع.

وذلك كله إلى جانب ما يُتكشَــف على مدار الزمان من آثار نافعة للصوم في وظائف الأبدان، ومع أنني لا أميــل إلى تعليق الفرائض – في العبادات بصفــة خاصة – بما يظهــر للعين من فوائد حسية؛ إذ الحكمة الأصيلة فيها هي إعداد هذا الكائن البشري لدوره في الأرض، وتهيئته للكمال المقدَّر له في حياة الآخرة»[1].

ومن المعلــوم أن غاية الصيــام التقوى كما قــال – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُــمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، والتقوى هي «العمــل بطاعة الله إيماناً واحتســاباً، أمراً ونهياً؛ فيفعل ما أُمر به إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعده، ويترك ما نُهي عنه إيماناً بالنهي وخوفاً من وعيده»[2].

فيُلحَــظ أن التقوى (فعــلاً تركاً) لا تتحقــق إلا بالإيمان بالآخرة واليقين بوعد الله ووعيده، وهو الذي يفتح باب الرجاء والخوف اللذَين إن خلا القلب منهما، خَرِب كلَّ الخراب[3]. وكما

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

(١) في ظلال القرآن: ١/ ١٦٧ = باختصار.
(٢) الرسالة التبوكية لابن القيم، ص١٧.
(٣) انظر: تفسير السعدي: ١/ ٢٩.

قال طلق بن حبيب – رحمه الله – لما سئل عن التقوى؟: «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وأن تترك معاصي الله على نور من الله خوف عقاب الله»[1]. وفي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام جُنَّة»[2]. وزاد سعيد بن منصور: «جُنَّة من النار»، ولأحمد: «جُنَّة وحصن حصين من النار»[3].

قال ابن العربي: «إنما كان الصوم جنة من النار؛ لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات»[4]. فالحاصل أنه إذا كفَّ نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة[5].

وقرر ابن القيم أن غاية الصيام هو تحقيق سعادة النفس ونعيمها وزكاتها لأجل الحياة الدائمة السرمدية فقال – رحمه الله –: «لَمَّا كان المقصودُ من الصيام حَبْسَ النفس عن الشهوات وفِطامها عن المألوفات، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية. فالصوم لجام المتقين، وجُنَّة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقرَّبين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال؛ فإن الصائم لا يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذُّذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته»[6]. والحاصل أن فئاماً من الدعاة قد استحوذ عليهم الحديث عن المصالح الدنيوية والفوائد العاجلة للصيام والصلاة وسائر العبادات؛ فالصيام لأجل تهذيب الأخلاق، والصلاة لأجل راحة البال من هموم الدنيا، بل احتفى بعضهم بفوائد الصلاة في رياضة الأبدان وصحتها، وصيَّر الأذكار لأجل حظوظ الدنيا وحفظ الأجسام!

ولا نزاع في أن شرائع الإسلام وشعائره تحقق مصالح الدنيا والآخرة؛ لكن الخلل في الإطناب والاحتفاء بالحظوظ الدنيوية العاجلة، وضعف الالتفات إلى التعلق بالله وقصده، ورجاء ثواب الله وجنته ولذة النظر إلى وجهه الكريم، سبحانه.

وقد حذَّر ابن تيمية من مسلك الفلاسفة الذين أفرطوا في الجوانب الأخلاقية، فجعلوا تهذيب الأخلاق غاية ومقصداً، وأما عبادة الله وقصده فهو وسيلة لتهذيب الأخلاق[7]!

وقال في موطن آخر: «ليس المقصود بالدين الحق مجرد المصلحة الدنيوية كما يقوله طوائف من المتفلسفة في مقصود النبوات أن المراد بها مجرد وضع ما يحتاج إليه معاشهم في الدنيا من القانون العدلي الذي ينتظم به معاشهم.

فإذا لم يكن مقصود الدين الموضوع إلا جلب المنفعة في الحياة الدنيا، ودفع المضرة فيها فليس لهؤلاء في الآخرة من خلاق، وهؤلاء المتفلسفة الصابئة المبتدعة ومن سلك سبيلهم يجعلون الشرائع من هذا الجنس لوضع قانون تتمُّ به مصلحة الحياة الدنيا؛ ولهذا لا يأمرون فيها بالتوحيد (وهو عبادة الله وحده) ولا بالعمل للدار الآخرة، ولا ينهون فيها عن الشرك، بل يأمرون فيها بالعدل والصدق والوفاء بالعهد ونحو ذلك من الأمور التي لا تتم مصلحة الحياة الدنيا إلا بها»[8].

فتأمَّل – رعاك الله – هذا التحقيق المتين من هذا الإمام الرباني الكبير، وانظر ما عليه المتفلسفة الصابئة وقارنه بواقع بعض المنتسبين للإسلام والسنة، ممن دأبهم أن يسهبوا في سرد مصالح وفوائد الشرائع في الحياة الدنيا؛ فلا يكاد أن يتحدثوا عن مصالحها الأخروية ومنافعها الأبدية من عبادة الله – تعالى – وقصده وابتغاء وجه الله والدار الآخرة، فأضحت الشرائع والأخلاق لأجل تحقيق مصالح الدنيا، واكتفوا بالحديث عن الأخلاق التي لا تَصلُح الدنيا إلا بها: كالصدق والوفاء بالعهد... إلخ. وأقفرت أكثر المجالس من الحديث عن اليوم الآخر، وصار الحديث عن الآخرة حكراً على بعض الوعاظ ممن قلَّ شأنهم وانتُقِص مقامهم بالنظر إلى الدعاة المشاهير.

والمقصود أن التذكير بالآخرة من واجبات الوقت وضرورات التربية الإيمانية والتزكية السلفية، ولا سيما أن النفوس جُبِلت على حب العاجلة والركون إليها، كما قال ابن الجوزي – رحمه الله –: «جواذب الطبع إلى الدنيا كثيرة، ثم هي من داخل، وذِكْر الآخرة أمر خارج عن الطبع، ثم هو من خارج، وربما ظن من لا علم له أن جواذب الآخرة أقوى، لما يسمع من الوعيد في القرآن، فإنه يطلب الهبوط وإنما رفْعُه إلى فوق يحتاج إلى التكلف، فالطبع جواذبه كثيرة، وليس العجب أن يغلب؛ وإنما العجب أن يُغلَب»[9].

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى: ٢/٥٩٨، (ت: نعسان).
(٢) أخرجه البخاري: (١٨٩٤).
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر: ٤/١٠٣ – ١٠٤.
(٤) فتح الباري لابن حجر: ٤/١٠٣ – ١٠٤.
(٥) فتح الباري لابن حجر: ٤/١٠٣ – ١٠٤.
(٦) فتح الباري لابن حجر: ٤/١٠٣ – ١٠٤.
(٧) ينظر: الجواب الصحيح: ٤/١٠٥.
(٨) جامع الرسائل (قاعدة في المحبة): ٢/١٣١.
(٩) صيد الخاطر.

لذة العبادة

عبده قايد أحمد الذريبي

إن الله – تبارك وتعالى – لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يتركهم سدىً وهملاً، بل خلقهم لغاية عظيمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. [الذاريات: ٥٦]

وقد تفضل – سبحانه وتعالى – على عباده، ومنحهم لذة في العبادة لا تضاهيها لذة من لذائذ الدنيا الفانية.

وهذه اللذة تتفاوت من شخص لآخر حسب قوة الإيمان وضعفه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وهذه الراحة والطمأنينة والسعادة تكون بعبادة الله وحدَه، وتعلُّق القلب به، ودوام ذكره. قال ابن القيم: «والإقبال على الله – تعالى – والإنابة إليه والرضا به وعنه، وامتلاء القلب من محبته واللَّهَج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة»[١].

وأما من أعرض عن هدى الله، وما جاء به رسول الله ﷺ، فسيعيش عيشة القلق والضنك: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾ [طه: ١٢٤]. فهو «لا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيِّق حرج لضلاله وإن تنعَّم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء؛ فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشكٍّ؛ فلا يزال في رَيبه يتردَّد؛ فهذا من ضنك المعيشة»[٢].

فكيف يحصل العبد على لذة العبادة؟ وما صور ذلك؟ وما موانعه؟ هذا ما سيكون حديثنا عنه في هذه الأسطر بمشيئة الله، تعالى.

(١) الوابل الصيب، ص ٦٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٦٩.

ثمة أسباب للحصول على لذة العبادة، منها:

أولاً: مجاهدة النفس على العبادة وتعويدها، مع التدرج في ذلك:

قال ابن القيم: «السالك في أول الأمر يجد تعب التكاليف، ومشقة العمل لعدم أُنْس قلبه بمعبوده، فإذا حصل للقلب روح الأنس زالت عنه تلك التكاليف والمشاق فصارت (أي الصلاة) قرة عين له، وقوة ولذة»[٣]. وقال ثابت البناني: «كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة»[٤]. وقال أبو يزيد: «سُقْتُ نفسي إلى الله وهي تبكي، فما زلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك»[٥]. قال – تعالى –: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فإذا جاهد العبد نفسه هداه الله وسهل له الوصول إلى ما جاهد نفسه إليه.

ثانياً: الإكثار من النوافل والتنويع فيها على اختلاف صفاتها وأحوالها:

حتى لا تمل النفس، وحتى تُقبِل ولا تدبر؛ فتارة نوافل الصلاة، وتارة نوافل الصوم، وتارة نوافل الصدقة... إلخ؛ فإن ذلك مما يورث محبة الله؛ كما جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – وفيه أن الله يقول: «وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى

(٣) مدارج السالكين: ٢/ ٣٧٣.
(٤) حلية الأولياء: ٢/ ٣٢١، وصفة الصفوة: ٣/ ٢٦٠.
(٥) طريق الهجرتين: ١/ ٤٧٤.

أحبه...»[1]. فـ «من اجتهد بالتقرب إلى الله بالفرائض، ثم بالنوافل قربه إليه، ورقَّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه؛ حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهَداً له بعين البصيرة»[2].

ثالثاً: التأمل في سير الصالحين:

قال جعفر بن سليمان: «كنت إذا وجدت من قلبي قسوة غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع كأنه وجه ثكلى»[3]، وهي التي فقدت ولدها. وكان ابن المبارك يقول: «إذا نظرت إلى فضيل بن عياض جُدِّد لي الحزن، ومقتُّ نفسي»[4]، ثم يبكي.

رابعاً: قراءة القرآن وتدبر معانيه، والوقوف عند عجائبه:

فإن في القرآن شفاءً للقلوب من أمراضها، وجلاءً لها من صدئها، وترقيقاً لما أصابها من قسوة، وتذكيراً لما اعتراها من غفلة، مع ما فيه من وعد ووعيد، وتخويف وتهديد، وبيان أحوال الخلق بطريقَيْهِم (أهل الجنة، وأهل السعير)، ولو تخيل العبد أن الكلام بينه وبين ربه كأنه منه إليه لانخلع قلبه من عَظَمة الموقف، ثم يورثه أُنْسَ قلبه بمناجاة ربه، وَلَوَجَد من النعيم ما لا يصفه لسان أو يوضحه بيان، وخصوصاً تدبُّر ما يتلا في الصلوات.

خامساً: الخلوة بالله - تعالى - والأنس به:

بحيث يتخير العبد أوقاتاً تناسبه في ليله أو نهاره يخلو فيها بربه، ويبتعد فيها عن ضجيج الحياة وصخبها، يناجي فيها ربه يبثه شكواه، وينقل إليه نجواه، ويتوسل فيها إلى سيده ومولاه. فكم لهذه الخلوات من آثار على النفوس، وتجليات على القلوب؟ قيل لمالك بن مغفل - وهو جالس في بيته وحده -: ألا تستوحش؟ قال: أَوَ يستوحش مع الله أحد؟ وكان حبيب أبو محمد يخلو في بيته ويقول: «من لم تقرَّ عينه بك فلا قرت عينه، ومن لم يأنس بك فلا أَنِس»[5]. وقال ذو النون - رحمه الله -: «من علامات المحبين لله أن لا يأنسوا بسواه ولا يستوحشوا معه»[6].

سادساً: البعد عن الذنوب والمعاصي:

فكم من شهوة ساعة أورثت ذلاً طويلاً، وكم من ذنب حرم قيام الليل سنين، وكم من نظرة حرمت صاحبها نور البصيرة، ويكفي هنا قول وهيب بن الورد حين سئل: «أيجد لذة الطاعة من يعصي؟ قال: لا، ولا من همَّ».

قال ابن الجوزي: «فرب شخص أطلق بصره فحرمه الله اعتبار بصيرته، أو لسانه فحُرِم صفاء قلبه، أو آثر شبهة في مطعمه، فأظلم سره وحُرِم قيام الليل، وحلاوة المناجاة، إلى غير ذلك»[7].

فالذنوب داء القلوب. قال يحيى بن معاذ: «سَقَمُ الجسد بالأوجاع، وسَقَمُ القلوب بالذنوب؛ فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه، فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب»[8].

سابعاً: التقلل من المباحات:

قال أحمد بن حرب: «عبدتُ الله خمسين سنة فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء: تركت رضا الناس حتى قدرت أتكلم بالحق، وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الأخرى... »[9]. قال العلاَّمة ابن القيم: «غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر، جليلة القدر: إحداها: حلاوة الإيمان ولذته، التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله - تعالى - فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله - عز وجل - خيراً منه، والنفس مولعة بحب النظر إلى الصور الجميلة، والعين رائد القلب، فيبعث رائده لنظر ما هناك فإذا أخبره بحسن المنظور إليه وجماله تحرك اشتياقاً إليه، وكثيراً ما يتعب ويُتعِب رسوله ورائده. فإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كلفة الطلب والإرادة فمن أطلق لحظاته دامت حسراته...»[10].

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٣٦٥.
(٣) حلية الأولياء: ٢/٣٤٧.
(٤) تاريخ الإسلام: ٢/٣٣٦.
(٥) جامع العلوم والحكم، ص ٣٨.
(٦) جامع العلوم والحكم، ص ٣٨.
(٧) صيد الخاطر، ص ٣٤.
(٨) ذم الهوى: ٦٨.
(٩) سير أعلام النبلاء: ١١/ ٣٤.
(١٠) إغاثة اللهفان: ١/ ٤٦.

صور من لذة العبادة:

الأصل أن المؤمن يجد لذة وحلاوة لكل عبادة يتقرب بها إلى الله - تبارك وتعالى - ولكننا هنا سنذكر بعضاً من صور لذة العبادة، فمن ذلك:

أولاً: لذة الإيمان: فللإيمان لذة لا تعدلها لذة من لذائذ الدنيا الفانية؛ فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان...»[1] فـ«الإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما تذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم؛ فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته، فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان إذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرَّمة، وجد حلاوة الإيمان حينئذٍ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي»[2].

ثانياً: لذة الصلاة: فللصلاة لذة عظيمة؛ وجدها رسول الله ﷺ؛ فقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبِّب إليَّ من دنياكم النساء والطيب وجُعلَت قرة عيني في الصلاة»[3].

ولذلك كان النبي ﷺ يجد لصلاته لذة وراحة؛ حيث كان يقول لبلال: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة»[4]، ولم يقل أرحنا منها كما هو شأن بعضنا. ووجدها عروة بن الزبير؛ فقد قُطعَت رجله وهو في الصلاة، ولم يشعر[5]؛ فقد أنسته لذة الصلاة وحلاوتُها مرارة الألم.

ثالثاً: لذة قيام الليل: يروى في الأثر عن نافع بن عمر قال: قالت أم عمر بن المنكدر لعمر: إني أشتهي أن أراك نائماً؟ فقال: يا أماه! والله! إن الليل ليَرِد عليَّ فيهولني، فينقضي عني وما قضيت منه أربي»[6]. وقال بعض السلف: «إني لأفرح بالليل حين يقبل، لما يلتذ به عيشي، وتقرُّ به عيني من مناجاة مَنْ أحب وخلوتي بخدمته والتذلل بين يديه، وأغتم للفجر إذا طلع، لما اشتغل به بالنهار عن ذلك»[7].

رابعاً: لذة قراءة القرآن وتلاوته: قال عثمان بن عفان: «لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله». قال ابن القيم: «وكيف يشبع المحب من كلام من هو غاية مطلوبه» إلى أن قال: «فلمحبي القرآن من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور أضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني»[8]، وقال ابن رجب: «لا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم»[9].

خامساً: لذة الإنفاق في سبيل الله: للإنفاق في سبيل الله لذة عظيمة، وجد هذه اللذة أبو طلحة - رضي الله عنه - ولما وجدها أنفق أعز ماله لديه في سبيل الله؛ كما في البخاري ومسلم. ووجد هذه اللذة أبو الدحداح - رضي الله عنه - فجعل مزرعته كلها لله؛ فعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها فَأْمُره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي ﷺ: «أعطها إياه بنخلة في الجنة» فأبى، فاتاه أبو الدحداح، فقال: بعني نخلتك بحائطي. ففعل، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني قد ابتعت النخلة بحائطي. قال: فاجعلها له فقد أعطيتكها، فقال رسول الله ﷺ: «كم من عذق راح لأبي الدحداح في الجنة» قالها مراراً. قال: فأتى امرأته، فقال: يا أم الدحداح! أخرجي من الحائط، فإني قد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع أو كلمة تشبهها[10].

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) فتح الباري: ١/ ٤٥.
(٣) أخرجه أحمد والنسائي، وصححه الألباني.
(٤) أخرجه أبو داود وأحمد، وصححه الألباني.
(٥) صفة الصفوة: ٢/ ٨٧.
(٦) صفة الصفوة: ٢/ ١٤٥.
(٧) طريق الهجرتين: ١/ ٤٧٤.
(٨) الجواب الكافي، ص ١٧٠.
(٩) جامع العلوم والحكم، ص ٣٦٤.
(١٠) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

سابعاً: لذة طلب العلم: قال الشاطبي: «في العلم بالأشياء لذة لا توازيها لذة؛ إذ هو نوع من الاستيلاء على المعلوم والحوز له، ومحبة الاستيلاء قد جبلت عليها النفوس، وميلت إليها القلوب»[1].

وقد شهد بذلك أرباب العلم، والمشتغلين به. قال ابن الجوزي حاكياً عن نفسه: «ولقد كنت في حلاوة طلب العلم ألقى من الشدائد ما هو أحلى عندي من العسل في سبيل ما أطلب وأرجو، وكنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة ثم أذهب به في طلب الحديث وأقعد عند نهر عيسى ثم آكل هذا الرغيف وأشرب الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها وعَيِّن هِمَّتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم»[2].

ومن اللذة في طلب العلم في التأليف والتصنيف ما قاله أبو عبيد: «كنت في تصنيف هذا الكتاب كتاب «غريب الحديث» أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال، فأضعها في موضعها من هذا الكتاب، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة»[3].

وأنشد بعضُهم شعراً رائعاً في هذا المقام، فقال:

لَمِحبرةٌ تجالسني نهاري
أحبُّ إليَّ من أُنْسِ الصديقِ
ورزمةُ كاغدٍ في البيت عندي
أحبُّ إليَّ من عدل الدقيقِ
ولطمةُ عالِمٍ في الخدِّ مني
ألذُّ لديَّ من شرب الرحيقِ[4]

(١) الموافقات: ١/٦٧.
(٢) صيد الخاطر، ص ١٧٧.
(٣) طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، ص ٢٦١.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي: ١/١٠٦.

موانع لذة العبادة:

لذلك عدة أسباب، أهمها:

أولاً: المعاصي والذنوب: يذكر ابن الجوزي أن: بعض أحبار بني إسرائيل قال: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني؟ فقيل له: كم أعاقبك وأنت لا تدري؛ أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟ فمن تأمل هذا الجنس من المعاقبة وجده بالمرصاد، حتى قال وهب بن الورد وقد سئل: أيجد لذة الطاعة من يعصي؟ قال: ولا من همَّ. فرب شخص أطلق بصره فحُرِم اعتبار بصيرته، أو لسانه فحُرِم صفاء قلبه، أو آثر شبهة في مطعم فأظلم سره، وحرم قيام الليل وحلاوة المناجاة، إلى غير ذلك[5].

ثانياً: كثرة مخالطة الناس: فذلك مما يفقد العبد لذة العبادة، فكثرة المخالطة داء، والتوسط في ذلك هو الحق والعدل.

ثالثاً: تحوُّل العبادات إلى عادات: فإذا تحولت العبادة إلى عادة فُقِدَت لذة العبادة وحلاوتها، كما هو مشاهَد.

رابعاً: النفاق: فإذا كان في القلب نوع من النفاق، فإن ذلك يكون ماحقاً ومانعاً لحصول لذة العبادة.

هذه أبرز موانع لذة العبادة.

فإذا أردت أن تحصل على لذة العبادة، وتتفيأ ظلالها، وتقطف ثمارها، وتنعم بخيراتها؛ فعليك بعمل الأسباب الجالبة لذلك - وقد سبق أن ذكرناها - وعليك أن تبتعد عن صوارفها وموانعها.

وفَّقَنا الله لما يحبه ويرضاه.

(٥) صيد الخاطر: ٣٤.

نظرات نقدية في أسُّس الأيديولوجية اللبرالية الغربية

(١)

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

نحاول في هذا المقال أن نلقي نظرات نقدية على الأسس التي تقوم عليها الأيديولوجية اللبرالية الغربية وهي أسس لا يكاد المقلدون للفكر الغربي في بلادنا ينظرون فيها أو يناقشونها. لكن نقدنا للأسس لا يعني رفضنا لكل ما أضيف إليها أو زعم أنه منبثق عنها كما سيتبين.

فكرة العقد الاجتماعي:

كلمة اللبرالية تعني الحرية. ولذلك فإن المبدأ الذي لا يكاد اللبراليون الغربيون يُجمِعون على مبدأ سواه: هو الدعوة إلى الحرية الفردية. لكن من حق كل عاقل يُدّعى إلى الإيمان بمبدأ جديد أو العمل به أن يسأل: ما الدليل على صحته؟ يعتمد مشاهير اللبراليين من أمثال جون لوك في القرن السابع عشر الميلادي إلى جان جاك روسو في القرن الثامن عشر إلى جون رولز في عصرنا على ما يسمى بنظرية العقد الاجتماعي ليؤسسوا عليها القول بأسبقية الفرد على الجماعة، ومن ثَمَّ على أن الأصل فيه أن يكون حراً يفعل ما يشاء.

ونظرية العقد الاجتماعي – كما يقول أحد الكتاب – قديمة قِدَم الفلسفة الغربية، وكان لها تأثير عظيم في مجال الفلسفة الخُلُقية والسياسية طوال التاريخ الحديث للغرب[1].

أول من فصَّل في هذه النظرية في العصر الحديث ثم تبعه آخرون – وإن لم يوافقوه في كل ما ذهب إليه – هو الفيلسوف الإنجليزي ثومس هوبز Hobbes (١٥٨٨ – ١٦٧٩م). رأي هوبز هو – باختصار –: أن الناس كانوا في حال يسميها بحال الطبيعة state of nature قبل أن يكون لهم مجتمع مدني. كان الناس في الحال الطبيعة تلك أنانيين، وكانوا متساوين، ولم تكن هنالك قوة قادرة على أن تجبرهم على أن يتعاونوا.

الحياة في تلك الحال كانت حياة لا تطاق؛ لأن كل فرد فيها لم يكن يأمن على نفسه، ولم يكن يستطيع أن يحقق رغباته. فالحياة في حال الطبيعة تلك أسوأ حياة يمكن أن يحياها إنسان. لكن بما أن الناس عقلاء وأنهم حريصون على مصالحهم فإن المخرَج من تلك الحال البائسة كان ممكناً؛ خرج الناس منها بأن عقدوا بينهم عقداً يتيح لهم حياة أفضل. يتكون هذا العقد من عقدين متميزين:

في العقد الأول اتفق الناس في ما بينهم على التنازل عن كل حق لأحدهم على الآخر.

وفي العقد الثاني خولوا أحدهم أو مجموعة منهم سلطة وقوة تمكِّنهم من تنفيذ العقد الأول؛ أي أنهم اتفقوا على أن يعيشوا سوياً تحت قوانين مشتركة، وأن ينشئوا آلية لتنفيذ بنود العقد الاجتماعي. وبالرغم من أن الحياة تحت الحاكم الذي يُعطَى تلك السلطات قد تكون شاقة، فإنه يجب أن يُعطَى سلطة مطلقة؛ لأن العيش تحت سلطانه خير من حال الطبيعة؛ ولذلك فإنه لا يكون لنا مسوغ في الخروج عليه لأنه الأمر الوحيد الذي يقينا من أكثر شيء نريد أن نتحاشاه؛ ألا وهو حال الطبيعة.

أما جون لوك John Lock (١٦٣٢ – ١٧٠٤) الفيلسوف الإنجليزي الذي كان له تأثير كبير على واضعي الدستور الأمريكي فقد كان له تصور مختلف عن تصور هوبز لحال الطبيعة ومن ثَمَّ لطبيعة العقد الاجتماعي. رأى لوك أن حال الطبيعة – وهي الحال الطبيعية للبشر – هي الحال التي يكون فيها الإنسان حراً حرية كاملة ليتصرف في نفسه كيف يشاء ومن غير تدخُّل من الآخرين، لكنها ليست حال إباحية يفعل فيها الفرد ما يريد. وبالرغم من

(1) Social Contract, Internet Encyclopedia Philosophy, http://www.iep.utm.edu/soc-cont/

أنه لا توجد في حال الطبيعة سلطة مدنية أو حكومة تعاقب المعتدين؛ إلا أنها ليست حالاً تنعدم فيها القيم الخُلُقية؛ لأن الناس فيها ملتزمون بالقانون الطبيعي الذي هو أساس القيم الخلقية الذي منحه الله - تعالى - لنا، وهو قانون ينهانا عن أن نعتدي على غيرنا في حياتهم أو صحتهم أو حريتهم أو ممتلكاتهم. وعليه فإن حال الطبيعة هي حال سلام. إنها ليست في أصلها حال حرب كما تصوَّرها هوبز؛ لكنها يمكن أن تكون كذلك حين يعتدي فرد على آخر ولا سيما بالنسبة لممتلكاته: كأن يسرق منه، أو يلجأ إلى القوة ليسلبه حقه. وبما أن القانون الطبيعي يسمح للإنسان بأن يدافع عن نفسه؛ فإنه قد يقتل من يعتدي على ممتلكاته وبهذا تبدأ الحرب. وهذا من أقوى الأسباب التي تجعل الناس يتركون حال الطبيعة ويتعاقدون على إنشاء حكومة مدنية.

حال الطبيعة ليست حال أفراد كما تصوَّرها هوبز؛ وإنما هي حال أُسَر تتعاهد في ما بينها لتكون المجتمع المدني. فإذا فعلوا ذلك أصبحوا خاضعين لإرادة الأغلبية.

أما في عصرنا فإن جون رولز John Rawls (١٩٢١ - ٢٠٠٢م) الفيلسوف الأمريكي الذي يعدونه أكبر فلاسفة الأخلاق والسياسة الغربيين المعاصرين، والذي يعتبر فيلسوف اللبرالية السياسية؛ فإنه يعتمد أيضاً على فكرة قريبة من فكرة العقد الاجتماعي في نظريته عن العدل، لكن رولز يصرح منذ البداية بأن ما يقوله هو مجرد (تجربة ذهنية) thought experiment الغرض منها الوصول إلى تصور للعدل يقوم عليه النظام السياسي اللبرالي. تطلب منا هذه النظرية أن نتصور الناس يعيشون في حالة أولية، في هذه الحال يكون الإنسان جاهلاً بكل ما يمكن أن يجعلَه متحيزاً؛ فهو لا يعرف جنسه (أذكراً هو أم أنثى؟) ولا عنصره ولا مواهبه الشخصية ولا معوقاته ولا عمره ولا مكانته الاجتماعية، ولا تصوُّره الخاص للحياة الطيبة ولا حال المجتمع الذي يعيش فيه. هذه في رأي رولز هي الحال التي يستطيع فيها الإنسان أن يختار مبادئ المجتمع العادل التي هي في نفسها مختارة من ظروف أولية يكمن فيها عدم الانحياز. الإنسان في هذه الحال هو إنسان مجرد عن الجسد، عاقل، وعالمي.

إذا سأل سائل: متى حدث هذا العقد؟ قيل له:

إن القائلين بنظرية العقد الاجتماعي لا يلزمهم أن يفترضوا صحة هذا الاتفاق من الناحية التاريخية؛ لأنهم - في الغالب - معنيون بالكشف عن حدود الالتزام السياسي بالرجوع إلى ما يمكن أن يكون الفاعل العاقل مستعداً لأن يوافق عليه مع وجود تلك المنافع والمضار[1].

ما هذا المنطق؟ إذا سألنا عن الدليل على أن الفرد هو الأساس قيل لنا: إنه العقد الاجتماعي. وإذا سألنا عن نظرية العقد الاجتماعي قيل لنا: إنه ليس حدثاً تاريخياً؛ إنما هي نظرية أُتِي بها للتدليل على أن الفرد هو الأساس.

(1) Social contract, Oxford Dictionary of Politics, edited by Iain McLean and Alistair McMillan, Oxford University Press, 2003.

إن نظرية العقد الاجتماعي تثير في ذهن الإنسان المتفكر عدة تساؤلات:

فأولاً: كيف تقوم مبادئ نظام سياسي واقعي على دعوى هي من نسج خيال فلسفي؟

ثانياً: إن الذي يقوم بالتجربة إنما يقوم بها ليعرف النتائج التي تؤدي إليها أو ليتأكد منها. لكن تجربة رولز إنما أجريت لتؤدي إلى نتيجة كان يريدها ويعرفها. لقد كان يعرف - كما يعرف غيره - أن الإنسان يمكن أن ينحاز لجنسه أو عنصره أو سائر ما ذكر ولذلك جعله جاهلاً بأسباب الانحياز هذه ليكون عادلاً. لكن الحقيقة أن الجهل الذي ذكره وإن عصم الإنسان من أن يكون متحيزاً فلن يجعله عادلاً لأن عدم التحيز قد لا يعني أكثر من معاملة الطرفين معاملة واحدة. وهذا يعني أن غير المتحيز هذا إذا وضع قانوناً فإنه سيسوي فيه بين الذكر والأنثى، والصغير والكبير والغني والفقير. وهذا قد لا يكون عدلاً. وعليه فلكي يكون الإنسان عادلاً فإنه لا يكفي أن يكون جاهلاً بأسباب التحيز، بل لا بد أن يكون عالماً بالحقائق المتعلقة بالطرفين التي قد تقتضي معاملة أحدهما معاملة مختلفة عن الآخر، معاملة قد تبدو للجاهل بتلك الفروق بينهما أنها ليست عادلة بل متحيزة.

ثالثاً: إن أصحاب نظرية العقد الاجتماعي يحاولون أن يجعلوا الإنسان قادراً على أن يشرع تشريعاً مناسباً لكل الناس؛ ولذلك تراهم يتحدثون عن الإنسان ذي النظرة العالمية، لكن هذا شيء مستحيل؛ لأن هذه النظرة تقتضي أن يكون للإنسان علم بكل الحقائق المتعلقة بالناس، وهو أمر لا يعرفه إلا خالقهم.

وصدق الله العظيم: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

المعيار المنكسر

فهد بن صالح العجلان
Fsalehajlan@hotmail.com

حينما يقول أحد: (إن الكتاب والسنة هما معيار وميزان الحقائق) فإن من الرائع حقاً أن يكون ثَمَّ اتفاق قطعي على هذه القاعدة، فهو كلام بدهي ضروري لا ينازع فيه أحد ذو بال؛ فكتاب الله وسنة حبيبنا محمد ﷺ هما المعيار الذي توزن به الأمور وتقاس به المفاهيم، فنقبل الصحيح ونردُّ الباطل ونقيِّد المطلق ونفصِّل المجمل ونميِّز المشتبه، فلدينا معيار صحيح واضح نتمكن من خلاله من تمييز الأمور وفحصها: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

لكنَّ هذه القاعدة تبقى أحياناً بدهية في الجانب النظري ويضعف أثرها في الميزان العملي؛ إذ إن هذا المعيار والميزان الشرعي ينكسر أحياناً فلا يكون معياراً، بل يبقى نوراً محجوباً زاحمته معايير أُخَر وشاركته أحقيته في الوزن والقياس.

من الذي كسر هذا المعيار؟

إن التسليم لله ولرسوله ﷺ ليس شأناً معرفياً محضاً يحسبه الشخص بدقَّة كما يحسب المسائل الرياضية؛ بل هو إيمان وطاعة وانقياد وخضوع لأمر الله؛ فكلما ازداد إيمان المرء وعظم الشرع في قلبه كان أكثر التزاماً وتطبيقاً لهذه القاعدة، وحينها فَثَّم عوامل كثيرة تأتي على هذا المعيار فتضغط عليه وتضعفه حتى تكسره، فيضعف أثر هذه القاعدة عملياً وإن كانت ما تزال ثابتة في المقياس النظري.

وهذه العوامل كثيرة، اكتفي منها بعاملين، وسأحصرهما في الأحكام الشرعية السياسية:

أولاً: كاسر النسبية:

حين تقول: إن من بدهيات المفاهيم الشرعية الأصيلة التي من أجلها قامت الحركات الإسلامية هو إعادة الحكم للإسلام وشريعته، الحكم الشامل المحقِّق لسعادة الناس وصلاح دينهم ودنياهم، يأتيك الاعتراض المشهور: الشريعة على فهم مَن؟

وحين تقول: الحقوق والحريات والمصالح كلها مفاهيم رائعة ننطلق فيها من قيمنا وأصولنا الشرعية؛ فهذه كليات عامة تملؤها كل ثقافة بحسب قيمها ومعاييرها، يلاحقك ذات الاعتراض: الحقوق والحريات الشرعية على فهم مَن؟

وحين يغار المصلحون على أحكام الشريعة فيرفضون أي تعدٍّ عليها أو ردٍّ لأحكامها يأتيك ذات الاعتراض: هذا التعدي على الشريعة بمفهوم من؟

وهكذا، يأتي (على فهم مَن؟) ليفكك المعيار الشرعي من قيمته، ويكسر الميزان الإسلامي من اعتباره، لتكون الشريعة بناء خاملاً خاوياً على عروشه، ليس له إلا القيمة الشكلية الروحية، لكنه معيار محايد لا يقيس ولا يزن.

فلأننا لا ندري (على أي فهم تكون هذه الشريعة) نطالب بالحكم السياسي القائم على المساواة المطلقة وحكم الناس بما يشتهون، ويبقى الدين شأناً خاصاً لا اعتبار له في حكم الناس لأننا لا ندري ما هو!

ولأننا لا ندري على (أي فهم تكون هذه الشريعة) فإنها تصبح مصمتة لا يُرجَع إليها في مفاهيم الحقوق والحريات والعدل والمصالح؛ بل يُكتفَى بالمصالح الدنيوية البحتة التي يتفق عليها الجميع ولا اعتبار للدين الذي لا يُدرَى ما هو!

وهكذا، أخرجنا العلمانية من الباب ثم ذهبنا نجري خلفها، أُخرجَت لأنها تعارض حكم الإسلام وترفض أصوله، وذهبنا إليها لأننا أصبحنا لا ندري ما هو الإسلام ولا على أي فهم تكون هذه الشريعة؛ فالنتيجة النهائية: تجاوز إشكالية رفض الدين إلى إشكالية القبول به هلامياً لا يُدرَى ما هو!

(على أي فهم؟) هو سؤال النسبية الشهير، الذي ما زال يتكرر منذ قدماء الفلاسفة اليونان ومرَّ في طريقه فجرف من أهل الضلال والبدع والتحريف مَن جرف وما يزال مسيره الجارف متواصل في إغراق القلوب بالشك والحيرة والتيه، حرمهم من حالة الطمأنينة التي يمنُّ الله بها على من يشاء من عباده، وله أثر عميق السوء في ترك بعض الناس لدينهم أو شكِّهم فيه، أو إضعاف يقينهم وطمأنينة قلوبهم، وربما أدَّى ببعض الناس إلى حالة انعدام المبالاة فيمارس مع الشريعة حالة (الإعراض) من دون بحث عنها ولا رفض لها، وهي صفة أهل الكفر، الإعراض حين تيأس نفوسهم من الوصول إلى اليقين ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

نعم، لو كان الأمر متعلقاً بمسائل ظنية أو أحكام اجتهادية أو في المساحة التي لا نصوص قطعية فيها أو كان من الوقائع المتجددة التي تحتاج إلى اجتهاد جديد، ونحو هذا مما هو مندرج في مساحة الاجتهاد والتقدير التي يتطلب المسلم فيها أرجح ما يراه حقاً، فالخلاف هنا أهون بكثير، مع أن سؤال النسبية له تأثير سلبي هنا أيضاً؛ فبدلاً من أن يسير المسلم خلف (الأرجح دليلاً) يتوجَّه من حيث لا يشعر إلى حيث (الأيسر) حكماً أو الأقرب للواقع؛ لكن الإشكال فيه أهون.

إن الإشكالية أن يلاحقك سؤال النسبية في الأصول القطعية وفي النصوص الظاهرة وفي الأحكام المجمَع عليها، وبدلاً من أن يقول المسلم فيها ما يجب عليه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١] أصبح بعض الناس يسأل ما هي الشريعة التي تريدون؟ فكأن ثمَّ اشتراطاً مسبقاً في أن يعرف ما هي الشريعة قبل أن يسلِّم لها.

سؤال النسبية لا يتحرَّك إلا حيث يجب الإيمان، لا أحد يسأل في مجالات (الديمقراطية) أو (الحرية) أو (الحقوق) أو (العدالة) أو (الإنسانية) عن أي فهم تكون؟

هذا هو كاسر النسبية، يأتي على معيار الاحتكام إلى الكتاب والسنة فيهشِّمه، وكلما ضعف التسليم في القلب، زاد هذا المعيار في الانكسار.

هذا هو الكاسر الأول، فأما الكاسر الثاني فسيأتيك بعد متابعة هذه الأمثلة:

يرفض أن يقول بمشروعية جهاد الطلب؛ لأنك إذا شرعت لنفسك غزو الآخرين فإن هذا يعني مشروعية غزوهم وقتالهم لك.

ولا يجوز لك أن تقول بقتل المرتد؛ لأن هذا يُشرِّع لهم أن يقتلوا الذين يدخلون في الإسلام في أوطانهم.

ولا يجوز أن تقول بمنع نشر الكفر والضلال؛ لأنك تُشرِّع لهم أن يمنعوا نشر الخير والإسلام

ولا يجوز أن تدعم إخوانك المسلمين المضطهدين؛ لأنك تُشرِّع للآخرين أن يدعموا إخوانهم في أوطان المسلمين.

ويتساءل بحرارة: كيف تجيز لنفسك جهاد الطلب وقتل المرتد ونشر الخير ودعم المضطهدين ولا تبيح للآخرين أن يفعلوا مثل ما تفعل؟

هذا هو الكاسر الثاني: مساواة الحقِّ بالباطل؛ فللباطل من المشروعية مثل ما للحق سواء بسواء؛ فلا يجوز أن تفعل أمراً مشروعاً مستمَدّاً من شريعتك لأنَّ الآخرين سيفعلون مثله، فيجب ترك فعل الحقِّ لأجل أن تكون عادلاً مع الباطل؛ فكما تمنع الباطل يجب أن تمنع الحق! وكما من حقك أن تفعل الحق فيجب أن تجعل للباطل مثله وإلا وقعت في الظلم!

غفل في غمراتِ وَهْمِ المساواة المطلقة بين الحقِّ والباطل عن أمور عدة:

الأول: غفل عن المعيار البدهي والضروري وهو أن منطلقه هو الكتاب والسنة، فمرجعيته في معرفة الحق هو الوحي وليس ما يفكر الناس فيه؛ فما قيمة معيارية الكتاب والسنة إذن؟

الثاني: أن الآخرين لا ينطلقون في تصوراتهم بناءً على مقارنتها بتصوراتنا، فهم ينطلقون بناء على ثقافتهم ومصالحهم؛ فمن الوهم الكبير أن يتخيل أحد أن الآخرين يكيِّفون حياتهم ونُظُمَهم بحسب نظامنا؛ فإذا أبحنا لهم شيئاً أباحوه وإلا حرَّموه، لا أحد يفكر بهذه الطريقة، فهو خيال خاطئ رجع فأفسد وكسر المعيار.

الثالث: أنه لا وجود لمفاهيم كونية كلية متفَق عليها ينطلق منها الناس جميعاً؛ فحين تتحدث عن العدل والظلم والحق والخير والشر فكلٌّ له تفسيراته وتقديراته لهذه المفاهيم، فهذه كليات ذهنية لا توجد مطلقة إلا في الذهن، وأما في الواقع فكلٌّ له تفسيره؛ فكلُّ قول تراه حقاً يوجد في المقابل من يراه باطلاً، وكلُّ أمانة يوجد من يراها خيانة، لا يمكن وضع قواعد كلية يتفق الجميع في النظر إليها فيتوحدون في حكمها على اختلاف زوايا نظرهم.

الرابع: أنه يساوي بين الحق والباطل، فيرى أن للباطل أن يفعل مثل ما يفعل الحق، وهذه مساواة بين أمرين قد فرق الله بينهما، فالحق يجب نشره وحفظه والدفاع عنه، والباطل يجب ردعه؛ فلا يُساوَى أبداً من ينشر كلمة الله بمن يريد نشر الباطل، هذه مساواة باطلة ومخالفة للعدل؛ فالعدل هو إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقه، وليس هو المساواة المطلقة بين الأشياء ولو اختلفت؛ بل إن المساواة بين الحق والباطل محض ظلم ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

[القلم: ٣٥ – ٣٦]

وهكذا: تبقى قاعدة (الرجوع إلى الكتاب والسنة) ميزاناً ومعياراً منكسراً لا يؤدي غرضه في بعض القضايا؛ لأن المعيار العلماني القائم على تحييد الدين والمساواة التامة بين الحق والباطل كان مزاحماً وحاضراً، وربما يتبرأ كثير من الناس من هذه النتيجة لكنَّ العبرة بالواقع لا بالدعوى، فالمعيار الشرعي حين يكون مستقيماً فلا بد أن يكون له أثر في الوزن والقياس. أما حين يكون ساكناً جامداً فإنه معيار منكسر ما عاد معياراً وإن كان وما يزال يسمَّى كذلك. وللمفاهيم الغربية معتمدة على قوَّتها السياسية والإعلامية ضغطٌ رهيبٌ على عقل المسلم وقلبه؛ يضغط عليهما حتى يضعف (معيارية) الشريعة لديه فيضعف وقد ينكسر أو يكون أكثر اعتزازاً وثقة؛ فلا تزيده هذه الإشكالات إلا إيماناً وتسليماً.

خير هدية لضيوف الرحمن

مشروع المنهاج

مشروع مجلة الجمعة لتوزيع ترجمة معاني القرآن الكريم (صحيح انترناشيونا ل)

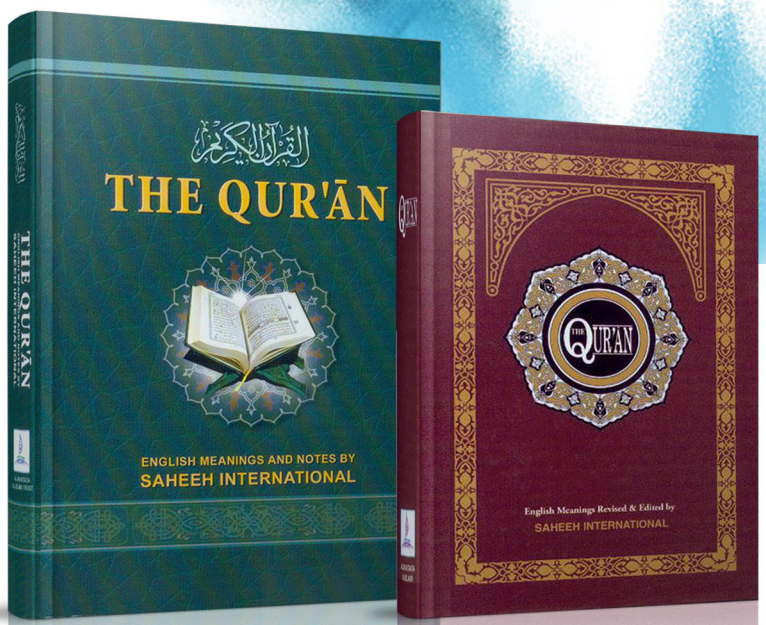

توزيع 100.000 نسخة في شهر رمضان
بمكة المكرمة والمدينة المنورة

إنهم قادمون إلينا
ونحن نعد لهم خير هدية

فقط بسعر التكلفة

المملكة العربية السعودية الرياض 11437 ص.ب 28087
هاتف: 4781700(1 966+) فاكس: 4786400(1 966+)
جوال: 558878373(966+) ـ 558878474(966+)
حساب المشروع باسم "مجلة الجمعة" بمصرف الراجحي رقم: 368608010144448
www.aljumuah.com

مناجاة

د. حيدر البدراني

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي الكريم ﷺ خرج إلى الصلاة بعد سماع الأذان وهو يقول: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، اللهم أعطني نوراً».

وقد أعطاه الله ما سأل؛ فكان «داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً».

ناجيتُك اللهُ عند الفجرِ مبتهلاً ... أرجو نَوالَكَ لا أرضى به بدلا

ناجيتُك اللهُ أرجو منك مغفرةً ... لكلِّ ذنبٍ مضى قارفتُه قُبُلا

ناجيتُك اللهُ والنجوى إذا خلصت ... لبارئ الكون كان العفو محتَمَلا

ولستُ آملُ غيرَ العفو في زمنٍ ... سحائب الإثم غطَّتني به ظُلَلا

فإنما العبدُ مأخوذٌ بفعلتهِ ... وإنما العبدُ ما قد قال أو عملا

أتيتُ بالذنب عن جهلٍ وعن خطأ ... وهل تؤاخِذُ عبداً فيه إن جهلا؟

أنا الفقير إلى رُحْماك يا أَمَلي ... وغيرُ وجهكَ لا ألقى به أملا

أنا الفقير وما لي حيلةٌ أبداً ... إلا ابتهالي، وها قد جئت مبتهلا

قد أُوصِدَت دونيَ الأبوابُ مغلقةً ... وبابُك الواسعُ المفتوح ما قُفِلا

وأظلمت بعدها دنيا حالكةٌ ... لكنَّ نورك - يا رباه - ما أفلا!

والشيب يضحك في رأسي ولا عجب؛ ... فمعظم العمر قد ولى وقد رحلا

واليوم جئتُك أرجو العفوَ مبتغياً ... أن تغفر الذنب أو أن تمحوَ الزَّللا

يا ذا الجلال! ويا ذا الإكرام! يا أملي! ... لأنت أكرم مسؤول إذا سُئلا

من لي سواكَ إذا ما جلجلتْ مِحَنٌ ... وأطبق الخطب يلقاني بها جللا؟

من يكشف الضر والأسقام إن نزلت ... ويُذهِب الهمَّ والبأساء والعللا؟

تبارك اسمك من اسم له خضعتْ ... كل الخلائق وانساقتْ له ذُلَلا

تُقِرُّ شاهدةً دوماً ما بصرت ... ولا ترى أبداً إلا بك الأملا

ومن تكن بإله الكونِ عصمتُه ... فكل صعب إذا ما جاءه سَهُلا

أعطيتنا الخير أنواعاً منوعةً ... وإن منعت فلن نلقى له بدلا

وليس ينكر هذا الجودَ ذو حلم ... إلا وجدت له في حلمه خللا

سبحانك الله لا نحصي الثناءَ ولا ... نرومُ عنك - وإن أبعدتنا - حِوَلا

رمضان

شهر الإحسان وأحكام وأداب

www.albayan.co.uk

بمناسبة رمضان

- استقبال رمضان
- رمضان وأبواب الخير
- فتاوى رمضان
- تدبر القرآن
- الأدب
- تربويات
- الاعتكاف
- الوداع
- الزكاة

موقع البيان

@albayan31

/albayanmag

/albayanmagazine

تقليم الأظفار من سنن الفطرة لا السياسة

أحمـــــد فـهـمـي
afahmee@hotmail.com

يعجز الإسلاميون حتى الآن عن بلوغ حالة من «التجرد السياسي» من كل المؤثرات والخلفيات التاريخية، ومن كونهم تيارات مغضوباً عليها من القوى السياسية العلمانية داخلياً والقوى الإقليمية والدولية خارجياً؛ لذلك تصدر كثير من مواقفهم وقراراتهم عن «حالة ضعف متوهَّمة»؛ وكأنهم «عاملين حاجة غلط»، أو يخشون من ضياع الفرصة من بين أيديهم.

من أبرز مظاهر هذه الحالة (في مصر) ذلك الود المبالَغ فيه من قِبَل الإسلاميين تجاه المجلس العسكري الحاكم، الذي قيل فيه أبيات من الشعر ولا يزال، وهذا خطأ كبير في عالم السياسة؛ لأن المجلس ليس خيراً محضاً وكذلك ليس شراً محضاً، بل هو يجمع بين هذا وذاك، له ما له وعليه ما عليه، وفي النهاية هو قوة سياسية حاكمة في مصر تعمل انطلاقاً من توازنات معقدة تغيب فيها المفاهيم القيمية إلى حد كبير؛ ليس لرغبة قياداته بالضرورة، ولكن لأن هذه هي طبيعة المرحلة، ولأن هذه هي موروثات النظام البائد وتوزانات الوضعين (الإقليمي والدولي).

إن تقليم الأظفار من سنن الفطرة المؤكدة، ولكن السُّنة في السياسة إطالتها؛ فلا بد من إشهار المخالب بين الحين والآخر، ومن يفقد مخالبه لن يلتفت إليه أحد؛ فالأيدي الناعمة لا يجب أن تكون حالة مُطْلَقة، بل يتحتم أحياناً العضُّ على النواجذ وإبراز المخالب والتلويح بموارد القوة؛ لأنه لا فرق بين من يمتلك القوة ثم لا يستخدمها أو يلوح بها، وبين من لا يملكها أصلاً. كما أن القوة الحاكمة - من التحكيم وليس الحكم - تميل مع الوقت (والضغط) إلى إرضاء الطرف الأضعف المشاغب، على حساب الطرف الأقوى الطيب، ولو في بعض القضايا الجزئية التي يمكن أن يكون لها وَقْع سلبي على التيارات الإسلامية.

وفي بعض المواقف قد يحتاج المجلس العسكري إلى أن يُظهِر الإسلاميون قوَّتهم من أجل توظيف ذلك في احتواء وتهدئة المشاغبين وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح؛ لكنَّ الذي حدث طيلة الأشهر الماضية كان فاصلاً متواصلاً من الغزل السياسي والثناء المستمر على المجلس، المصحوب - عجباً - بنفي أي تنسيق بينه وبين الإسلاميين.

وفي كثير من الأحيان يكون الإعلانُ عن قرارات سياسية مثل: تشكيل لجان، أو تعيين أشخاص في مناصب عليا، أو إصدار قوانين محلِّ جدل... إلخ، هدفه اختبار الرأي العام ومواقف القوى السياسية؛ فإذا كانت هناك معارضة قوية يتم التراجع، وإلا يمضي القرار في طريقه.

كذلك من الممكن أن تلجأ الجهة الحاكمة إلى تكوين جُمَل سياسية بهدف موازنة الضغوط، فتقوم بإبداء استجابة أولية لمطالب أحد الأطراف من أجل إتاحة الفرصة أمام القوى الأخرى الأكثر وجوداً لكي تبدي معارضتها الشديدة على ذلك، ومن ثَمَّ تضطر القوة الحاكمة تحت تأثير هذه المعارضة إلى تعطيل الاستجابة لتلك المطالب.

إنه من المحتمَل جداً أن تُعلِن القوة الحاكمة عن اتخاذ قرارات سياسية لا ترضى هي عنها، ولكنها تضطر إلى المضي قُدُماً في هذا المسار من أجل إعادة ترتيب القوى الضاغطة حسب قوَّتها الحقيقية في الشارع من خلال تجربة عملية واقعية، ولعل الاستفتاء على التعديلات الدستورية يصلح أن يكون مثالاً على ذلك؛ فتطورات الأحداث الحالية تثبت أن الهدف الأول منه كان حصول المجلس العسكري على دعم شعبي.

وقد أكسبت نتيجة الاستفتاء كلاً من المجلس العسكري والتيارات الإسلامية قوة وحصانة مؤقتة، لم تلبث أن تراجعت مع ضغوط القوى العَلمانية التي سعت لمحو مكاسب الاستفتاء والادِّعاء بأن الرأي العام ليس بالضرورة مصطفّاً مع المجلس أو الإسلاميين؛ وذلك مؤداه: أن التيارات الإسلامية تحتاج إلى تنفيذ استعراض جديد للقوة لإعادة الأمور إلى نصابها الأول، وستظل هذه التبادلية قائمة حتى تستقر الأوضاع بإجراء الانتخابات لاختيار المؤسسات الثلاث الكبرى (البرلمان، والحكومة، والرئاسة).

هذه الظاهرة «تقليم الأظفار» لا يمارسها الإسلاميون في مصر فقط، بل هي موجودة في عدد من الدول العربية؛ حيث تمارس بعض التيارات عملية «تشذيب» دوريٍّ لمخالبها فتفقد قوَّتها وتأثيرها، وهناك عدة صور تتجلى من خلالها هذه الظاهرة من قِبَل الإسلاميين، نذكر أهمها باختصار:

- تقديم التنازلات قبل المساومة عليها، أو دون مساومة مطلقاً.
- الخلط بين الدورين (الدعوي والسياسي)، دون تمييز بين ما يجب أن يكون عليه الأول من ثبات ووضوح، وما يجب أن يتسم به الثاني من مرونة وقدرة على المناورة.
- إغفال القيام باستعراضات محدودة للقوة تدفع الخصوم إلى إعادة حساباتهم بناء على تقديرات قوة الإسلاميين.
- الوقوع في تناقض بين تضخم العمل وتشعُّبه وتعقده واتساع نطاقه من ناحية، وبين ضآلة الأهداف وغموضها في بعض الأحيان من ناحية أخرى.

إن التيارات الإسلامية بشهادة الأعداء قبل الخصوم، تُعَد حالياً هي القوى السياسية والاجتماعية الأكثر تأثيراً في العالم العربي، وينبغي أن تتصرف هذه التيارات على هذا الأساس، وأن تتخلص من ربْقة «الضعف المتوهَّم»؛ ولا يعني ذلك التهورَ أو الاندفاعَ دونما حساب أو حكمة؛ ولكن ما أقصده هو السعي لتفعيل موارد القوة الإسلامية، وإعادة صياغة معادلات توازن جديدة؛ فمن المحزن أن يضخِّم الآخرون إمكاناتهم وقدراتهم فيكسبون مواقعاً لا يستحقونها، بينما يربض الإسلاميون في مكانهم ما بين تحفُّظ وتردُّد يَقرُضون أظفارهم حتى تضيع منهم الفرصة تلو الفرصة.

المفكر الإسلامي الدكتور (طارق عبد الحليم) لـ «البيان»:

التيارات الإسلامية قادرة على رسم المستقبل المصري.

الكنيسة القبطية في كندا تروِّج لاضطهاد الأقباط في مصر.

أجرى الحوار: أحمد حسين الشيمي

خاص - البيان

د. طارق عبد الحليم: التحق بمعهد الدراسات الإسلامية بالزمالك عام ١٩٧١م، ثم انخرط في العمل الإسلامي ورافق عدداً من الدعاة، وألَّف عدداً من الكتب في العقيدة والأصول، غادر مصر في بداية الثمانينيات، وطاف بعددٍ من البلاد العربية ثم بريطانيا. وأخيراً استقر به المقام في كندا منذ ربع قرن تقريباً؛ حيث أنشأ معهداً للدراسات الإسلامية، تخرَّج منه عدد كبير من الطلبة بالتعاون مع الجامعة الأمريكية المفتوحة. كذلك أصدر مجلة «أمة الإسلام» بالعربية والإنجليزية، وأصدر كتابَي «مفتاح الدخول إلى علم الأصول» بالعربية، و«أدعياء السلفية» بالإنجليزية.

ذكر المفكر الإسلامي الدكتور طارق عبد الحليم أن التيارات الإسلامية في مصر لا زالت في طور الخروج من القمقم، لافتاً الانتباه إلى أن كثيراً منها لا يزال يترنح من وطأة الضربات السابقة، كما أن أكثرها لا خبرة لها بالسياسة، بل معرفتها بالواقع جدُّ سطحية، وهو ما يجعلها فريسة سهلة للعلمانيين في حلبات الإعلام.

البيان: كيف تنظرون إلى الثورة المصرية بعد مرور أكثر من أربعة شهور عليها؟

د. طارق: لا شك أن الثورة المصرية قد قلبت موازين الحس والعقل والتصور بمشيئة الله سبحانه، وقد أثبتت أن الباطل زهوقاً وأن كيد الشيطان ضعيفاً. ولا شك أن الأمور في مصر وما حولها لن تعود إلى ما كانت عليه من قَبْل، لكنني لا أحب أن أصفها بالنجاح بعد؛ فالثورات تنجح حين تتحقق مطالبها على الأرض، والثورة المصرية لا زالت بعيدة كل البعد عن ذلك؛ فما تحقق منها أقل مما هو مأمول. وهناك كثير من القوى التي تريد لها أن تخفق، كقوى العَلمانية اللادينية، كما أن مشكلات القبط أصبحت عبئاً عليها وعلى الشعب، بما يحيكه أقباط المهجر من مؤامرات. كذلك فإن دور الجيش ليس له ملامح ثابتة في هذه المرحلة، وسترينا الأيام إن كانت أحداث ٢٥ يناير تمثل ثورة أم ستكون مجرد انقلاب آخر كانقلاب عام ١٩٥٢م الذي كنا نسميه ثورة حتى الماضي القريب.

البيان: ما هو صدى الثورة المصرية والثورات العربية في المجتمع المسلم في كندا؟

د. طارق: كأي مجتمع مسلم كانت البهجة عارمة، والأمل ناطحاً للسحاب. ولا زالت الجالية تترقب بشوق ما يجري في مصر من مسلسلات محاكمات الفاسدين، وبألم ما يجري على تراب ليبيا الحبيبة وما يعانيه شعبها، وكذلك الشعب السوري واليمنيُّ على أيدي الطغاة الذين لا يعتبرون بما يجرى أمام أعينهم؛ فهم له مشاهدون، ولعواقبه راصدون، لكن هؤلاء هم طواغيت الأرض وفاسقوها.

البيان: ما هي رؤيتكم لواقع التيارات الإسلامية في مصر بعد الثورة، وهل ترى أنه سيكون لها دور كبير في رسم ملامح المستقبل المصري؟

د. طارق: التيارات الإسلامية في مصر لا زالت في طور الخروج من القمقم، ويجب أن نعترف بأن كثيراً منها لا يزال يترنح من وطأة الضربات السابقة. كما أن أكثرها لا خبرة لها بالسياسة، بل معرفتها بالواقع جدٌّ سطحيَّة، وهو ما يجعلها فريسة سهلة للعَلمانيين في حلبات الإعلام، كما أنهم لم ينظِّروا لهذه المرحلة؛ ولذلك تجد كثيراً من التضارب بين آرائهم قبل الثورة وبعدها، وهو ما يَجعل العلمانيين يهاجمونهم ويصفونهم بالنفاق للثورة بعد تمامها، وهو أمر يجب أن تتخلص منه هذه الجماعات بأسرع وقت ممكن، وأن تخرج للناس باتجاه واحدٍ: إما اعترافاً بخطأ في السابق، أو بالرجوع عن الحقل السياسيِّ بكامله إخلاصاً لفتاويهم. كذلك فإن بعضهم لا يزال لم ينظم نفسه، ولم يختر طريقاً للعمل العلني بعد، وذلك بعد فترة كمونٍ دامت عقوداً. والأكثر تنظيماً هم الإخوان المسلمون إن طرحنا الصوفية جانباً؛ فهم الأكثر قدرة على التأثير في الأحداث اليوم، وهو ما قد يقلق بعض التيارات الإسلامية، التي وإن ناصرتهم على الجملة، إلا أنها تختلف معهم مظهراً وحركة. وهذه التيارات مجتمعة تمثل قوة هائلة للتأثير على سير الحياة السياسية في مصر. إلا إننا يجب أن نذكر أن غالب الشعب المسلم لا ينتمي لأيٍّ من هذه الجماعات، لكنه مسلم مُحِب لدينه كما ظهر من نتيجة الاستفتاء؛ إذ لا يدَّعي أحدٌ أن نسبة ٧٨٪ كانت من المنتمين للتيارات الإسلامية. إذن أعتقد أنَّ التحدي الأكبر أمام الحركات الإسلامية الآن ليس في العمل السياسي؛ بل هو في الهم الدعوي؛ فيجب على هذه الحركات أن تنسى أنها «حركات» كما كانت أيام الطاغية، وتعود مجموعةً من الدعاة العاملين معاً في سبيل هداية الناس، ومن ثَمَّ إعلاء كلمة الإسلام، لا العكس. هذا هو التحدي الأكبر.

البيان: ما هي النصيحة التي تود توجيهها للقوى الإسلامية؛ سواء في مصر أو تونس؟

د. طارق: كما ذكرت، يجب أن تبدأ هذه الحركات بالتقارب مع الشعب المسلم، وحمل الدعوة إليهم، دون السعي إلى اشتراط «الولاء للجماعة» أو «البيعة» أو مثل هذه المفاهيم التي تجوز شرعاً في عهود الطغيان، والتي لا تجدي نفعاً الآن إلا في خلق حدود نفسية بين الدعاةِ وبين الناس الذين هم مادة الدعوة. التنظيم ضروري للدعوة؛ لكن الدعوة لا تعمل لصالح التنظيم.

البيان: بالنسبة للقلق الذي تبديه بعض الدوائر في أوروبا وأمريكا من قوة الإسلاميين في مصر بعد الثورة، هل هذه الهواجس موجودة في كندا؛ سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي؟

د. طارق: هذه الهواجس من الإسلام عامة موجودة في الغرب على الدوام، وهي - أساساً - موجودة على المستوى الرسمي الكاره للإسلام، ومن ثَمَّ في الإعلام، الذي ينتقل أثره إلى المستوى الشعبي. أما عن الثورة المصرية فالتخوف منها والكره لها يأتي على المستوى الرسمي؛ إذ إن رئيس وزراء كندا، ستيفن هاربر، ينتمي إلى اليمين المسيحي المتطرف، وهو تلميذ وفيٌّ للرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش الابن). أما على المستوى الشعبي، فالناس في دهشة وإعجابٍ بما حدث في مصر، بل يضربون

بها المثل اليوم في التحرر والحق.

البيان: يرى بعض المراقبين أن الغرب لا يريد حكماً إسلامياً في مصر، وفي الوقت نفسه تؤكد المعطيات أن حركة الإخوان المسلمين هي الأكثر تنظيماً من أي تيار سياسي آخر ومن ثَمَّ فإنها تستطيع أن تحقق مكاسب هائلة في الانتخابات البرلمانية والرئاسية القادمة، ما تعليقكم؟

حقيقة لا يجب أن نلقيَ أي بال لما يريده الغرب بنا أو لنا، والإخوان أو غيرهم من المسلمين في مصر يجب أن ينطلقوا في طريقهم للحكم ولإقامة الإسلام (عدلاً ورحمة وهداية) دون النظر إلى الغرب. وهذا في حقيقة الأمر ما يقلق من بعض التيارات الإسلامية أنها تعمل حساباً ليس للغرب فحسب، بل لأي قوة داخلية أو خارجية معارضة للإسلام، وهو ما يجعلها تخرج بفتاوى تحاول بها التلاؤم مع هذه القوى، أو بالتلاعب في المفاهيم الثابتة بما يقدح في الشريعة.

البيان: هل أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر التي يروج لها أقباط المهجر في أوروبا وأمريكا تجد رواجاً من قِبَل المنظمات المسيحية في كندا؟

د. طارق: بالطبع، فإن لهؤلاء نشاطاً كبيراً في كندا، والكنيسة القبطية في كندا هي أكبر الكنائس القبطية في القارة الأمريكية، وتدعم النشاط القبطي المهجري؛ لكن لا يعني هذا أنَّ كافة الأقباط المصريين هنا يكرهون المسلمين أو يخونون مصر، لكنهم مضلَّلون من قبلِ الكنيسة كما هو الحال في مصر.

البيان: نريد منكم إعطاءنا نبذة عن واقع الحركات الإسلامية في كندا. وكيفية تعامل السلطات معها؟

د. طارق: لا أعتقد أن الحركات الإسلامية هنا تختلف عنها في عالمنا العربي، لكن الفارق الرئيسي هو أن عمل الجماعات هنا يختلف في طبيعته عن عملها هناك؛ إذ هي هنا - إلى حدٍّ كبير - تنظيمات اجتماعية، مثل: الإسنا والإكنا (ISNA - ICNA)، أو العديد من المراكز الإسلامية التي تقدِّم خدماتٍ تعليميةٍ أو اجتماعية أو دعوية، بالصلاة وجمع الصدقات، والتواصل مع الأهل بالبلاد.

والسلطات هنا تعرف أن هذه التجمعات لا خطر منها؛ لكنها إذ تريد ترويج أجندة خاصة بها، فإنها تراقب هذه المراكز بصفة دائمة عن طريق تجنيد عدد من ساقطي الديانة ممن يتسمَّون بأسماء المسلمين؛ حيث يندسون بين الناس في هذه المراكز، ثم يبعثوا بالتقارير التي يؤجرونها عنهم بالقطعة. وهم يتعللوا في هذا التضييق بما افتعلوه مما عرف بقضية الإرهاب (Tororntо ١٨)، التي حكم فيها على عدد من شباب المسلمين بأحكام تتراوح بين ٨ سنوات والمؤبد.

وما كان هذا إلا بفعل جاسوس من هؤلاء اندسَّ بين الشباب وزين لهم الحديث والتخطيط، وهم غافلون عن أنها مَصيدة مدبَّرة. هكذا تحاول السلطات أن تضيق على المسلمين في هذا الصدد، كما تحاول التضييق عليهم في تصاريح بناء المدارس الإسلامية أو المراكز، وإن كان القانون عادة ما تكون له الكلمة الأخيرة.

مركز سطام للعسل

ثقة العميل هي رأس مالنا منذ سنوات

تختلف فوائد العسل حسب فوائد النباتات المحيطة بالنحل..

استفد من هذه الخاصية وابدأ باستعادة النظام الطبيعي لجسمك إلى سابق عهده

١- **عسل الربو:** يقوي مناعة الصدر ضد الحساسية والسعال والبلغم وضيق التنفس.

٢- **عسل القولون العصبي:** يفيد في المشاكل الباطنية والغازات والإمساك والأرق والعصبية وعسر الهضم.

٣- **عسل الصداع:** يفيد في علاج الصداع المزمن والشقيقة.

٤- **عسل المعدة:** للقرحة والحموضة وجرثومة المعدة وسوء الهضم.

٥- **عسل البروستاتا:** لإلتهاب البروستاتا وأعراضه كمشاكل البول وضعف الحيوانات المنوية وألم أسفل الظهر والضعف الجنسي.

٦- **عسل الكبد:** يساعد في تنظيم أنزيمات الكبد ويقوي مناعة الكبد ضد الفيروسات.

٧- **عسل الجيوب الأنفية:** لإلتهاب الجيوب الأنفية والرشح المزمن.

٨- **عسل التسمين:** لفتح الشهية وزيادة الوزن.

٩- **عسل الروماتيزم وآلام المفاصل والركب.**

١٠- **عسل لتنشيط الذاكرة.**

١١- **عسل الزلوع الخاص بكبار السن.**

جميع أنواع العسل في هذا الإعلان مضمونة مخبرياً وخالية من الخلطات المجهولة.

ملاحظة: ليس لدينا موزعين ومنتجاتنا متوفرة في مركزنا

الرياض - مخرج ١٥ - هاتف: ٤٩٣١٧٣٧

جوال: ٠٥٠٦٢٤٥٩٨٤

زوروا موقعنا على الانترنت
s-asal.blogspot.com
دوام المركز من الساعة 4 -10:30

إمكانية الإرسال لمناطق المملكة - رقم الحساب بمصرف الراجحي: ٤٤٩٦٠٨٠١٠٠٦٧٦٨٣

Samer 055 34 99660

[المسلمون.. والعالم]

نداء من الناتو إلى العرب: ثورة... قِـفْ
أحمد سعد

انفصال جنوب السودان نتيجة؛ فما أسبابه؟
أسماء عبد الرازق

الدولة الصهيونية... من النبذ إلى الدعم!
كريم خشبة

الحرب الأمريكية على (الإرهاب) خسائر بدون جدوى
د. أكرم عبد الرزاق المشهداني

الفرقاء إن يريدوا خيراً يوفق الله بينهم
د. مصطفى يوسف اللداوي

مرصد الأحداث
جلال سعد الشايب

مشاريع الخير
ورعاية القرآن الكريم

الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم
بمحافظة طريف

www.turaifQ.com

الحدود الشمالية - محافظة طريف - ص.ب ١٢٧ - هاتف وفاكس: ٠٥٠٣٣٨٢٧٤٦ - ٠٤ - جوال: ٠٥٥١٦٥٦٦٦١ - ٠٥٠٤٨٦٠٨٥٢

مصرف الراجحي / الحساب العام 155608010048992 حساب الزكاة 155608010048984
الدور النسائية 155608010159146 الوقف الخيري 155608010159138

البنك الأهلي / الحساب العام 40152167000109 حساب الزكاة 40152167000207
الدور النسائية 40152167000305 الوقف الخيري 40152167000403

نداء من الناتو إلى العرب:

ثورة... قِفْ

أحمد سعد

السؤال الذي لم يلقَ إجابة حقيقية حتى الآن، هو: لماذا تدخلت أمريكا وحلف الناتو بهذه السرعة لإنقاذ الثورة الليبية بعد شهر تقريباً من بدايتها، وهو ردُّ فعل لم تتخذه هذه القوى (سياسياً أو عسكرياً) لمؤازرة الثورتين (اليمنية والسورية) على الرغم من انقضاء أكثر من خمسة أشهر على الأولى، وأربعة أشهر على الثانية؟

ثمة أسباب كثيرة تدور حول مراعاة التوازنات الإقليمية وتأمين الجنوب الأوروبي من الهجرة، والحرص على عدم نشأة نظام غير موالٍ للغرب في ليبيا.

السببان الأكثر أهمية، هما:

١ إعادة تشكيل النخبة السياسية الجديدة في ليبيا وصياغة معادلة جديدة للحكم.

٢ كبح الثورات العربية عن طريق تقديم نموذج «متعثر» للثورة في حالتها التصعيدية، وهو نموذج منفِّر لا شك يُستخدم فزاعة للجماهير: هل تريدون لنا حالاً مثل ليبيا؟ لا بالطبع. إذن توقفوا عن الثورة.

شهر قرآن
فرصتك لتنال أجرك
وأجر غيرك بدعمك
آيبان مصرف الراجحي
SA 6080000
252 60 80 10 40395 9

نخبة الحكم الجديدة في ليبيا:

ليبيا ليست تونس. نعم هذه العبارة كانت صحيحة؛ هناك فروقات كثيرة ومهمة بين الشعبين الليبي والتونسي، أبرزها أن الثقافة الغربية ليست متغلغلة لدى الليبيين كما هي عند جيرانهم من جهة الغرب، بل يغلب على الشعب الليبي طابع التدين الهادئ والتكوين الاجتماعي القبلي، وهذه سمات يمكن أن تدفع بالبلد تجاه نظام يغلب عليه الطابع الإسلامي، بينما تونس يتوفر بها قطاعات شعبية واسعة الانتشار تتبنى نهجاً علمانياً متطرفاً يمكنها أن تقوم بدور «المكابح» للتيار الإسلامي التونسي.

ولو عدنا إلى الوراء عدة عقود - وتحديداً في حقبة الاستقلال والتخلص من ربقة الاستعمار - فسنجد أنه في أغلب الدول العربية التي كانت محتلة لعب الاستعمار دوراً كبيراً في بناء النخب السياسية الحاكمة، التي لا تزال حتى الآن تفرز الحكام في أغلب هذه الدول، ولئن كان دور العسكر بارزاً في تلك الحقبة فإن السبب الحقيقي في ذلك كان سهولة تطبيقهم للنمط الديكتاتوري في الحكم، وسهولة الاختراق عن طريق صفقات الأسلحة والمعونات العسكرية.

الآن يبدو أن عدة دول عربية ثائرة تريد أن تتخلص من هذه النخب وميراثها القمعي، وهذا يعني أن تتشكل نخب جديدة لن تكون بالضرورة متحمسة لعلاقات ودية مع الغرب، خاصة لو كان المتصدرون للحكم لهم مرجعيات دينية.

بعد أسبوعين فقط من اندلاع الثورة اتخذ مجلس الأمن موقفاً جدياً فأعلن فرض عقوبات على النظام الليبي شملت حظر التنقل والسفر للقذافي والمقربين إليه، كما تم إحالتهم إلى المحكمة الجنائية، وبعد ثلاثة أسابيع أصدر الإنتربول مذكرات بحقهم.

وبعد أربعة أسابيع اعترفت فرنسا بالمجلس الانتقالي، ودعت إلى شن غارات جوية على قوات القذافي، وفي الوقت نفسه التقت (هيلاري كلينتون) وزيرة الخارجية الأمريكية بالمعارضة الليبية في باريس.

وبعد شهر واحد من بدء الثورة أصدر مجلس الأمن قراراً بفرض حظر جوي على ليبيا، والسماح باستخدام القوة العسكرية لحماية المدنيين، وهو القرار الذي تم تمديد تفسيراته على الأرض وصولاً إلى تعقُّب القذافي نفسه ومحاولة قتله.

لم يكن الليبيون يتخيلون أن الولايات المتحدة وحلف الناتو سوف يتداعيان إلى «نجدتهما» بهذهالسرعة، بل إن الجامعة العربية نفسها وعلى غير مثال سابق وافقت على نزع الشرعية عن القذافي وكانت موافقتها هي الأساس للبدء في الحملة العسكرية.

شيئاً فشيئاً بدأت الأمور تتكشف؛ فقد أصبح المجلس الانتقالي خاضعاً إلى درجة كبيرة للقوى الغربية، وتغلغلت أجهزة الاستخبارات داخل الوحدات القتالية للثوار وآلية عملهم وأدائهم العسكري والأمني، وأصبح كثير من أعضاء المجلس يقضون أوقاتاً خارج ليبيا أكثر مما يمكثون في بلدهم، وتعددت لقاءاتهم الخارجية.

وبدأت الدول الغربية تُبرز مخاوفها لقيادات المجلس من تغلغُل الإسلاميين؛ وذلك تحت ستار الخوف من اختراق تنظيمات جهادية تابعة للقاعدة وحدات الثوار. هذه المخاوف يجري ترجمتها على أرض الواقع من خلال احتياطات وإجراءات يتم اتخاذها من قادة الثورة لمتابعة ومراقبة الأنشطة التي يقوم بها الإسلاميون، كما دفعت إلى حظر أي عمل ثوري عسكري خارج عن نطاق المجلس واعتبار ذلك عملاً إجرامياً بدءاً من شهر رمضان المقبل.

تبدو الكتلة السياسية الحاكمة في شرق ليبيا وبعض غربه حالياً، كتلة مهترئة مخلخلة قابلة للاختراق والنفاذ من عدد من أجهزة الاستخبارات، وكلما طال أمد المواجهات مع القذافي تمكنت القوى الغربية من فرض سيطرتها وبسط نفوذها في تلك التركيبة المخلخلة.

هذه الممارسات الغربية تتم على خلفية تأييد كبير يحمله الرأي العام الليبي للموقف (الأمريكي - الأوروبي) من ثورتهم؛ فهم مقتنعون تماماً بأن تدخُّل حلف الناتو أنقذهم من مذابح كبرى، بل سمح لهم بالتقدم إلى الأمام والتضييق على القذافي، وتحظى فرنسا - تحديداً - بشعبية أكثر من غيرها؛ نظراً لموقفها المبكر من الثورة، وفي بعض المناطق الليبية مثل «جبل نفوسة» يطلقون على الرئيس الفرنسي لقب «العم ساركوزي» كما تذكر وكالة الأنباء الفرنسية، ويحظى ظهور أي فرنسي بترحيب كبير من قِبَل الثوار الليبيين، الذين تنشرح وجوههم ويسارعون إلى إطلاق عبارات الترحيب به في «بلده ليبيا»[1]!

(١) صحيفة الشرق الأوسط ١٣/٧/٢٠١١م.

إن المخططين الغربيين لا يضيعون الوقت، وهم عادة ما يعملون في نطاقات تتجاوز ما يغطيه الإعلام؛ فبينما تنشغل وسائل الإعلام حالياً بالموقف العسكري للثوار وتطورات المعارك، فإن هؤلاء المخططين لا بد أنهم يناقشون مع قيادات المجلس الانتقالي ملامح الدولة المقبلة وعلاقاتها القادمة مع الغرب وعقود إعادة الإعمار، والعقود النفطية، وإمكانية تقديم قروض جديدة، والحديث عن تمويل العمليات العسكرية الحالية بأثر رجعي، وهو أمر من شأنه أن يكبل الاقتصاد الليبي عقوداً قادمة، وربما يبحثون أيضاً موقف الدولة الجديدة من الصراع العربي الصهيوني، وإمكانية الاعتراف بالكيان... إلخ، هذه هي الموضوعات التي من شانها أن تحدد شكل الدولة القادمة.

كبح الثورات العربية: ثورة... قِفْ:

كان التدخل الغربي في ثورة تونس باهتاً خافتاً أثار ردود فعل ناقمة في العالم العربي، ثم كان التدخل الأمريكي في ثورة مصر مرتبكاً في بدايتها، ثم ضاغطاً ومؤثراً في نهايتها؛ لكنه لم يتجاوز مستوى التصريحات والاتصالات الهاتفية.

واختلف الوضع في ليبيا، حيث بات واضحاً أن العالم العربي يشهد موجات ثورية متلاحقة، تمثَّلت في بعض المحاولات المتواضعة هنا أو هناك، مع اندلاع ثورتين حقيقيتين في اليمن وليبيا؛ إذن كان جلياً أن الشعوب تريد إعادة رسم الخريطة العربية من جديد، فكان لا بد من حلٍّ لكبح الجماح الثوري باستخدام نظرية «الفزاعة» أو النموذج السلبي.

يمكن جمع بعض المؤشرات التي تدعم هذا التحليل القائل بأن تدخُّل حلف الناتو في ليبيا استهدف إيقاف عجلة التسارع الثوري العربي، وفي ما يلي أبرز هذه المؤشرات:

١ - بينما سارعت الدول الغربية إلى دعم الثوار الليبيين بعد شهر واحد، فقد كانت مواقفها شديدة البرودة تجاه النظام السوري رغم اتباعه أسلوباً مشابهاً لأسلوب القذافي: من حيث استخدامُ الآليات العسكرية وإطلاق النيران الكثيفة واقتحام المدن... إلخ.

٢ - عند مقارنة التدخلات العسكرية الغربية السابقة، مثل: حرب البوسنة والهرسك، والعراق، وغيرهما، يمكن ملاحظة أن قوات حلف الناتو يمكن لها أن تحقق تقدُّماً عسكرياً في مواجهة جيش هزيل تماماً مثل الجيش الليبي في فترة زمنية قصيرة، ولكن الحاصل أن القذافي لا يزال يقاتل ويموِّل ويحرِّك الوحدات ويدعم خطوط الإمداد بعد أربعة شهور.

٣ - لم تتأثر خطوط إمداد القذافي كثيراً بالحملة الغربية؛ خاصة القادمة من جهة الغرب «الجزائر» أو الجنوب «تشاد»؛ حيث شحنات الذخائر والأسلحة والمرتزقة، والمعروف عسكرياً أن قطع خطوط الإمداد أهم وسيلة لإنهاك قوات العدو.

٤ - ظلت مدينة مصراتة «الإستراتيجية» جهة الغرب تحت قصف قوات القذافي لأكثر من شهر دون أن يقوم الناتو بإجراءات فعالة لفك الحصار أو قمع القوات المحاصرة والمهاجمة، فقد كان يعني سقوط المدينة مبكراً في يد الثوار أن تتغير الموازين لصالحهم.

٥ - قصف طائرات الناتو ظلَّ غامضاً في أحيان كثيرة ومربكاً؛ فهو قد يتأخر دون سبب، وإذا جاء يصبح انتقائياً يدمر جزئياً وليس كلياً، وهو لا يبحث عن خطوط الإمداد، ولا يتابع القوات لأجل تصفيتها، كما يتأخر قليلاً حتى تدخل قوات القذافي إلى المدن ويصعب قصفها.

باختصار يمكننا القول: إن الناتو يدعم الثوار لكي يكسبوا معركتهم مع القذافي بـ «النقاط» وليس بـ «الضربة القاضية»؛ فهم يُعدُّون «طبخة سياسية» على نار هادئة، تسيل فيها الدماء وتنخفض الحماسة الثورية ويفقد الرأي العام العربي قدرته على المتابعة أو الحماسة أو الاقتباس أيضاً، وتبقى في النهاية فزاعة «النموذج الليبي»، وتخيل لو استخدم الحلف قدراته العسكرية على طريقة «الصدمة والترويع» هل كان يمكن لنظام القذافي أن يصمد طيلة هذه المدة؟

إنه ليس جيش العراق ولا سوريا، إنها مجرد وحدات قتالية مفككة تمتلك أسلحة ولا تمتلك قدرات بشرية، لو كان القذافي انهار في الأيام الأولى لِتَدخُّل الحلف، لكانت الثورة قد انتصرت في اليمن وفي ليبيا منذ زمن.

إذن، من يريد أن يلقي بنفسه إلى ذلك المصير «الفزاعة»: عدد من القتلى ربما يتجاوز عشرة آلاف، دمار واسع النطاق، انهيار اقتصادي، نزوح اللاجئين... إلخ؛ إنها عملية تعديل في كفتي الميزان، لتصبح كلفة الخيار الثوري باهظة عند مقارنتها بالأوضاع الحالية «المستقرة»، هنا تلوح الحكمة القديمة «عصفور في اليد ولا ثورة على الشجرة».

شهر القرآن
فرصتك
لتنال أجرك
وأجر غيرك بدعمك
آيبان مصرف الراجحي
SA 6080000
252 60 80 10 40395 9
الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ببريدة
شارع التغيرة - غرب مجمع المحاكم الشرعية
لاستقبال تبرعاتكم /
هاتف / 063269999 - جوال / 0553269999
العلاقات العامة والإعلام بالجمعية
الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ببريدة
نألق في سماء الخيرية

بإعتراف دراسة أمريكية

الحرب الأمريكية على (الإرهاب) خسائر بدون جدوى

د. أكرم عبد الرزاق المشهداني(*)

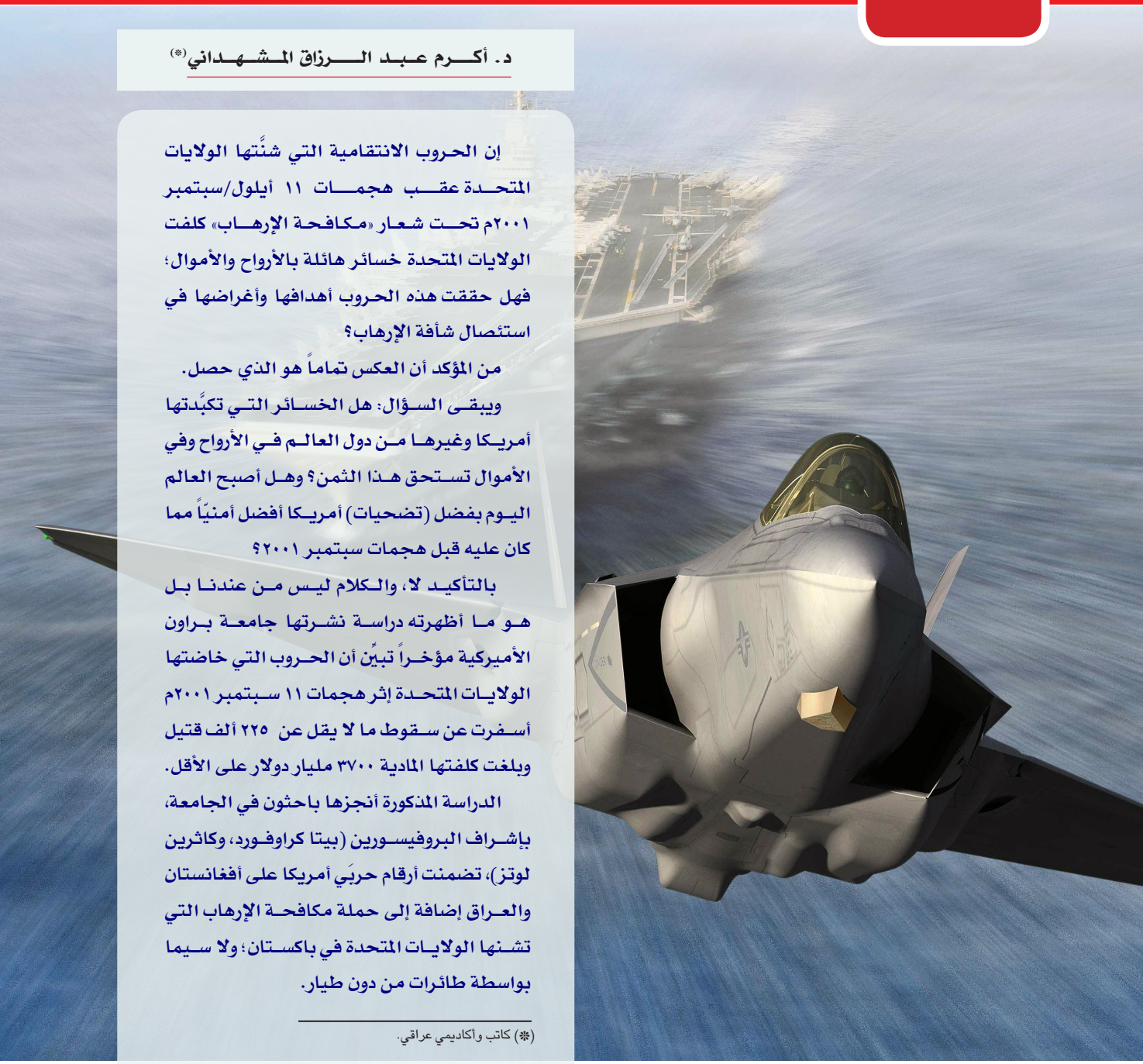

إن الحروب الانتقامية التي شنَّتها الولايات المتحدة عقب هجمات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م تحت شعار «مكافحة الإرهاب» كلفت الولايات المتحدة خسائر هائلة بالأرواح والأموال؛ فهل حققت هذه الحروب أهدافها وأغراضها في استئصال شأفة الإرهاب؟

من المؤكد أن العكس تماماً هو الذي حصل.

ويبقى السؤال: هل الخسائر التي تكبَّدتها أمريكا وغيرها من دول العالم في الأرواح وفي الأموال تستحق هذا الثمن؟ وهل أصبح العالم اليوم بفضل (تضحيات) أمريكا أفضل أمنيّاً مما كان عليه قبل هجمات سبتمبر ٢٠٠١؟

بالتأكيد لا، والكلام ليس من عندنا بل هو ما أظهرته دراسة نشرتها جامعة براون الأميركية مؤخراً تبيِّن أن الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة إثر هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أسفرت عن سقوط ما لا يقل عن ٢٢٥ ألف قتيل وبلغت كلفتها المادية ٣٧٠٠ مليار دولار على الأقل.

الدراسة المذكورة أنجزها باحثون في الجامعة، بإشراف البروفيسورين (بيتا كراوفورد، وكاثرين لوتز)، تضمنت أرقام حربَي أمريكا على أفغانستان والعراق إضافة إلى حملة مكافحة الإرهاب التي تشنها الولايات المتحدة في باكستان؛ ولا سيما بواسطة طائرات من دون طيار.

(*) كاتب وأكاديمي عراقي.

شهر قرآني
فرصتك لتنال أجرك
وأجر غيرك بدعمك
آيبان مصرف الراجحي
SA 6080000
252 60 80 10 40395 9

وجاء في الدراسة أن «حصيلة الضحايا المباشَرين لهذه الحروب تقدَّر في هذه المرحلة وبمنتهى الحذر بـ ٢٥٥ ألف قتيل وحوالي ٣٦٥ ألف جريح». أما عن توزيع هؤلاء القتلى فأظهرت الدراسة أن بينهم حوالي ٦٠٠٠ جندي أمريكي، و١٢٠٠ من القوات الحليفة، و ١٠٠٠٠ جندي عراقي، و ٨٨٠٠ جندي أفغاني، و ٣٥٠٠ جندي باكستاني، و ٢٣٠٠ من موظفي الشركات الأمنية الخاصة (المرتزقة). ولكن الفاتورة الأكبر هي التي دفعها المدنيون خلال تلك الحروب؛ حيث أزهقت الحروب الأمريكية أرواح ١٢٥ ألف قتيل مدني عراقي جراء العمليات الحربية، و ٣٥ ألف قتيل باكستاني و ١٢ ألف قتيل أفغاني. وبالمقابل فإن عدد (المتمردين أو الإرهابيين) حسب وصف الإدارة الأمريكية الذين قُتلوا في الحرب على الإرهاب المزعوم يتراوح حسب تقديرات الباحثين بين ٢٠ و ٥١ ألفاً.

ويبدو أن الباحثين ركزوا على الخسائر العسكرية والمدنية خلال الأعمال الحربية، ولم يشملوا بها الخسائر بالأرواح في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان التي تجاوزت المليوني ضحية من القتلى وأربعة ملايين من الجرحى والمعاقين، وتخريب البنية التحتية للبلدين.

ليس هذا فحسب – حسب الدراسة المشار إليها – بل إن الحرب الأمريكية أودت بحياة ١٨٦ صحافياً و ٢٦٦ موظف إغاثة إنسانية في العراق وأفغانستان والباكستان.

وأما المهاجرون من اللاجئين والنازحين هرباً من أتون الحرب الأمريكية على العراق وأفغانستان فقد بلغ عدد هؤلاء النازحين أكثر من ٨ ملايين شخص غالبيتهم من العراق وأفغانستان.

أما الكلفة المالية لهذه الحروب فكانت خيالية ومفجعة بحسب الدراسة؛ فقد بلغت الخسائر ٣٧٠٠ مليار دولار (أي حوالي ربع الدَّين العام الأمريكي) وتتضمن الميزانيات التي رصدها البنتاغون للعمليات والنفقات الإضافية لإدارة الأمن الداخلي وتلك الناجمة عن مكافحة الإرهاب.

تُرى أليس من حقنا ومن حق كل البشرية أن نتساءل: ماذا لو تم إنفاق هذه المليارات من الدولارات لمساعدة الفقراء والدول الفقيرة في العالم؟ هل كان هناك فقير في العالم؟ ولو قُدِّمت هذه الأموال ابتداء لمشاريع لاحتواء العاطلين، هل كان هناك بطالة تبقى في العالم؟

والأدهى من كل ذلك أن الإرهاب باعتراف أمريكا والدول الحليفة لها لم يتم القضاء عليه، بل قويت شوكته وانتشر وامتد إلى مواقعَ وساحات لم يكن يصلها من قَبْل.

ثم يبقى السؤال: هل العالم اليوم بات بفضل الحروب الأمريكية في وضع أمني أحسن مما كان عليه قبل عام ٢٠٠١م؟ بالتأكيد: لا، وألف لا.

لقد شن جورج بوش الابن (الرئيس الأمريكي السابق) حروبه على العراق وأفغانستان للانتقام من هجمات ١١ سبتمبر بادعاء أنه كانت للنظام العراقي صِلاتٌ بالقاعدة وقد ثبت بما لا يقبل الشك للحظة واحدة كذب هذه الادِّعاءات. كما ادَّعى بوش أنه شن الحرب على العراق لكون النظام العراقي يُشكِّل تهديداً للأمن القومي الأمريكي (وهي أكذوبة مضحكة يضحك منها الطفل الصغير). كما ادعى بوش وإدارته أنها للخلاص من أسلحة العراق للدمار الشامل وثبت عدم وجود هذه الأسلحة ولا أي أثر لها. وثبت كذب التهم والأسانيد التي ساقتها الإدارة الأمريكية المتغطرسة لشن الحرب العدوانية على العراق.

بعد ١٠ أعوام من شن الولايات المتحدة لحروبها على الإرهاب انتقاماً وثأراً من أحداث سبتمبر ٢٠٠١م المشبوهة، أو تلبية لنداء رباني تلقَّاه (المؤمن جداً) جورج بوش حسب ادعائه في إحدى خطبه من أن الربَّ أمَرَه بغزو أفغانستان والعراق. وبعد كل هذه الخسائر في الأموال والأرواح وتخريب المدن وإنهاك الاقتصاد العالمي، وإنعاش كلٍّ من تجارة السلاح، وتجارة المخدرات التي انتعشت بفضل الحروب الأمريكية، هل ستبقى إدارة الشر الأمريكية بعيدة عن متناول يد العدالة الجنائية الدولية، ومتى يحاكَم جورج بوش عما اقترفه من جرائمَ حرب وجرائمَ ضد الإنسانية وجرائمَ إبادة جماعية؟

لقد افتضحت مزاعم الحرب على الإرهاب التي لم تقضِ على الإرهاب ولم تجعل العالم أكثر أماناً، ولم تحقق رفاهاً ولا عدلاً ولا ديمقراطية، ولا أمناً ولا سلاماً؛ بل أنهكت الاقتصاد وأضاعت المليارات هباء بين حروب فاشلة وصفقات فاسدة وأعمال فساد منظم مارسه المحتلون وعملاؤهم، وأزهقت أرواح الملايين؛ فمتى يعاقَب المجرمون الذين أزهقوا الأرواح ودمروا الممتلكات وبعثروا المليارات في مغامرات غير محسوبة العواقب؟

انفصال جنوب السودان نتيجة؛ فما أسبابه؟

أسمـاء عبـد الـرازق

إن المتابع لكتابات وأقوال الساسة والمثقفين الجنوبيين يلاحظ أنهم يكادون يُجمِعون على أن أهم أسباب دعوتهم لفصل الجنوب عن السودان هي اضطهاد الشمالي للجنوبي، واعتبار الجنوبي مواطناً من الدرجة الثانية، وفرض الثقافة العربية الإسلامية على الأفارقة (النصارى والوثنيين)، وإهمال مشاريع التنمية في الجنوب وقصرها على أهل الشمال والوسط. ولا يمل كثير من كتابهم من ترداد مزاعم استرقاق الشماليين للجنوبيين حتى خلصهم من ذلك المحتل الإنجليزي، مع أن هذا المحتل كانت شركاته في وقت من الأوقات أكبر مصدَّر للرقيق من أفريقيا! فقد بلغ جملة ما صدَّرت الشركات الإنجليزية وحدها من الرقيق ما بين سنتي ١٦٨٠م - ١٧٨٦م ما يبلغ عدده ٢,١٣٠,٠٠٠ زنجي، واستمرت الأعداد في التصاعد بعد ذلك[١].

ولو سلَّمنا جدلاً بصحة هذه الدعاوى، فليس السودان ببدع من كثير من دول العالم؛ فكثير مما سلف موجود في بعض ما يسمى دول العالم الأول وكذلك الثاني والثالث. ولم يكن تمزيقها وتفتيتها خياراً مطروحاً لحل مشكلاتها، والتقسيم في الحقيقة ليس حلاً لتلك المشكلات، بل قد يكون طريقاً لتفاقمها وبدء عصر جديد من الحروب الدولية بسببها.

أما عبارة احتقار الشماليين للجنوبيين واضطهادهم ففيها مبالغة، والصحيح أن المجتمع فيه ثقافة قبائلية لا يُستغرَب معها تعالي القبائل بعضها على بعض، وهذا معروف بين الجنوبيين في ما بينهم. بل ربما كان الجنوبيون أسوأ من غيرهم في هذا الجانب، ومثل هذا عُرِف بين بعض القبائل العربية في القديم والحديث في السودان وغيره، كما أن التمازج بين الشماليين والجنوبيين، وتزاوجَهم موجود وإن كان محدوداً نظراً لأسباب دينية وثقافية وطبعية كتلك التي تحد من التمازج مع الصينيين مثلاً. كما أن مساواتهم في التعليم والعمل والعلاج وغيرها من الخدمات دليل على عدم تفريق الدولة بينهم منذ استقلال السودان، وأما قلة الجنوبيين النسبية في الخدمة العامة فمردُّها لتأخُّرهم في الاهتمام بالتعليم الحديث لأسباب ليست عرقية.

أما فرية فرض الثقافة الإسلامية والعربية على الجنوبيين، فهي من باب الكذب الصريح الذي لا يمكن ترقيعه، ولم يحدث هذا في تاريخ السودان إلا لمدة محدودة أيام حكم الفريق إبراهيم عبود - رحمه الله - كردٍّ فعل للنشاط الكنسي الأجنبي الساعي لفرض واقع معيَّن في الجنوب، ولو أن ثمة ديناً وثقافة

(١) ضرار صالح، تاريخ السودان الحديث، ص٧٦.

شهر قرآني
فرصتك لتنال أجرك
وأجر غيرك بدعمك
آيبان مصرف الراجحي
SA 6080000
252 60 80 10 40395 9

فُرضَت على الجنوبيين فهي النصرانية والثقافة الغربية وما في ذلك شك.

ولو كان آخر هموم المسلمين نشر ثقافتهم ودينهم بين أبناء الجنوب لما حدث الذي حدث؛ فالدعوة الإسلامية في الجنوب اقتصرت - في الغالب - على جهود أفرادٍ من التجار، وهؤلاء ما كان بينهم وبين أبناء الجنوب إلا الود والتقدير؛ بل ربما شهدوا لهم بالفضل عليهم، وقد أشار جوزيف لاقو[1] في مذكراته إلى أنه من عادة قبيلتهم تسمية المولود بعدد من الأسماء، وأنه اختار لأحد أبنائه اسم حسن (بالإضافة لأسماء أخرى) على اسم الفكي حسن، التاجر المسلم الذي كان يدرِّس أبناء القرية القرآن في أوقات فراغه دون مقابل، وأن خلوته[2] أسهمت في محو أمية أولئك الأطفال. وذكر لاقو في مذكراته قصة زواجه من آمنة المسلمة التي تنتمي لأب شمالي وأم جنوبية، وحماية أقاربها له أيام الانتفاضة الشعبية سنة ١٩٨٥م[3]. وأشار كذلك في مذكراته إلى أن أحد الأسباب التي مكنته من الإمساك بزمام الأمور في الغابة أيام التمرد رغم أنه من قبيلة ضعيفة أنه كان قادراً على الحديث بعربية جوبا، وهي عربية مكسرة تُعَد لغةَ التخاطب بين أبناء الجنوب على اختلاف قبائلهم ومشاربهم. وأشار في مذكراته كذلك إلى ارتباط الدراسة في المدارس الكنسية التي لم يكن في الجنوب غيرها بالتعميد، وذكر التنافس بين الكاثوليك والبروتستانت وكيف تنازل الكاثوليك عن تحريم تعدد الزوجات الذي كان شائعاً بين الجنوبيين، ومن ثَمَّ تسهيل تعميد أبناء المعددين واعتبارهم أبناء شرعيين، ثم قَبُولهم في مدارسهم، ونشر المذهب بينهم، كما أشار إلى أن دافعه إلى التعميد بجانب حرصه على التعليم كان التخلص من كلمة (وثني) Pagan التي تطلَق على غير المعمَّدين على سبيل التعيير، وأن الدخول في إحدى الديانتين (الإسلام أو النصرانية) واستبدال الأسماء المحلية بأخرى عربية أو نصرانية كان موضة.

ومعروف أن الإنجليز بذلوا جهوداً وأموالاً لجعل الإنجليزية لغة التخاطب في الجنوب، وإحلال النصرانية بمذاهبها المختلفة مكان الديانات الموجودة، فجُعلت الإنجليزية لغة التعليم، ومُنِع الحديث بغيرها في أي شيء رسمي، حتى التلغرافات لم يكن يُقبَل إرسالها أو استقبالها ما لم تكن بالإنجليزية، وقد أشير إلى ذلك في الوثيقة التي قدمها وفد السودان إلى مصر سنة ١٩٤٦م بعنوان (مآسي الإنجليز في السودان)[4]. أما البطش بالعرب والتنكيل بالمسلمين ومنعهم من الجهر بشعائرهم فكان من أهم أساليب مقاومة التعريب anti- arabication. كما كان يذكر في المكاتبات الرسمية، وقصة إعدام الخياط الشمالي لأنه خاط ثوباً عربياً لأحد أبناء الجنوب مذكورة في الكتب التي تناولت سياسة المناطق المقفلة التي انتهجها الإنجليز في كثير من مناطق السودان.

أما لجوء حكومة الفريق إبراهيم عبود إلى سنِّ قانون التبشير وطرد القسس الأجانب فكان سببه سياسياً لا دينياً؛ فقد رأى خطر هؤلاء ونشاطهم السياسي المعادي للدولة، فوافقت سياسته الحكيمة في ذلك الشأن مقتضى الشريعة فحمد الناس ثمرتها زماناً.

وأما تحويل العطلة من يوم الأحد إلى يوم الجمعة فلا ينبغي أن يكون محل استغراب، بل الغريب أن يكون لكل جزء في القطر يوم عطلة؛ لا سيما أن حرية العبادة مكفولة، والنصارى أقلية في الجنوب، شأنهم شأن الأقليات المسلمة في كل مكان في الدنيا. ولو كان ثمة تصرُّف يثير الريبة فهو قرار السكرتير الإداري الإنجليزي سنة ١٩١٧م القاضي بتحويل العطلة من يوم الجمعة إلى يوم الأحد في الجنوب فقط، ثم أتبع ذلك بقانون المناطق المقفلة سنة ١٩٢١م، وإطلاق يد المنظمات الكنسية في الجنوب قبيل ذلك.

أما الإشارة إلى الجنوبيين بـ «الأفارقة النصارى والوثنيين» فحق مُزِج بالباطل؛ فالكثرة الغالبة من الجنوبيين وثنيون أو أصحاب معتقدات (أرواحية) كما يقولون عن أنفسهم، ونِسَب المسلمين والنصارى متقاربة، وهؤلاء في الغالب من المتعلمين الذين درسوا في مدارس الإرساليات أو نزحوا إلى الشمال واختلطوا بالمسلمين.

أما قصة استرقاق الشماليين للجنوبيين، وربط ذلك بالعرب المسلمين فتلك دعاية كنسية استعمارية لجأت إليها الكنيسة والاحتلال الإنجليزي للمباعدة بين أبناء الشمال والجنوب، وللحيلولة دون انتشار الإسلام والثقافة العربية في الجنوب. والحقيقة أن أول من ابتدر تجارة الرقيق في السودان هو محمد علي باشا المؤيد بالإنجليز، وهو لم يكن سودانياً شمالياً بل ولا عربياً أصيلاً، ولم يفعل ذلك باسم الإسلام؛ بل لأغراض اقتصادية، وأطماع شخصية، وقد استبسل المسلمون من أهل الشمال في صد جيوشه لكن تغلَّبت عليهم الأسلحة الحديثة. كما

(١) قائد الأنيانيا - وهي حركة تمرد تكونت سنة ١٩٦٢م، وكلمة أنيانيا تعني السم - الذي وقع على اتفاقية مع الحكومة السودانية سنة ١٩٧٢م توقفت بعدها الحرب بين الجانبين عشر سنوات، وهو ضابط نصراني.

(٢) كُتَّاب، يُقتصر فيها على تدريس القرآن والقراءة والكتابة ومبادئ الحساب.

(٣) لأنه كان جزءاً من النظام الذي أسقطته الانتفاضة، ولا يخفى ما في زواجه بمسلمة من مخالفة للشريعة تنم عن جهل كثير من مسلمي تلك الأصقاع بالشريعة.

(٤) وهي وثيقة مهمة فيها تبيان لسياسة الإنجليز في فصل مصر عن السودان، وتقسيم السودان، وهي دليل على أن التقسيم همٌّ غربي قديم.

شـــارك الإنجليز والتجار من الرومان والسوريين وغيرهم ممن عملوا بالتجارة في تلك المناطق في ذلك، وشـــارك كذلك أبناء الشـــمال والجنوب، بعضهم مضطراً لذلك وبعض آخر متكسباً. هـــذا غير أن تجارة الرقيق كانت نشـــاطاً اقتصادياً قانونياً في ذلك الزمان في كل الدنيا شـــأنه شـــأن تجـــارة العاج والذهب وغيـــره وقد فضَّله كثير من التجار والدول على غيره لقلة كلفته وكثرة أرباحه، وأثره المباشـــر على التنمية الصناعية، والنهضة العمرانية، وكما هو معروف فقـــد قامت الولايات المتحدة على أكتاف العبيد، وشاع الاسترقاق عند الرومان واليونان ومارسته إســـبانيا وبريطانيـــا والبرتغال وغيرها من القـــوى المتغلبة في ذلك الوقت، وما تحمســـت بريطانيا لإلغائه إلا لضرب الولايات المتحدة وإسبانيا والبرتغال اقتصادياً.

وأما قضية تهميش الجنوب واستثنائه من مشاريع التنمية فيشهد الواقع بخلافها؛ فحال الجنوب رغم الحروب المتطاولة، وطبيعة الغابات والأدغال يشـــابه إن لم يكـــن خيراً من حال كثير من مناطق السودان في الشمال والغرب والشرق. صحيح أن المشـــاريع التنموية التي أُنشِـــأت في الجنوب كانت نتيجة لاتفاقية الســـلام سنة ١٩٧٢م ولم تنشـــئها الحكومات ابتداءً، لكن لم يكن سبب الإهمال والتقصير هو التحيز لأهل الشمال أو غيرهم، بل حقيقة الأمر فســـاد مالي وسوء إدارة، وتوسيد الأمـــور إلى غير أهلها من المتخصصـــين والمخلصين. فَضَعْف الأداء الحكومي، وســـوء الخدمات الاجتماعية، وقلة مشاريع التنمية التي تلبي حاجات الناس الأساســـية، والفقر، كل تلك أسباب رئيسية في كل تمرد أو ثورة في كل أجزاء البلاد.

أما الأسباب الحقيقية المهمة لتصويت جُلّ الجنوبيين للانفصال فمنها:

أولاً: التعبئة العنصرية والكنسية، وشحن الجنوبيين على العـــرب المســـلمين، وتصويرهم على أنهم مســـتعمرون، وهذا الشـــحن يروج على المثقفـــين؛ فكيف بغيرهم؟ وقد شـــهدتُ تحول إحدى الزميلات الجنوبيات المســـلمات في الجامعة إلى النصرانية، وكانت تنتمي للجبهـــة الوطنية الإفريقية ANF؛ وهي تنظيم عنصري كان يناصـــر حركة التمرد في الجامعة، ودافعها الأساســـي للارتداد عن الإسلام هو شَحْنُها بأنه دين مَن اســـتعبدوا أجدادهم، وهضموا حقوقهـــم. فهذه الدعاوى راجت على مثل هذه التي كان أهلها مســـلمين. وكذلك مجزرة سنة ١٩٥٥م التي ارتُكبَت في الجنوب، أبيد فيها الشماليون في الجنوب لمجرد أنهم شـــماليون (أطفالاً ونساء ورجالاً)، فكانت دليـــلاً على عنصرية متمـــردي الأمس ورغبتهـــم في الانتقام والتشفي جراء الشحن الغربي. والمؤسف أن الجماعات المسلحة المتمردة، أو بعض الجماعات المدنية المعارضة المتبنية لانقســـام مناطقهم عن الســـودان في الغرب أو الشرق أو الشمال تضرب على الوتر نفسه، وتتحزب على الأساس نفسه، ولا سبيل لعلاج هذا الإشـــكال وإزالة ذلك الإسفين إلاَّ بتقرير مبادئ الإسلام: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، و «كلكم لآدم وآدم من تراب»[1]، لا بالفلكلور والمهرجانات السخيفة.

ثانيـــاً: الضغـــوط الخارجية والتدخلات الأجنبية ســـواء مـــن دول الجوار التي كانت تنطلق منها حركـــة التمرد، وتُقدِّم لها الأسلحة ومعســـكرات التدريب وغير ذلك، وتستخدم هذا الأسلوب ورقة ضغط على الحكومة للوصول لاتفاقات تستفيد منها في حل مشـــاكلها الداخلية، أو المؤسســـات الكنســـية، أو المنظمات الطوعية والخيريـــة التي تمثل في حقيقتها واجهات لوكالات استخباراتية، بالإضافة إلى الدول الغربية البعيدة التي كانت تدعم وترفد وتعلم وتخطط.

ثالثـــاً: ســـوء الإدارة الذي بليت به البلاد منذ الاستقلال، وهـــو الذي أهدر مـــوارد البلاد، وأفقر النـــاس، وحرمهم من الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية.

رابعاً: إن فقدان الثقة بين أبناء الشمال والجنوب جعل كل طرف ينظر بعين الريبة لكل تصرُّف، ولعل الأخطاء السياســـية منذ استقلال السودان عمقت الإحســـاس بعدم اطمئنان أحد الطرفين إلى الآخر.

وثمة ســـوى ما ذكر كثيـــر، لكن المهم أن مشـــكلة دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق تتكرر فيها العوامل نفسها، وشرق السودان مرشح للسيناريو نفسه، وإننا لنرجو أن تفيق حكومتنا وتتعظ من هذه التجربة المحزنة؛ لتقي البلاد من شر الاحتراب والتمزق، ولا يكون ذلك بغير رؤية إسلامية تسوي بين المسلمين وتجمع كلمتهم. أما التعويل على الرِّشـــا، والولاءات التنظيمية لا الشرعية، والاستجابة لضغوط الغرب، وتقريب من يجب أن يقصى، وكذلك العكس، والتساهل في الإدارة، وعدم سماع كلام النصحة؛ ولا ســـيما من أهل العلم، وتقديم آراء الساســـة على مقررات الشـــريعة بدعوى المصلحة، وإيثار التنازل بالمجان على إراقة الدماء في جهاد يحمل غايات الجهاد السامية؛ فكل ذلك عاقبته ســـتكون وخيمة على البلاد وقد كانت، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

---

(١) أورده الشيخ الألباني – رحمه الله – في السلسلة الصحيحة بلفظ: «الناس ولد آدم وآدم من تراب».

لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ

يسر

دار السلام للنشر والتوزيع

أن تقدم

بمناسبة

شهر رمضان المبارك

خصم خاص
لمكاتب الجاليات
والتوزيع الخيري

بجميع فروعها

الرياض - جدة - الخبر القصيم - خميس مشيط

كتب عربية ـ كتب أجنبية
مجموعات دعوية لغير المسلمين
مجموعات للمسلمين الجدد

أشهر الإصدارات العربية

مكتبة طالب العلم

موسوعة الحديث الشريف

المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير

فتح الباري شرح صحيح البخاري

(١٥ مجلدًا)

أشهر الإصدارات الأجنبية

ترجمة معاني القرآن الكريم

بـ ٢٣ لغة

مكتبة إسلامية (إنجليزي-فرنسي-أردو)

تفسير ابن كثير إنجليزي ١٠ مجلدات

كتب المرأة - كتب الأطفال

المكتب الرئيسي الرياض: ٤٠٣٣٩٦٢-٤٠٤٣٤٣٢ فاكس: ٤٠٢١٦٥٩ الفروع: العليا: ٤٦١٤٤٨٣ الملز: ٤٧٣٥٢٢٠ السويلم: ٢٨٦٠٤٢٢
السويدي: ٤٢٨٦٦٤١ مندوبون: ٠٥٠٥١٩٦٧٣٦ - ٠٥٠٣٤٥٩٦٩٥ - ٠٥٠٤٤٠٥٩٤٣ جدة: ٦٨٧٩٢٥٤ الخبر: ٨٦٩٢٩٠٠
المدينة المنورة: ٨٢٣٤٤٤٦ - ٠٤ خميس مشيط: ٠٥٠٠٧١٠٣٢٨ القصيم: ٠٥٠٣٤١٧١٥٦ ينبع البحر: ٠٥٠٠٨٨٧٣٤١ الكويت: ٩٦٠٠٨٤٥

Email: darussalam@awalnet.net.sa
Website: www.darussalamksa.com

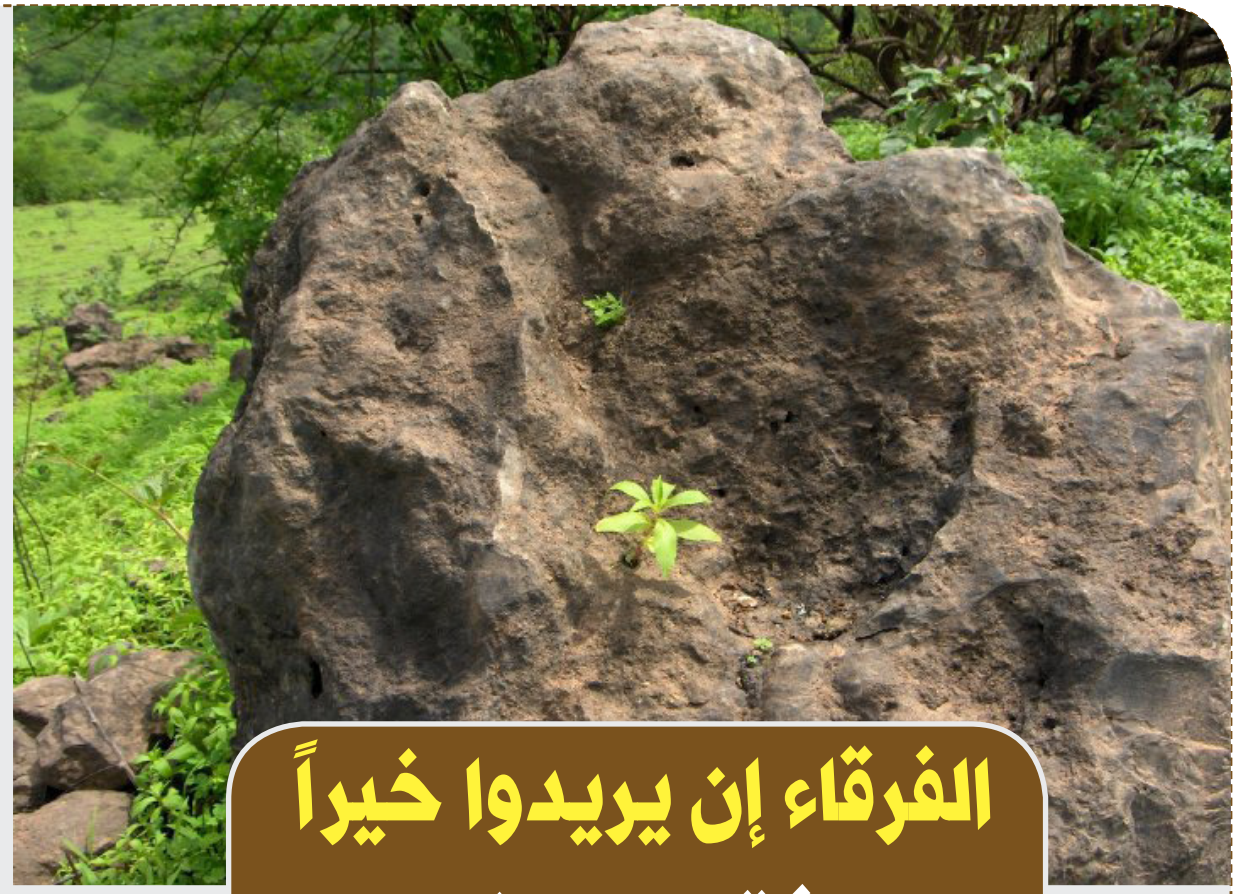

الفرقاء إن يريدوا خيراً يوفق الله بينهم

د. مصطفى يوسف اللداوي

﴿إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّـهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]، آيةٌ في كتاب الله – عز وجل – وهي قاعدة أساسية في أصول فَضِّ النزاعات والخلافات وإنهاء التشتت والانقسام، والقطيعة والخصام، وعلى أساسها تُبْنَى نتائج الحوارات والمفاوضات؛ فهي تضع الشروط الضامنة لحل أي مشكلة وتجاوز أي أزمة، وتنبئ المحاورين مسبقاً بنتائج الحوار، وترسم حقيقة المآلات والنهايات، وفيها تأكيدٌ من الله – جلَّ في علاه – أن يوفق بين الفرقاء، وأن يقرِّب بين وجهات نظرهم، وأن يلقيَ في قلوبهم المحبة والسكينة والوفاق، وأن ينزع ما في قلوبهم من غلٍّ وحقدٍ وشحناء، ويزيل كل أسباب القطيعة والخلاف. ولكن البارئ – عز وجل – يشترط في المفاوضين حسن النية، وسلامة الطوية، ونقاء الصدر، وشفافية القلب، وأن تكون مقاصدهم من الحوار نبيلة وشريفة، وغاياتهم صادقة وأمينة؛ فلا مصالح ذاتية وغاياتٍ فردية، ولا محاولاتٍ كيدية ومساعٍ تغريرية، ولا مفاوضاتٍ سرية وقنواتٍ خلفية، ولا محاولاتٍ للالتفاف وجهودٍ للإفشال، ولا رعاة مخادعين، ووسطاء غير نزيهين، ولا أجواء شحناء ومناخات فتنة؛ وإنما قلوبٌ صافية، وضمائر حية، ونوايا صادقة.

فهل يدرك المحاورون الفلسطينيون في القاهرة هذه القاعدة الربانية، ويعرفون أن الله – عز وجل – يرقبهم ويتابعهم ويعرف خبايا نفوسهم وخفايا عقولهم، ويسجل عليهم خطواتهم وسكناتهم وكلماتهم وهمساتهم؛ فلا يستطيعون الكذب عليه – عز وجل – ولا خداعه ونفاقه، ولا تضليله والمناورة عليه، وأن نتيجة حواراتهم ولقاءاتهم منوطة بمدى صدقهم وإخلاصهم؛لذا فإن عليهم أن يكونوا صادقين مع الله أولاً ثم مع أنفسهم وتجاه أهلهم وشعبهم، وأن يكونوا لهم خير مندوبين ومفوضين، فالرائد لا يكذب أهله، ولا يخون عشيرته، ولا ينقلب على مصالحهم وشروطهم، كما ينبغي أن تكون غايتهم المصالحة، وهدفهم

آيبان مصرف الراجحي
SA 6080000
252 60 80 10 40395 9
فرصتك لتنال أجرك
وأجر غيرك بدعمك
شهر قرآني

إنهاء الانقسام، واستعادة الوحدة الفلسطينية، ولمّ شمل الشعب الفلسطيني، وجمع شتاته الذي أصابه التشرد والضياع، واستعادة صورته النقية وسيرته البهية ومقاومته الشريفة الأبية؛ علَّ الله يبارك في مساعيهم، ويكلل جهودهم بالنجاح والتوفيق، ويحقق لهذا الشعب آمانيه وطموحاته، ويلبي آماله وغاياته، ويستجيب إلى دعوات نسائه وأطفاله، ونداءات المخلصين من أبنائه، ويحفظ دم شهدائه، ومعاناة أسراه وجرحاه، ويعوض أهلهم عما أصابهم خيراً.

والشرط الرباني لنجاح المفاوضات والحوارات واضحٌ جليٌّ لا لَبْس فيه ولا غموض: فهو النية الصادقة، والمسعى الخالص، والله هو الشاهد على ذلك والحكم عليه.

إن النية الصادقة والرغبة في الاتفاق تعني أن نجرد أنفسنا من حظوظ النفس وحسابات الذات والمصالح الخاصة والمكاسب الفئوية، وأن نبدأ من ساعتنا في وأد كل أسباب الفتنة والخلاف، وتجاوز كل معوقات المصالحة والاتفاق، ولنتفق على رجلٍ جامعٍ حكيمٍ صادقٍ مشهود له بالسيرة الحسنة ونقاء الصفحة، وخلوٍ ماضيه من التآمر والتحايل والفساد، ويكون محل إجماعٍ من كل الأطراف، ويحوز رضا كل الأهل، والشعب الفلسطيني فيه كثير من الشرفاء الأطهار الأنقياء، من ذوي الخبرة والكفاءة والسيرة العطرة الحسنة، ممن لهم سابقة في المقاومة والمعاناة، قدموا تضحياتٍ بالمال والنفس والولد، ولديهم الاستعداد الصادق لأن يكونوا في خدمة شعبهم كله، وأن يرفعوا عنه المعاناة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ممن لا يلتزمون بغير العهد مع شعبهم، والميثاق مع أهلهم، ولا يلجؤون إلى عدوهم ولا يستنصرون به على شعبهم، فهؤلاء لا نتشرف بهم ولا نقبل أن يكونوا على سدة الحكم في أرضنا، ونخجل من طرح أسمائهم قادةً لنا، ورؤساء لحكوماتنا. وفي الشعب الفلسطيني من لا يرى في المنصب تشريفاً بل تكليفاً، ومن يعتبره أمانةً وتمحيصاً وابتلاءً واختباراً، ومن يراه مغرماً لا مغنماً، ومضماراً للتنافس في خدمة الشعب وليس مجالاً للكسب والإثراء والمنفعة الذاتية الشخصية.

أما النية الصادقة فتعني المباشرة الفورية في وقف كل الحملات التحريضية والدعائية ضد الآخر الفلسطيني، والتخلص من كل الأوهام والشروط السابقة، والانعتاق من كل المرجعيات المتآمرة، والالتفات إلى مصالح الشعب الفلسطيني، الذي دفع وحده دون غيره ضريبة الانقسام: حصاراً وحرماناً، وقتلاً وعدواناً، وجوعاً ومرضاً وموتاً، وتشويهاً للصورة، وحرفاً للبوصلة، وتشتيتاً للجهود، وضياعاً للفرص، وليكن وقف حملات التحريض هو الخطوة الأولى في مسيرة الوفاق؛ فلا أبواق فضائية تتهم وتخوِّن وتشحن وتحرِّض، ولا أقلام وصحافة تجدف وتشوِّه وتسعِّر نار الفتنة، ولا قادة ومسؤولين يخربون ويفسدون حرصاً على مصالحهم، وخوفاً على مناصبهم، وأملاً في بقاء الحال على ما هو ليكون لهم دور ووظيفة؛ إذ لا قيمة لوجودهم في ظل معافاة الوطن وسلامة صفه واتفاق أهله.

والنية الصادقة تعني توفير العيش الكريم لكل أبناء الشعب الفلسطيني، وعودة جميع العاملين والموظفين إلى أعمالهم ووظائفهم، وإعادة رواتبهم ومستحقاتهم، والتوقف عن إجراءات الفصل التعسفي، والحرمان الوظيفي على قاعدة الانتماء الحزبي والتنظيمي؛ فلا محاربة لأبناء الشعب في لقمة عيشهم، وفي قوت أسرهم وحليب أطفالهم؛ فهؤلاء جميعاً هم أبناء الشعب الفلسطيني، وكرامتهم كرامة لنا جميعاً، وعزتهم عزة للوطن كله، ومهانتهم ضعفٌ للشعب وكسرٌ لشوكته وإضعافٌ لصموده وإرادته، ولعل عودة جميع العاملين من كل القوى والفصائل إلى أعمالهم يعيد رسم الصورة الجميلة للشعب الفلسطيني، تلك الصورة القائمة على الوحدة والتفاهم والالتقاء في ظل التنوع والتميز والاختلاف، وهي التي تعني القوة والتحدي والإرادة.

إن النية الصادقة تعني تبييض السجون كلها، والإفراج عن المعتقلين جميعاً، فلا شيء يؤلم النفس ويدمي القلب ويخز الضمير أكثر من المعتقلين في السجون الفلسطينية، ولا شيء يرضي أهلنا ويدخل الفرحة والمسرة في قلوبهم سوى رؤية أبنائهم أحراراً طلقاء؛ فلا أمنٌ يلاحقهم، ولا محققون يجلسون معهم، ولا سجانون يعذبونهم ويسيئون إليهم، ولا ملاحقات واستدعاءات أمنية لهم، ولا شهادات سلامة تبرئوهم وأخرى تدينهم، ولا معلومات أمنية تقدَّم إلى العدو عنهم؛ فلا مكان في ظل المصالحة لمكاتب التنسيق الأمني وتبادل المعلومات المشتركة؛ وإنما لجانٌ وطنية مشتركة، تضم كل القوى الفلسطينية، وأطياف الشعب كله، ممن يحرصون على الوطن، ويؤمنون بوحدة الأرض والشعب، ويسعون إلى التحرير والانعتاق وبناء الدولة والاستقلال.

كلام الله الخالد هو الحق الفاصل المبين، وهو الصدق والعدل واليقين. فإن كانت النوايا صادقة كانت النتائج مرضية وسيباركها الله، وإن كانت النفوس خبيثةٌ مريضة تسعى لمصالحها وتخدع شعبها وأهلها، فإن النتيجة ستكون انقساماً أعمق، وخلافاً أشد، وفرقةً أبعد، وسينزع الله البركة منهم، ولن تكون فيهم الخيرية، وسيأتي مِن بعدهم مَن ينقلب عليهم ويرفضهم ويستبدلهم؛ لأنهم يكذبون ولا يصدقون، ويتآمرون ولا يخلصون.

الدولة الصهيونية... من النبذ إلى الدعم!

كـــريم خـشـبـة

كل مـا يخالـف سُـنة اللـه فـي الأرض فهـو مخالف للطبيعـة الكونية؛ لذلك اسـتحال أن تتقبل الطبيعة ما لم يقدِّر لها الله أن تعتاد عليه.

هاتـان جملتـان خفيفتان على اللسـان، ثقيلتان في حق إسرائيل والعرب والمسلمين؛ فإسرائيل دولة ولدت من لا شيء؛ ليس لها إرث حضاري ولا ثقافي يساعدها لتقيم دولـة. وليس لأهلها (اليهود) القابلية في أن يعيشـوا مع جنـس من دون جنسـهم؛ ذلك لما تنـصُّ عليه توراتهم من عقيدة (الترانسفير)وهي طرد الجوييم[1] من أراضيهم.

لذلك كثيراً ما نبذتهم شـعوب أوروبا؛ نظراً لما وجدوا فيهـم مـن عنصريـة فـي المعاملـة؛ ذلـك بأنهـم يؤثِرون أنفسهم ويعتبرون أنفسهم الأعلين. ويكأن الدعم الغربي الـذي لاقـاه اليهود منذ تيـودور هرتزل منـذ مؤتمر بازل ١٨٩٧م وحتـى يومنا هذا، جـزءٌ منه هو لإبعاد اليهود عن المجتمعـات الغربية. فكان هذا هو السـبب الأول للتحول من نبذهم إلى دعمهم.

(١) الجوييم: كل من هو غير يهودي.

وفـــي عام ١٩١٧م بدأ يشـــيع علنـــاً الدعم الغربي لإقامة دولة لليهود على أرض فلســـطين، بعد أن كانوا في تردد أيـــن تقام الدولة: في إفريقيـــا (أوغندا)، أم آســـيا (العراق)، أم أمريكا الشمالية (كندا)، أم أمريكا اللاتينيـــة (الأرجنتين)؟ حتى اســـتقر بهـــم الحال في فلسطين. فاستقرارهم على أن تكون أرض فلسطين هي موطنهم – كونها كما يدَّعون: أرضاً بلا شـــعب – جعل بعـــض الناس يرى في ذلك أنـــه بداية لصراع عقائدي بين اليهودية في ثوبها الصهيوني وبين الإســـلام؛ لكون المسلمين أصحاب أرض فلسطين؛ ففي عام ١٩١٧م بدا أمر غريب؛ فعلى الرغم مما عاناه اليهود من مضايقات فـــي دولهم الأوروبية، فقد وجدوا من الأوروبيين من هو عون لهم. ومن ذلك صـــدور تصريح بلفور عام ١٩١٧م على يد وزيـــر الخارجية البريطاني آنذاك (أرثر بلفور) الـــذي كان يَدِين بالنصرانية الصهيونية، في أوَّل فترات (الانتداب) البريطاني لفلسطين.

ويُعَدُّ الســـبب الثانـــي للتحول من النبـــذ الغربي لليهود إلى دعمهم: هو بروز القيـــادات المؤمنة بالرؤية الصهيـونية في الدول الغربية.

شهر قرآني
فرصتك لتنال أجرك
وأجر غيرك بدعمك
آيبان مصرف الراجحي
SA 6080000
252 60 80 10 40395 9

وفي وقتنا الحاضر، أرى سبباً ثالثاً يدفع الغرب لزيادة المدد لدعم دولة العدوان أو يهود الشتات، وهو ما توصَّل له هذا الكيان الصهيوني من تقدُّم؛ خاصة في مجالات البحث العلمي والتكنولوجيا وصناعة الأسلحة. فقد تمكَّن هذا الكيان من ربط علاقاته بدول تحوَّلت من العداء المطلق له إلى الدعم غير المتناهي: إما بطريقة مباشرة لحماية الدولة نفسها، وإما بطريقة غير مباشرة بكف الأذى عنها، من أمثال أستراليا، التي رفضت في بادئ الأمر الاعتراف بها حتى سنة ١٩٨٨م.

وثمَّة سبب رابع للدعم الذي تتلقاه تلك الدولة: هو تمكُّن يهود الشتات من التأثير على دوائر اتخاذ القرار ليس فقط في الدول النامية، وإنما في الدول المتقدمة والعظمى منها؛ فألمانيا - على سبيل المثال - بدأت تشعر بالندم والرغبة في التكفير عما ارتكبته النازية في حق اليهود؛ فمنذ عهد كونراد أديناور (المستشار الألماني عام ١٩٤٩م) حتى أنجيلا ميركل (المستشارة الحالية) كلهم يشعرون بالأسف ويعوضون ذلك في أشكال مختلفة من التعاون (سياسياً واقتصادياً وثقافياً). إضافة إلى اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة المتمثل بالأساس في لجنة الشؤون العامة (الأمريكية - الإسرائيلية) AIPAC وغيرها من المنظمات التابعة للمسيحيين الصهاينة. فلا يخفى مدى تأثير هذا اللوبي على السلطتين (التنفيذية والتشريعية) في الولايات المتحدة، وأقرب دليل نجده في ما جرى من مناقشات في الكونغرس الأمريكي لرغبتهم في ربط حق العودة للفلسطينيين بنظيره لليهود.

وسبب خامس أراه مهماً في هذا الصدد: هو وجود دافع عقائدي عند بعض ساسة الغرب وجماعات الضغط التي تتبنَّى المذهب الإنجيلي الصهيوني، أو المسيحية الصهيونية؛ فكلاهما يشترك في رؤية قدوم معركة هرمَجدُّون وبناء هيكلهم المزعوم على أنقاض الإرث الإسلامي المتمثل في المسجد الأقصى.

أردتُ في البداية أن أوضح أسباب تحوُّل سياسات الغرب من النبذ لليهود، قبل قيام دولتهم وبعده، لأنتقل إلى نقطة مظاهر دعم الدول العظمى ودول كانت مناوئة ثم باتت بعد ذلك حليفة مؤيدة.

أولاً: تُعَدُّ الولايات المتحدة الأمريكية من أقدم الدول تأييداً للكيان الصهيوني (سياسياً واقتصادياً) على وجه الخصوص. أما سياسياً، فقد كانت بدايات تجمعات المنظمة الصهيونية تتم في ولايات أمريكية. ونتيجة الضغوطات سمح الرئيس الأمريكي ترومان بهجرة أعداد كبيرة من يهود الولايات المتحدة إلى أرض فلسطين؛ حتى يتسنَّى للكيان الصهيوني أن تكون له ديموغرافية تساعد على قيام الدولة.

ولعل التأييد الأمريكي غير المتناهي للكيان الصهيوني ترجع أصوله إلى أيام ولادة الدولة الأمريكية بهجرة كثير من البروتستانت نتيجة الاضطهاد الديني في أوروبا إلى أمريكا؛ حيث واجه البروتستانت مقاومةَ أهل البلد الأصليين (الهنود الحمر) وأخذوا يذبحونهم، ولم يجدوا ما يضفي الشرعية على أفعالهم إلا في (العهد القديم)؛ ولذلك لم يكن غريباً أن تحمل أول مجلة أمريكية صدرت عنوان (اليهودي)، وأن تكون

أول درجة دكتوراه منحتها جامعة هارفارد بعنوان (العبرية اللغة الأم) عام ١٨٤٢م.

وكان لظهور المذهب البروتستانتي تأثيره على نشأة النصارى الصهاينة (المسيحيين الإنجيليين)؛ فهم أصحاب ديانة يشتركون مع الصهاينة في نبوءاتهم التوراتية. وكان بعض الباحثين يرى في المذهب البروتستانتي الذي ظهر على يد مارتن لوثر بداية للتعاون النصراني اليهودي (الصهيوني)؛ حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية آنذاك تصف لوثر بأنه يهودي، فقد كتب كتاب (المسيح ولد يهودياً) قائلاً فيه: (إن اليهود هم أبناء الرب ونحن الضيوف الغرباء وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها).

فكان لهذا المذهب البروتستانتي بصماته الواضحة على الرؤساء الأمريكيين؛ فهذا الرئيس كالفن كولديج في عام ١٩٢٤م أبدى إيمانه بالوطن القومي لليهود في فلسطين، وكذلك كارتر الذي وصف نفسه بأنه نصرانيٌّ مؤمنٌ بأن هناك أمراً إلهياً بإنشاء دولة يهود. وأخيراً بوش الابن الذي عبَّر في إحدى تصريحاته عن بعض ما يُخفي في صدره قائلاً: إنه أراد منح السياسة الأمريكية رؤية مستوحاة من التوراة.

وبذلك توضح السطور الفائتة أصل وواقع ومدى التأييد الأمريكي للكيان الصهيوني. فللأمر إذن بُعْد ديني، وهو ليس البُعد الوحيد الذي هو بطبيعة الحال معتقَد يُعقَد به إدراكهم ومن ثَمَّ أفعالهم التي تنبثق من إدراكهم؛ فترى الولايات المتحدة في إسرائيل حليفاً أساسياً، عالمياً وإقليمياً.

ولذلك – حفاظاً على أمن تلك الدولة المعتدية – تسعى الولايات المتحدة لإدماجها في المنطقة العربية. ولكي يتحقق الإدماج (وليس الاندماج) يجب أن يتغير مصطلح (المنطقة العربية) لينطبق على المسمى الذي يضم دولة (أو دولاً) غير عربية. فظهرت في تسعينيات القرن المنصرم مبادرة الشرق الأوسط الكبير من قِبَل شمعون بيريز (الرئيس الصهيوني الحالي). هدفت تلك المبادرة إلى التعاون بين دول المنطقة على أن تقدم دولة الصهاينة الدعمَ التقني مقابل الدعم المادي من قِبَل العرب. وفي هذا إشارة ضمنية إلى غياب العقل العربي.

لم تأخذ الدول العربية هذه المبادرة في الاعتبار، فتبعتها مبادرة من الرئيس الأمريكي الأسبق بوش الابن عام ٢٠٠٤م سميت بمبادرة الشرق الأوسط الكبير. بدا ظاهراً في بادئ الأمر أنها مبادرة إصلاحية لإصلاح منطقة الشرق الأوسط الكبير (التي تضم دولاً من أجناس وثقافات مختلفة)؛ فقد جاءت ردّاً على التقرير العربي للتنمية الإنسانية التابع للأمم المتحدة عام ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣م. تضمَّنت المبادرة محاور ثلاثة للإصلاح، هي: تشجيع الديمقراطية، وبناء مجتمع المعرفة (تحسين التعليم)، وتوسيع الفرص الاقتصادية. ولو أننا نظرنا إلى محور التعليم – على سبيل المثال – لوجدنا أنه: لو كان بحق هدف الولايات المتحدة التنمية في مجال التعليم – إذ إنها هدفت إلى إبعاد المناهج التعليمية التي تؤدي للتطرف الفكري – لكان حريٌّ بها أن تنظر إلى المناهج التعليمية الإسرائيلية؛ حيث يوصف الفلسطيني بالإرهابي في كتب الأطفال.

تلك المبادرة التي نادى بها بوش الأبن عام ٢٠٠٤م، أعادت ذكرها كونداليزا رايس وزيرة خارجيته عام ٢٠٠٦م أعقاب حرب لبنان معتبرَةً الحرب هي (آلام مخاض) ولادة الشرق الأوسط الكبير. إلا أن ردَّ الدول العربية (أو بعضٍ منها) كان: أن الإصلاح هو شأن داخلي فلا يجوز لأحد اختراق سيادة الدول بادعاء (الإصلاح).

ثانياً: جاءت أوروبا ودولها العظمى لتبدي تأييداً أعمى للكيان الصهيوني من قَبْلِ نشأته حتى يومنا هذا. وقد وصفتُه بالأعمى لِمَا بدا عليه من تناقض.

وتُعَدُّ بريطانيا من أبرز الدول التي ساعدت على قيام هذا الكيان سياسياً وديموغرافياً وعسكرياً:

أما سياسيا فقد كان وعد بلفور عام ١٩١٧م أوَّل إعلان عالمي رسمي يعطي لليهود الحق في أن تقوم لهم دولة على أرض فلسطين.

وأما ديموغرافياً فقد (انتدبت) بريطانيا على فلسطين وكان عدد اليهود بها آلافاً، وتركتها عام ١٩٤٨م وقد وصل عددهم إلى مئات الألاف؛ وذلك بما كانت تقدم من مساعي لتشجيع هجرة اليهود لفلسطين.

وأما عسكرياً فقد كانت لا تستخدم جيشها وعسكرها لصد (الهجمات الإرهابية) – كما سماها الإعلام الغربي آنذاك – التي كانت تقوم بها المنظمة الصهيونية وجماعة الهاغانا ضد القوات البريطانية لإجبارها على الرحيل من فلسطين، وقد كان ذلك.

وكذلك النمسا فهي المطبخ الذي كان تُعَدُّ فيه وجبة المشروع الصهيوني؛ ذلك أن تيودور هرتزل (متبنِّي فكرة الدولة) كان موطنه النمسا.

وكذلك سويسرا التي عُقِد فيها مؤتمر بازل عام ١٨٩٧م؛ وهو أول مؤتمر إعداد رسمي لقيام الدولة. ففي تلك الفترة كان الصهاينة وأعوانهم قد دبروا لقيام الدولة بعد ٥٠ سنة من ذلك التاريخ، وقد كان ذلك عام ١٩٤٨م.

ولو انتقلنا إلى شرق أوروبا فسنجد مَنْ أُطلق عليهم يهود اليديشية، الذين برز وجودهم في رومانيا وبولندا: أما بولندا فظهر نَبْذ اليهود والصهاينة فيها في صورة دعم لدولة إسرائيل؛ فبعد الحرب العالمية الثانية حلت الأحزاب الصهيونية البولندية وسُمِح للصهاينة بالهجرة، إلى أن بلغ عدد يهود إسرائيل البولنديين ٤٧٠ ألفاً، ومعظم أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل هي من أصل بولندي.

وأما رومانيا، ففاض الكيل بالقيادات الرومانية لِما عانوه من أذى اليهود إلى أن وصل بهم الحال عام ١٩٣٨م إلى إصدار قانون يَحرِم ثلث اليهود من حق المواطنة؛ فدفع ذلك يهود رومانيا للهجرة إلى إسرائيل؛ حيث بلغ عددهم ٣٢٠ ألفاً؛ فهم يشكلون ثاني أكبر مجموعة سكانية بعد يهود المغرب.

وعلى غرار مبادرة الشرق الأوسط الكبير ظهرت مبادرة الشراكة (الأوروبية - المتوسطية)، وهي رغبة ومبادرة بادر بها الاتحاد الأوروبي عام ١٩٩٥م، كانت قد سبقتها أشكال تعاون مختلفة بين شمال المتوسط (أوروبا) وجنوبه (عدد من الدول العربية، وإسرائيل، وتركيا). وكانت محاور هذه الشراكة (سياسية، وأمنية، واقتصادية، وتجارية، واجتماعية، وثقافية) بهدف لَمِّ شمل دول جنوب المتوسط والمساعدة للحاق بركب التقدم الغربي، وبدأ التفوق الإسرائيلي في الحصول على دعم أوروبي أكبر من ذلك الذي تحصل عليه الدول العربية الثلاث (مصر والمغرب وتونس)؛ فعلى سبيل المثال: هدفت الاتفاقية مع إسرائيل اقتصادياً إلى توسيع حجم التجارة بين الطرفين وإجراء مزيد من تحرير أسواق الشراء الحكومية وتوثيق التعاون العلمي والتقني. في حين أن ما ورد في الاتفاقيات الثلاث الأخرى هو التحرير التدريجي للتجارة بين الطرفين، وتعزيز التعاون اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

" جاءت أوروبا ودولها العظمى لتبدي تأييداً أعمى للكيان الصهيوني من قَبْلِ نشأته حتى يومنا هذا "

أما الدعم سياسياً، فحدِّث عنه ولا حرج؛ ففي إطار الصراع (العربي الإسلامي - الصهيوني)، يرفض الاتحاد إلا أن ينتهج سياسة الإقناع مع دولة الصهاينة؛ فالاتحاد الأوروبي يرفض إدانة الكيان الصهيوني في المحافل الدولية، ولا يقوم باستخدام المساعدات التي يقدمها لإسرائيل كأداة ضغط عليها للعدول عن سياساتها الاستعمارية.

وبلغ الدعم الأوروبي ذروته حينما درس صيغة لمنح إسرائيل صفة (شبة عضو) في الاتحاد الأوروبي؛ كان ذلك بناءً على طلب تقدمتْ به تلك الدولة عام ٢٠٠٧م أبدت فيه رغبتها في إشراكها في السياسة الخارجية الأوروبية، كالمهمات العسكرية التي يضطلع بها الاتحاد، إضافة لمشاركة ممثليها في مجالس الاتحاد للبيئة والعدل والصناعة والعلوم والشؤون المالية.

وينطبق على الاتحاد وصف (الشيزوفرينيا)؛ ففي الوقت الذي يدعو فيه لتقدم عملية السلام على الساحة (الفلسطينية - الصهيونية) وحماية حقوق الإنسان، نجده يرتقي في علاقاته مع الكيان الصهيوني لدرجة أن بعض المراقبين قد يفسر هذه العلاقة على أنها مكافأة لإسرائيل؛ لدعمها عملية السلام في المنطقة. والأغرب من ذلك هو تفكير الاتحاد في

دمج أو (احتضان) إسرائيل في القارَّة الأوروبية بعد أن ضاقت عليهـــا المنطقة العربية بما رحبـــت. وأرى في هذا الدمج أن معايير العضوية في الاتحاد لم تعد من ضمنها الجغرافيا، بل السياسة والمصلحة.

الطـــرف الثالث والأخير الذي تحول مـــن العداء المطلق للكيان الصهيوني إلى علاقات ســـلام أحياناً وعلاقات جافة أحيانـــاً أخرى، هو الطرف العربي. ويبـــدو ذلك في التحول الـــذي طرأ على مواقف القيادات العربية عبر الســـنين، منذ انطلاق أول مؤتمر قمـــة للجامعة العربية عام ١٩٤٦م عندما نادى قرار قمة الدول الســـبع المؤسِّسة للجامعة بمنع تسرُّب الأراضي العربية إلى أيـــدي الصهاينة، إلى أن ظهرت نقطة تحـــول عام ١٩٧٨م بتوقيع مصـــر اتفاقية (كامب دايفيد) مع إسرائيل[١]، وصولاً إلى مبادرة السلام العربية عام ٢٠٠٢م[٢]، التي اعتبرتها الولايات المتحدة استعداداً عربياً للتطبيع.

لعـــل لهذا التحول الصـــارخ في الموقف العربي أســـبابه ودوافعه العديدة التي منها:

أولاً: تُعَـــدُّ هزيمة عام ١٩٦٧م أحد أهـــم نقاط التحول فـــي الموقف العربـــي؛ وذلك لانقلاب موازيـــن القوى لصالح إســـرائيل؛ حيث تمكَّنتْ من تحقيق جزء لا بأس به من النبوءة التوراتية القائلة بقيام دولة إســـرائيل من النيل إلى الفرات؛ وذلك باحتلالها سيناء المصرية، والجولان السورية، ومساحات صغيـــرة من الأراضـــي التـــابعة للأردن ولبنـــان، ومجمل أراضي فلسطين. فكانت هذه الهزيمة بمثابة القَشَّة التي قصمت ظهر البعير.

بهذه الهزيمة تحوَّل الموقف العربي من موقف قومي يسعى لتصفية الاســـتعمار نهائياً إلى مجرد نـــزاع بين (دول) على أرض محتلَّة. وبما أنه اعتبر النزاع نزاعاً قائماً بين دول، فقد اعتُبِرَت إسرائيل ضمنياً دولة يجوز التوصُّل معها إلى تسوية.

كان هذا الموقف واضحاً في مؤتمر القمة العربية العاشر المنعقد عام ١٩٧٤م؛ حيـــث ظهر في القرار الصادر عن هذه القمة لأول مرة عبارة (الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧م).

ثانيـــاً: التحـــول في موقـــف (القائد) المجيِّش لمشـــاعر الجماهيـــر العربية لصالح (القوميـــة العربية)؛ فقد اعترف عبد الناصر بوجود الدولة الصهيونية ضمنياً؛ وذلك باعترافه بقرار مجلس الأمن (٢٤٢) الـــذي دعاهم للعودة لحدود عام ١٩٦٧م، وأن لكل الدول الحق في أن تعيش في ســـلام وأمان، (وإن اعتبره قراراً غير عادل).

ثالثاً: يتمثل في معاهدة السلام (المصرية – الإسرائيلية) (كامـــب دايفيد) عام ١٩٧٨م. فكانت مصـــر في نظر الدول العربية دولة رائدة وقائدة للتحركات العربية؛ خاصة في عهد عبد الناصر ورَفْعِه شعار (القومية العربية).

علـــى الرغم من غرابـــة تصديق المقاطعـــة العربية لمصر لتوقيعها معاهدة سلام مع (العدو) الإسرائيلي (باستثناء عمان وجيبوتى والصومال)، فقد كان أغرب منه تصديق عودة العلاقات (العربية – المصرية). وكان ذلك في مؤتمر القمة الثامن عشـــر عندما بدأت الدول تعيد علاقاتها مع مصر[٣]. وبما أن دساتير الدول العربية لم تنص على تحريم أو تجريم إقامة علاقات مع العـــدو، لم يكن هناك حرج في أن تســـلك مجموعة من الدول العربية مســـلك مصر في (تسوية) الصراع والدخول في سلام مع إسرائيل؛ ففي عام ١٩٩٣م عُقِدَ مؤتمر أوسلو الذي اعترف فيه كلٌّ من الطرفين (الفلســـطيني والإسرائيلي) بوجود الآخر لأول مـــرة؛ فكان من الغريب التغير في الموقف الصهيوني الذي كان يؤمن بأن فلسطين (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض). وفي عام ١٩٩٤م وُقِّعَت معاهدة سلام (أردنية – إسرائيلية). وقطعت سوريا شـــوطاً كبيراً في هذا الشـــأن؛ إلا أنها تعطلت باغتيال رابين، ولكنها عادت لتُسْتَأنَف الآن.

فكانـــت هذه المعاهـــدات، الواحدة تلوَ الأخـــرى، بمثابة الرصاصـــات المتتالية في المخ العربي، وهو ما أصابه بشـــلل فكري تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ختاماً: لقد أظهرت السطور الفائتة مدى دهاء الصهاينة وقدرتهم على اكتساب قوى العالم لصفِّهم، وكشفتْ أساليبَهم المختلفة التي اســـتطاعوا بها التحول من نَبْذ غيرهم لهم إلى أن يدعمهـــم. بل تمكنوا من كســـب مناوئيهم تطبيقاً للمقولة البريطانيـــة: (بطـــيء، ولكنه أكيـــد المفعـــول)؛ فتمكنوا من أن يُخرِجوا مـــن أصلابنا من يدافع عنهـــم ويلبِّي، بل ينادي بمطالبهم بدلاً منهم.

(١) كان رئيس الوزراء آنذاك مناحيم بيغن الذي اعتبرته الصحافة الغربية فترة «الانتداب» البريطاني بأنه إرهابي؛ لما كان يقوم به من أعمال إرهابية ضد الجيش البريطاني في فلسطين.

(٢) تلك المبادرة بادرت بها المملكة العربية السعودية.

(٣) بدءاً بالعراق، نتيجة للمساعدات المصرية لها في حرب السنوات الثماني مع إيران.

ليبقَ النور في أمتنا

وقف مدارس تحفيظ القرآن النسائية

((صدقة جارية))

أوقف ولو بقدم مربع بمبلغ **405** ريال

أو التبرع بأي مبلغ

شاركنا حملة المليون داعم

بإرسال (**1**) إلى (**5090**) بـ (**12**) ريال شهرياً

(أو رسالة فارغة بـ **10** ريال)

لسداد قيمة وقف مدارس التحفيظ النسائية بالرياض

رقم التسجيل: 1 رقم الترخيص: 9656 آيبان الراجحي: sa 4980000368608010115117

الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم

في منطقة الرياض

www.qk.org.sa

مرصد الأخبار

جـــلال ســـعـــد الـــشـــايـــب
galal_elshayp@hotmail.com

جندي سوري: أُمرنا بقتل المدنيين بدرعا

أكـد جندي منشـق عـن الجيش السـوري أنهم تلقَّوا أوامر من الوحدة العسـكرية التي يتبع لها بإطلاق النار علـى المتظاهرين ببلـدة درعا بمجرد وصولهـم إلى هناك، وهـو ما أصابه بذهول وصدمة.

وقد أكد «واصد» الجندي المنشـق، أنـه انطلق إلى بلدة درعا الجنوبية في أواخر أبريل الماضي، ليحارب الإرهابيين هنـاك كما قيل لهم، ولكن بعد أقل من يوم علـى وصولهم البلدةَ تبينوا حقيقة أنه لا وجود لتلك الجماعات الإرهابية المسلحة التي ذهبوا لمحاربتها هناك.

ويُفهَـم من تصريحـات واصد: أن النظام السـوري صوَّر الانتفاضة في درعا علـى أنها صراع بين جيش موالٍ ومجموعة كبيرة ومتنقلة من المتمردين المدججـين بالسـلاح، والمدعومـين خارجيـاً، تجـوب البلدَ فـي محاولة لإشعال فتنة طائفية.

ويقـول «الجنـدي»: إنـه «بمجرد وصولنا إلى هناك أخبرنا الضباط بعدم إطلاق النار على الرجال الذين يحملون الأسـلحة - يقصدون الشبيحة - لأنهم معنـا»، ويكمل شـهادته قائلاً: «خلال الشـهر الذي قضيناه هناك لم أشاهد أي متظاهر يحمل سـلاحاً في درعا أو بلدة إزرَع المجاورة».

وذكرت صحيفة أجنبية أن شهادة واصد ستُستخدَم في الإحالة إلى المحكمة الجنائية الدولية التي تُعِد لها مجموعة حقوقية.

[جريدة القبس الكويتية، بتصرف ٢٠١١/٦/٢٩م]

اعتقال صحفيين أمريكيين بالسويس

اعتقلت السلطات المصرية أربعة صحفيين أمريكيين أثناء تصويرهم لاحتجاجات مناهضة للحكومة أمام قناة السويس، وقد صرَّح العميد عمر إمام - وهو من القوات المسلحة المصرية - بأن المتظاهرين المصريين هم من اعتقلوا هؤلاء الصحفيين بعد الشك فيهم، ثم قاموا بتسليمهم للاستخبارات العسكرية بالسويس.

ويعمل ثلاثة من الصحفيين - بينهم منتج الفيديو (جيسون موخيكا) صحفي سابق بقناة الجزيرة - في مجلة «فايس» الإلكترونية، ومقرُّها نيويورك، ورابعهم هو استشـاري الطاقة الأمريكي من أصل مصري (شـريف حلوة) الذي يعمل لصالح دورية «بلاتس» Platts، المعنيَّة بتوفير معلومات بشأن الطاقة والصناعات المعدنية، كان قد انضم إلى فريق «فايس» لتغطية الاضطرابات في السويس.

وعند سـؤالهم من قِبَل المتظاهرين؟ أكد الصحفيون الأربعة أنهم يعملون لصالح الجزيرة الإنجليزية، مع عدم حملهم لما يؤكد ذلك، وهو ما بعث الريبة والشك في نفوس المتظاهرين.

وقـد اعتُقلوا أمام المجرى الملاحي لقناة السـويس بمدينة بور توفيق؛ وذلك أثناء قيامهم بتصوير المجرى الملاحي لقناة السويس. [موقع أخبار مصر ٢٠١١/٧/١١م]

مبادرةُ «مسلم لمدة شهر» التركية، شكل دعوي جديد

بدأت مؤسسـة اجتماعية تركية في تنظيم رحلات إلى تركيا لغير المسلمين كي يختبروا الحياة في مجتمع مسلم؛ وذلك من خلال مبادرة «مسلم لمدة شهر» الرائدة. ويسعى المنظِّمون لتوضيح الصورة الحقيقية عن الإسلام بعيداً عن وَصْف الإعلام واتهامه للإسلام بالصورة النمطية التي تربطه بالتطرف والعنف والإرهاب.

وجاء المشـاركون في رحلة «مسلم لمدة شهر» إلى مدينة إسطنبول التركية مـن الولايات المتحدة وبريطانيا والهند، وغير ذلك من بلدان العالم المختلفة، وشارك معظمهم لكي يكتشفوا الإسلام لأول مرة، وليتعرفوا بشكل أكبر على التراث الإسلامي في مدينة قونية التركية.

ويتضمن البرنامج صيام يوم واحد، يتناول فيه المشاركون طعام الإفطار مع مضيفيهم من العائلات التركية، كما يستمع المشاركون كذلك إلى محاضرات دينية من قِبَل علماء ومشايخ مسلمين.

وقد قال أحمد محرم مدير البرنامج: «إذا حاول أحد أن يفهم طريقة حياة المسـلمين، فهناك - من وجهة نظري - وسيلة واحدة هي: تعال إلى مجتمع مسلم وشارك الناس حياتهم وافْهَم كيف يعيشون». [جريدة اليوم السابع ٢٠١١/٧/٣م]

أول حفل للمثليين بدولة إسلامية!

نـــددت جماعات إســـلامية ومســـؤولون باكستانيون باحتفال أقامته السفارة الأمريكية في إسلام أباد دفاعاً عن حقوق المثليين.

ووصفت الجماعة الإسلامية – وهي أكبر الأحزاب الإسلامية في باكستان – الاحتفالَ ومنظميه بقولهم: «إن هؤلاء الناس هم لعنة المجتمع وحثالته»، مُظهرة في بيان أصدرته نيابة عـــن مجموعة من الهيئات الدينية، أن هذا الحفل هو ثاني أكثر الهجمات الأمريكية خطورة على باكستان بعد هجمات الطائرات من دون طيار.

وقد طالب مسؤولون إسلاميون الحكومة الباكستانية باعتقال المشاركين في الاحتفال، ووصفـــوه بأنه «طعنـــة في صـــدر العالم الإسلامي».

شارك في الاحتفال نائب السفير الأمريكي (ريشـــارد هوغلانـــد)، الذي أكـــد خلاله أن أمريكا ســـتدعم حقوق المثليـــين والمتحولين جنســـياً وثنائيي الجنس في باكستان، مؤكداً علـــى ذلك بقولـــه «أريد أن أكـــون واضحاً؛ السفارة الأمريكية هنا لدعمكم والوقوف إلى جانبكم في كل خطوة على الطريق».

[موقع مسلم نت، نقلاً عن bbc ٢٠١١/٧/٤م]

إخوان مصر: نرفض الديمقراطية بصناعة أمريكية

أعلن الدكتور محمد البلتاجي (أمين حزب العدالة والحرية بالقاهرة التابع لجماعة الإخوان المســـلمين) في حـــوار له مع موقع قناة العربية على أن الإخوان المسلمين يرحبون بأي حوار أمريكي؛ شريطة أن يكون الحوار مبنيـــاً على قواعدَ وعلاقات جديـــدة، وأن تكون أمريكا لديها قناعـــة تامة بأن مصر بعد الثورة غير مصر قبلها؛ ومن ثَمَّ وجب عليها الاتصال بالكيانات السياســـية القائمة والموجودة في الشـــارع المصري بهدف وضع قواعد جديدة لحوارٍ جادٍّ وهادف.

كما أكـــد على أنه لا توجد هناك أي أجندة قضايا إخوانية أمريكية، ولكن توجد قضايا مصرية. وإذا حدثت اتصالات فعلية لبدء الحوار فأوَّل قضية توضع على مائدته ســـتكون «هل الإدارة الأمريكية لديها استعداد للتسليم بقواعد اللعبة السياسية الجديدة في المنطقة العربية، وأن تتعامل مع تلك الشعوب وَفْقَ أجندتهم هم وليس أجندتها هي، وأن تحترم الشأن الداخلي لتلك الشـــعوب، ولا تقترب منه، وأن تحترم إرادتها الحرة وعدم توظيف المساعدات الأمريكية بما يخدم مصالحها الخاصة».

وعن موقف الإخوان من التمويل الأمريكي لبعض القوى والشخصيات المصرية، أكد البلتاجي رفض الإخوان التام لاستمرار هذا التمويل الذي يأتي تحـــت عناوين التطور الديمقراطي ودعـــم الديمقراطية لمحاولة التأثير على الخريطة السياسية المصرية الجديدة.

[موقع قناة العربية ٢٠١١/٧/٦م]

حصار غزة (قانوني)!

اعتبر تقريرٌ للأمم المتحدة تم تســـريبه قبل الإعلان عنه، أن حصار إســـرائيل البحري لغزة (قانوني)؛ لكن هجومها على سفينة مرمرة التركية التي حاولت كسر الحصار العام الماضي استخدمتْ فيه قوة مفرطة.

جاء ذلك وَفْقاً لنتائج اللجنة الأممية التي ترأَّسها جيفري بالمر (رئيس وزراء نيوزيلندا السابق).

وقد أشـــادت إســـرائيل بهذا التقرير الأممي؛ لأنه برَّأها من أي جُرْم دولي، ولقد طلب التقرير من إسرائيل مجرد التعبير عن أسفها (وليس الاعتذار). وفي المقابل انتقد التقرير تركيا لعدم بَذْلها جهوداً كافية لوقف القافلة، ولصلتها بمؤسسة حقوق الإنسان والحريات والإغاثة الإنسانية التركية.

وقالت صحيفة «ديلي تلغراف»: إن التقرير خلص إلى أن حصار غزة كان قانونياً، وأنَّ فعل إســـرائيل كان مبرراً في وقف السفن حتى خارج مياهها الإقليمية.

[صحيفة «ديلي تلغراف» ٢٠١١/٧/٨م]

علامة تعجب

نجمة داوود بقلب ميدان تحرير مصر!

تمكنت اللجان الشعبية المؤلَّفة من شباب الثور بهدف تأمين مداخل ومخارج ميدان التحرير بالقاهرة خلال مظاهرة جمعة (الثورة أولاً) من توقيف أربعة بلطجية يحملون أسلحة بيضاء ومبالغ مالية، وأحدهم على جسده وشمٌ لـ «نجمة داوود».

وأفادت قناة «النهار» المصرية أنه تم اقتياد البلطجية الموقوفين إلى إحدى الخيام داخل ميدان التحرير، وبتفتيشهم من قِبَل اللجان الشعبية تم اكتشاف الأسلحه معهم، وبسؤالهم عنها ادَّعوا أن الميدان في حاجة إلى حماية؛ ولذلك قرروا أن يأتوا ليحموا الميدان.

[موقع مفكرة الإسلام ٢٠١١/٧م]

(س) و (ج)

س: هل من الممكن أن ينهار اليورو، وهو ما قد يعني بالضرورة انهيارَ أكبر اتحاد اقتصادي ونقدي في تاريخ الاقتصاد الحديث؟

ج: ثمة دراسة أعدها مركز الأبحاث الاقتصادية والتجارية في المملكة المتحدة توقعت أن ينهار اليورو ويختفي من الوجود بحلول عام٢٠١٣م.

وأكد دوغلاس ماك وليامز (الرئيس التنفيذي لهذا المركز) في معرض تفسيره لمبررات الانهيار المحتمَل لتلك العملة الموحدة أن أزمة الديون السيادية اليونانية ستتفاقم - على الأرجح - إلى موقف غاية في التعقيد والغرابة في الوقت نفسه؛ إذ سيشعر المدين (أي الدولة اليونانية) والدائن (أي المستثمرون الأجانب من حائزي السندات السيادية اليونانية) بأنهم متورطون في معركة خاسرة، وهو ما سيؤدي في نهاية المطاف إلى خروج اليونان من نادي اليورو وهو ما يعني من الناحية العملية انهيار تلك العملة الموحدة.

ولعل هذه المخاوف يمكن أن نجد صدىً لها لدى مسؤول اقتصادي أوروبي كبير هو (جان كلود يونكر) الذي يرأس مجلس وزراء مالية دول مجموعة اليورو، والذي حذَّر من أن أزمة الديون السيادية يمكن أن تنتشر عدواها سريعاً لتضرب اقتصاديات دول أوروبية قوية مثل إيطاليا وبلجيكا.

وأضاف يونكر أنه من المحتمل أن يكون لهذه الأزمة تأثير كارثي على اليورو، وحذر من أن ما يجري في أوروبا حالياً هو بمثابة لعب بالنار على حد تعبيره. وتابع يونكر قائلاً: إنه إذا أعلنت اليونان إفلاسها وعجزها عن سداد الديون المستحقة عليها؛ فإنه سيكون لهذا الأمر تداعيات جذرية بالنسبة لبقية الدول الأعضاء في نادي اليورو.

وهو ما دفع كثيراً من السياسيين في أوروبا إلى المطالبة بطرد اليونان من نادي العملة الأوروبية الموحدة كي تستريح مجموعة اليورو منها إلى الأبد.

وفي المقابل هناك من يقول: إن هناك إشكالية ضخمة في هذا الصدد تتمثل في أنه لا توجد - أصلاً - أي آلية في نادي اليورو تحدد طريقة طرد أو خروج أي عضو فيه؛ وبمعنى آخر فإن نادي اليورو هو نادٍ يمكن الالتحاق به وَفْق شروط بعينها، ولكن لا يوجد باب للخروج منه.

ومن شأن انهيار اليورو أن يؤدي إلى فوضى عارمة في المنظومة الاقتصادية العالمية؛ إذ سيؤدي إلى إفلاس مؤسسات مالية ومصرفية ضخمة في أوروبا، وتهاوي معدلات النمو الاقتصادي في تلك القارة العجوز، وتشريد الملايين من العمال والموظفين في الشوارع، وربما يتطور الأمر إلى أزمة مالية عالمية جديدة تضارع في شراستها تلك الأزمة التي عصفت بالمشهد الاقتصادي والمالي والسياسي العالمي في خريف عام ٢٠٠٨م.

[جريدة الأهرام المسائي المصرية ٢٠١١/٧/٣م]

أصدرت محكمة إيطالية حكماً بتغريم إحدى الشركات المملوكة لرئيس الوزراء سيلفيو برلسكوني، بمبلغ يصل إلى ٥٦٠ مليون يورو؛ أي ما يزيد على ٨٠٠ مليون دولار، على خلفية اتهامات بالرشوة، في قضية تعود إلى عام ١٩٩١م.

ويُلزِم الحكم الشركة بدفع مبلغ الغرامة إلى ناشر صحيفة «لاريبوبليكا» الشهيرة، كارلودي بينيديتي، لثبوت تهمة الرشوة في قضية شراء بعض وسائل الإعلام التابعة لبينيديتي قبل ٢٠ عاماً، وَفْق ما ذكرت وكالة الأنباء الإيطالية «أنسا» السبت.

[موقع CNN العربي ٢٠١١/٦/١٠م]

أشار تقرير «إحصاء الأسلحة الصغيرة» الذي أعده معهد الدراسات الدولية ودراسات التنمية بجامعة جنيف، إلى أن الولايات المتحدة ظلت تتربع على قمة الدول المستوردة والمصدرة للأسلحة الصغيرة والخفيفة في عام ٢٠٠٨م، وهو آخر عام جمعت فيه بيانات، واحتلت أميركا المركز الأول في أعوام سابقة.

كما قدَّر التقرير، ارتفاع عدد الأمن الخاص في الولايات المتحدة إلى ٢٠ مليوناً، بنسبة تتراوح بين ٢٠٠ - ٣٠٠٪ في العقدين أو العقود الثلاثة الماضية، كما بَيَّن أن الحجم الإجمالي لتجارة الأسلحة الصغيرة والخفيفة يبلغ سبعة مليارات دولار سنوياً.

[موقع أخبار الجزيرة ٢٠١١/٧/٧م]

قال الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي في زيارة غير معلنة مدتها خمس ساعات لأفغانستان، في خطاب ألقاه أمام جنود فرنسيين في قاعدة قرب كابل: «سنسحب ربع فرقتنا (أي ألف جندي) اعتباراً من الآن وحتى نهاية عام ٢٠١٢م؛ وذلك في إطار تسريع الجدول الزمني لانسحابها مع الولايات المتحدة.

[رويترز والألمانية ٢٠١١/٧/١٢م]

قالت صحيفة غارديان: إن رسالة وجهها وزير الشؤون المحلية إيريك بيكلز إلى رئيس الوزراء البريطاني ديفد كاميرون حذَّرت من ارتفاع عدد الأسر المشردة إلى أربعين ألف أسرة بسبب تعديل قانون الرفاه الاجتماعي، ورد فيها: أن ٤٠ ألف أسرة ستصبح مشردة بسبب إصلاح قانون الرفاه الاجتماعي، وهو ما سيضع عبئاً إضافياً على الخدمات، ونحو ٢٧٠ مليون جنيه إسترليني التي يوفرها تطبيق مبدأ سقف الخمسمائة جنيه سيتم إنفاقها لمساعدة المشردين الجدد، ونصف الـ ٥٦ ألف مسكن التي تتوقع الحكومة بناءها بحلول عام ٢٠١٥م لن تُنجز؛ لأن الشركات المكلفة بالبناء ستقتنع بأنها لن تكون قادرة على تعويض ٨٠ ٪ من أسعار السوق من المستأجرين.

[صحيفة الـ «غارديان» البريطانية ٢٠١١/٧/٣م]

أَظهَر استطلاع للرأي أجرته مؤسسة غالوب أنه لا يوجد تغيير جوهري في رأي اليهود الأمريكيين تجاه أوباما منذ خطابه حول أزمة الشرق الأوسط في مايو الماضي؛ حيث كانت نسبة تأييد اليهود الأمريكيين لأوباما قبل شهر ونصف على كلمته التي ألقاها في التاسع عشر من مايو الماضي، تصل إلى ٦٥ في المائة، في حين أنها تبلغ الآن ٦٢ في المائة؛ أي أنها لم تتراجع سوى ٣ في المائة فقط، وهو ليس بالتراجع الجوهري، إذا عرفت نسبة الخطأ زيادة أو نقصاناً في صحة النتائج.

وأوضح أنه من بين أكثر من ٣٠٠ يهودي ديمقراطي تَمَّ استطلاع رأيهم قبل الخطاب وبعده، كانت نسبة من يؤيِّدونه ٨٦ ٪ منهم قبل الخطاب وتراجع إلى ٨٥ ٪ بعده.

[موقع الإسلام اليوم ٢٠١١/٦/٦م]

وأوضحت وزارة التجارة الأمريكية أن العجز التجاري الأمريكي ارتفع من ٤٣,٦ مليار دولار في شهر أبريل؛ حيث قفزت واردات البترول إلى ثاني أعلى مستوياتها المسجلة في الوقت الذي سجلت فيه الصادرات الأمريكية انخفاضاً طفيفاً عن رقمها القياسي في شهر أبريل.

وسجلت الواردات الأمريكية زيادة غير متوقعة بنسبة ٢,٦ في المائة لتصل إلى ٢٢٥,١ مليار دولار في شهر مايو، وهو ما دفع الخبراء إلى إعادة النظر في تقديراتهم لمعدلات النمو في الاقتصاد الأمريكي.

كما أوضحت أرقام وزارة التجارة الأمريكية أن العجز التجاري مع الصين قد ارتفع بنسبة ١٥ في المائة ليصل إلى ٢٥ مليار دولار؛ حيث استوردت الشركات الأمريكية ما قيمته ٣٢,٨ مليار دولار من السلع الصينية بينما لم تتجاوز الصادرات الأمريكية للصين ٧,٨ مليار دولار.

[موقع الـ BBC العربي ٢٠١١/ ٧/١٢م]

الأقلية المسلمة في ليبيريا

د. أحمد محمود السيد
mr.ah54@hotmail.com

ليبيريا دولة في غرب إفريقية تجاور سيراليون وغينيا وساحل العاج.

نشأت ليبيريا نتيجة جهود جمعيات وهيئات تحرير العبيد؛ وبخاصة جمعية الاستعمار الأمريكية التي نشأت في الولايات المتحدة في أوائل القرن التاسع عشر عندما تطورت فكرة إنشاء مأوى للعبيد المحرَّرين في وطنهم الأصلي في إفريقيا ليقيموا فيه بعد أن كانو يعملون أرقاء في المزارع الأمريكية؛ إذ أوفدت الحكومة الأمريكية بعثات استكشافية لإفريقيا للبحث عن مناطق ملائمة لإقامة هؤلاء الأفارقة، ووقع الاختيار على منطقة ليبيريا، وكانت تعرف آنذاك باسم ساحل الجنوب، ووصلت إليها أول دفعة من العبيد الأمريكيين المحررين عام ١٨٢٠م.

وكانت البداية بتأسيس مدينة منروفيا (العاصمة) سنة (١٢٣٧هـ - ١٨٢١م) على الساحل ثم التوغل نحو الداخل على حساب الدولة الإسلامية التي نشأت في مرتفعات فوناغالون في غينيا حالياً، وهي التي امتدت إلى ليبيريا الحالية. وكانت دولة قوية ساهم في تأسيسها قبائل الفولاني لتضم دول غرب إفريقيا وخاصة غينيا، وغينيا بيساو، وسيراليون، وليبيريا، وساحل العاج، وحتى الآن تتركز السلطة في أيدي الأمريكيين السود الذين هاجروا إلى هذه المنطقة رغم أنهم يشكلون ٥٪ من جملة السكان، وحرمت منها الأقلية المسلمة التي تكاد تصل نسبتها إلى حد الثلث وفي بعض المصادر أن عددهم تعدى النصف.

أصيبت بحربين أهليتين بين عامي ١٩٨٩ - ١٩٩٦م و ١٩٩٩ - ٢٠٠٣م، فخرج منها مئات الآلاف لاجئين، وهي أقدم دولة استقلالاً؛ حيث حصلت على استقلالها في سنة (١٢٦٣هـ - ١٨٦٤م).

عدد سكان ليبيريا: يتعدى ٣,٥٠٠,٠٠٠ نسمة حسب تقديرات يوليو ٢٠٠٦م.

وتوزيعهم كالآتي: ٢٥٪ من السكان مسلمون، ٦٥ ٪ أديان محلية، ١٠ ٪ نصارى.

الجماعات العرقية: تشكل الجماعات الإفريقية الأصلية نحو ٩٥ ٪ من السكان، وتضم عدداً من القبائل يصل عددها إلى ٣٥ قبيلة أهمها: الكبيلي ٢٠ ٪، والباسا ١٤ ٪، والجيو ٩ ٪، والجريبو ٨ ٪، والكرو ٨ ٪، والمانو ٧ ٪، والماندنجو ٤ ٪. ويشكل الأفارقة الأمريكيون (العبيد المحررون) نحو ٥ ٪ من السكان.

مشكلات المسلمين في الوقت الحاضر:

في مقدمة هذا المشاكل انتشار الفقر والجهل بين القبائل المسلمة التي لا تمتلك سوى مدرسة أهلية واحدة كانت قد أسستها رابطة العالم الإسلامي مؤلفة من ثلاثة طوابق لتعليم القرآن واللغة العربية، بينما يسيطر المبشرون على معظم المدارس الأخرى التي يرفض معظمها إلحاق المسلمين بها، وتشترط اعتناق المسيحية مقابل التعليم بالمجان، ولا يمتلك المسلمون أي مستشفيات خاصة بهم.

هناك أيضاً مشكلة قلة عدد المساجد في العاصمة منروفيا؛ حيث لا يمتلكون سوى ٥ مساجد فقط، بينما يبلغ عدد الكنائس ٤٣ كنيسة.

ومن العقبات أيضاً شدة التغلغل الأمريكي والإسرائيلي في البلاد ومحاربتهم للمسلمين؛ حيث تحتكر شركة «فاير ستون» الأمريكية محصول المطاط الذي يشكل جزءاً كبيراً من صادرات ليبيريا، ويتركز الاقتصاد الليبيري كله في يد أمريكا وإسرائيل التي ينتشر خبراؤها في البلاد ويقفون مع الأنظمة الحاكمة لوقف المد الإسلامي.

ومؤخراً بدأت أوضاع المسلمين في التحسن في ظل مجاورتهم دولاً ذات أكثرية إسلامية مثل غينيا وسيراليون، وظهور بعض القيادات القوية مثل السيد محمد كروماه (رئيس اتحاد الروابط الليبيرية الأمريكية)، كما أسس المسلمون منظمتين إسلاميتين بمنروفيا، هما: المنظمة العربية للدراسات ومهمتها نشر الدعوة بين غير المسلمين، والمنظمة الإسلامية للتعليم التي أنشأت مركزين لتخريج الأئمة وتعليم القرآن الكريم واللغة العربية للمسلمين الجدد، وتوفير مصدر دخل لهم في ظل وضعهم الاقتصادي الجديد. ولكن يبقى اهتمام الجماعات الإسلامية والمنظمات الإسلامية بمسلمي ليبيريا ضعيفاً ولا يوازي ما ينتظره القائمون على نشر الإسلام في غرب إفريقيا.

المصادر والمراجع:

- د. محمد عاشور مهدي، دليل الدول الإفريقية، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٧م، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.
- د. حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦م.
- التقرير الإستراتيجي الإفريقي ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م، معهد البحوث الإفريقية، القاهرة،
- fact book

مجلة البيان

جديد مجلة البيان

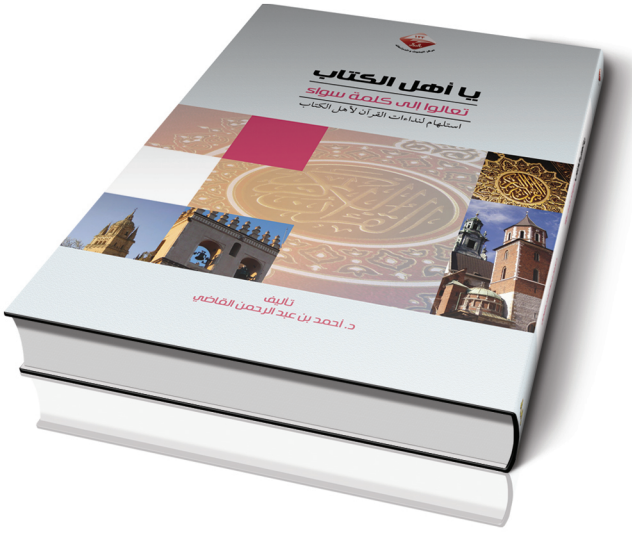

www.albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

الابتلاء

يس عبد الوهاب نبيه مسعد

إنَّ يوماً عنده
مثل أعداد السنين
ليس إلا مثلهُ
يحمل الحزن الدفين
لا تقل لي كيف يحيا
فيه عزم لا يلين
فيه روح الحب تسري
من ضياء المرسلين

إنه هو، به يتأسى المبتلون، ويتصبر الصابرون، ويترحم عليه المترحمون. آتاه الله ثباتاً في القلب، وحكمة في العقل وعزماً على الشدائد، وبأساً في السيطرة على النفس. قانعاً لا يتشكى راضياً لا يتسنى؛ ترى حياته بؤساً ويراها نعيماً، قد شقي لينعم غيره. إذا افتقر إلى شيء تعفف عن معطيه، وإذا طُلب منه شيءٌ تعقب سائله. لا يرى سعاته إلا في سعادة غيره.

يعلم أنه عما قريب مفارق وبالأنبياء لاحق؛ فسعادة باقية خيرٌ له من حياةٍ فانية. إذا ابتُلي في ماله ونفسه حَمِد الله، وإن أصيب في ولده احتسب بالله، وإن أصابه مكروه صبر، وإن جاءه خيرٌ شكر.

يرسم للدنيا طريقها وتهون عليه أهوالها. صمتُه فكراً ونظره عبراً، إذا مات ظلت ذكراه باقية وإن عاش يرى حياته فانية.

يأتمُّ به خَلَفه، ويقتدي بسلفه، ويخلِّده كل مكان تركه.

إنه شهيد الحياة لا يؤبه به وهو عند الله عظيم.

الحاقدون عليك قليل، والشامتون فيك كثير.

كل المصائب قد تمرُّ على الفتى
وتهون غير شماتة الحُسَّادِ

فما أعظم الابتلاء للمؤمن الصابر! يرفع الله به ذِكرَه ويضع عنه وزره؛ فلا خير في جسم لا يبتلى ونفس لم تختبر. نقَّاك الله فاصطفاك، فضَّلك على كثير ممن خلق؛ فأكثر الناس ابتلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

ابتلي الأنبياء - عليهم السلام - بأقوامهم فصبروا على ما كُذبُوا به حتى أتاهم نصر الله.

وابتُلي أيوب - عليه السلام - في بدنه وماله وأهله فصبر ودعا ربه فاستجاب الله له وكشف ما به من ضُرٍّ وآتاه الله أهله ومثلهم معهم.

إن كُلاً منا يكره الابتلاء من حيث هو ابتلاء، لا من حيث هو فعل.

ولعظيم أجر الابتلاء غلط من ظن أنه يدعو الله به.

سمع رسول الله ﷺ عليّاً يقول: «اللهم! إني أسألك الصبر». فقال ﷺ: «لقد سألتَ الله البلاء فاسأله العافية»[1].

ومن وقع عليه الابتلاء فصبر نال ما يرجى من الثواب على الصبر، ومن حصل له النعيم فشكر نال من الثواب على الشكر. ورُبَّ غني شاكرٍ أفضل من فقيرٍ صابر.

يقول الإمام الغزالي: (بين الصبر والشكر ارتباط وثيق؛ فإذا وقع بصره على حرام فصبر كان شاكراً لنعمة العينين وإن أتْبَع النظر كفر نعمة العينين).

وحكي عن سمنون الزاهد أنه قال:

وليس لي في سواك حظٌّ؛
فكيفما شئت فاختبرني.

فأصيب بعد هذا البيت بعلة خطيرة كان بعدها يدور على الأبواب ويقول للصبيان: (ادعوا لعمكم الكذاب). فليكن لنا في الأنبياء قدوةٌ حسنة.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١].

(١) أخرجه الترمذي.

الآن..

" من لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أُغلق عليه باب التدبر "

بدر
٠٥٠٨٩٤٨٩٤٧

الرياض ـ هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس ٤٥٣٢١٢١

المشاريع ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

الفوائد الصهيونية من إقامة دولة «جنوب السودان»

د.عدنان أبو عامر(*)
adnanaa74@hotmail.com

بينما يترقب السودانيون والعرب والعالم بأَسره تبعات قيام دولة جديدة في خاصرة السودان الجنوبية، وكلٌّ منهم تنتابه مشاعر ترقُّب وحذر وَفْقاً لتوجهاته السياسية وأصوله القومية وولاءاته الفكرية والأيديولوجية، تبدو «إسرائيل» من بعيد تغمرها سعادة لا توصف، وهي تشهد ميلاد دولة أعدت لها العدة والدعم منذ سنوات بعيدة، ومن المتوقع بين الحين والآخر أن يعلن الكيان الصهيوني اعترافه بدولة جنوب السودان كدولة سيادية، بعد اعتراف الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي؛ لأنه يرى فيها «خطوة مهمة»؛ حيث يُجري اتصالات سرية مع القيادة هناك منذ فترة طويلة.

يأتي ذلك في ضوء أن لدى تل أبيب مصالح كثيرة في تلك المنطقة، منها: أن آلاف اللاجئين السودانيين يعملون فيها، إضافة للمصالح الأمنية، خصوصاً في ما يتعلق بنقل الأسلحة لقطاع غزة، فضلاً عن أن السودان بموارده ومساحته الشاسعة يمكن أن يصبح دولة إقليمية قوية منافسة لمصر والعراق والسعودية، كما يشكل عمقاً إستراتيجياً لمصر، وهو ما يعني عدم السماح له بأن يصبح قوة مضافة إلى العالم العربي، وهو ما يتطلب العمل على إضعافه، وانتزاع المبادرة منه لبناء دولة قوية موحدة؛ لأن «سوداناً ضعيفاً ومجزأً وهشاً، أفضل من سودان قوي وموحَّد وفاعل، وهو ما يمثل من المنظور الإستراتيجي ضرورة من ضرورات الأمن القومي الصهيوني.

تقديرات صهيونية:

أكد وزير الأمن الداخلي السابق «آفي ديختر» أن انفصال جنوب السودان يشكل مصلحة صهيونية بالدرجة الأولى؛ لأن كل الزعماء الصهاينة بدءاً بـ «بن غوريون، ثم ليفي أشكول، وغولدا مائير، وإسحاق رابين، ومناحيم بيغين، وإسحاق شامير، وأريئيل شارون، وإيهود أولمرت»، تبنوا خطاً إستراتيجياً واحداً في التعامل مع السودان يقضي بالعمل على تفجير أزمات مزمنة ومستعصية، وقد حان الوقت للتدخل في غرب السودان، وبالآلية والوسائل نفسها لتكرار ما حصل في جنوبه، معلناً النجاح الصهيوني في تغيير مجرى الأوضاع فيه باتجاه التأزم والتدهور والانقسام، وهو ما سينتهي عاجلاً أم آجلاً إلى تقسيمه لعدة كيانات ودول كيوغوسلافيا، التي انقسمت إلى عدة دول، هي: البوسنة والهرسك وكرواتيا وكوسوفو ومقدونيا وصربيا؛ بحيث لا يعود دولة إقليمية كبرى قادرة على دعم الدول العربية المواجِهة لـ «إسرائيل».

ومن جهة أخرى قالت مجلة «كيفونيم»: إن انفصال جنوب السودان شكَّل نتيجة طبيعية لتفكُّك هذه الدولة التي تتكون من ٤ مجموعات سكانية غريبة عن الأخرى، بدءاً بأقلية عربية مسلمة سُنية تسيطر على أغلبية غير عربية إفريقية، تنقسم إلى وثنيين ومسيحيين، كاشفة النقاب عن الدور الصهيوني في

(*) كاتب فلسطيني.

إشعال الصراع جنوب السودان انطلاقاً من مرتكزات أقيمت في أثيوبيا وأوغندا وكينيا والكونغو، وهو ما نجح في إعاقة قيام دولة سودانية متجانسة قوية عسكرياً واقتصادياً، قادرة على تبوء موقع صدارة في البيئتين (العربية والأفريقية).

وقال «تسفي بارئيل» المعلق الصهيوني في الشؤون العربية: إن «إسرائيل» تستعد لتطبيع العلاقات مع جنوب السودان؛ زاعماً أن التقديرات تشير إلى أن جنوب السودان سيصبح دولة صديقة مقرَّبة للصهاينة بالفعل، وكاشفاً عن أن اتصالات الجانبين بدأت من القنصلية الصهيونية في أديس أبابا منذ سنوات عديدة، وكانت شركاتها (أي الدولة الصهيونية) «واجهة» استُخدِمت للاتصالات، ووقع الاختيار على قبيلة «الدينكا» أقوى قبائل المنطقة لتكون الباب الذي تتسلل منه «إسرائيل» إلى جنوب السودان، وتتغلغل فيه.

أدوار استخبارية:

وأضاف: مرت العلاقات الصهيونية مع جنوب السودان بعدة مراحل، أهمها:

١ - تقديم المساعدات الإنسانية: كالأدوية والمواد الغذائية والأطباء والدعم الإغاثي.

٢ - استثمار التباين القبلي بين الجنوبيين أنفسهم، وتعميق هوة الصراع مع الشماليين.

٣ - تدفُّق صفقات الأسلحة الصهيونية على جنوب السودان، واتساع نطاق تدريب المليشيات الجنوبية في أوغندا وإثيوبيا وكينيا.

٤ - استئناف دعم التمرد المسلح، وتزويد الحركات الانفصالية الجنوبية بأسلحة متقدمة، وتدريب العشرات من طياريها على قيادة مقاتلات خفيفة للهجوم على المراكز الحكومية في الجنوب، وتوفير صور عن مواقع القوات الحكومية التقطتها أقمارها الصناعية.

٥ - إيفاد بعض الخبراء الصهاينة لوضع الخطط والقتال بجانب الانفصاليين، ومشاركة بعضهم في العمليات التي أدت لاحتلال بعض مدن الجنوب السوداني.

٦ - استقبال حزمة جديدة من الأسلحة شملت صواريخ ومضادات طائرات وعربات مدرعة وصواريخ (أرض - جو)، وتدريب طيارين من عناصرها تحت إشراف صهيوني.

ويكشف «بارئيل» عن ملاحظة ذات أهمية فائقة تتعلق بأن جملة من قام بهذه الاتصالات والتدريب من طرف «إسرائيل» هم رجال الموساد والاستخبارات العسكرية، بمعنى أن الدعم السياسي الذي حصل عليه الجنوبيون كان بالأساس استخبارياً أمنياً، وهي حقيقة تكشف المرامي الصهيونية من تحقيق الانفصال.

كما يتم الحديث حالياً عن فتح مطار «جوبا» أمام طيران شركة «العال» الصهيونية، وقد افتتحت مجموعة «شالوم المتحدة» شركة صيرفة هناك، وتوسَّعت أنشطتها، وتولَّت إقامة فندق خمس نجوم في عاصمة الجنوب؛ وخاصة أن قطاع الفنادق من أكثر القطاعات ربحية في جنوب السودان، مع العلم أن هذه المصالح الاقتصادية الصهيونية في جنوب السودان لا تتغلب إطلاقاً على المصالح السياسية والأمنية الكبرى؛ لا سيما في مواجهة احتمال عودة مصر للاضطلاع بدورها العربي الفعلي.

استهداف النيل:

وتعتقد «إسرائيل» أن مراميها السياسية والإستراتيجية في تشجيعها لانفصال جنوب السودان، تتجاوز كثيراً هذه البقعة الجغرافية لتصل إلى عواصم عربية مجاورة، ترى أنه لا بد من بقائها تحت مجهرها؛ تخوفاً من أي تغير قد يطرأ على أوضاعها الداخلية، وهو ما قد يُحدِث منعطفاً كبيراً ليس في صالحها، وربما تبدو مصر - دولة ودوراً وتاريخياً، وليس نظاماً بالضرورة - الأكثر استهدافاً في ذلك. لا سيما إذا كان المدخل الأكثر خطورة لـ «إسرائيل» يتمثل في مياه نهر النيل، فليس من شكٍّ أن أهميته لمصر تصل درجة أن يكون شريانها الحيوي الذي إذا انقطع فقد فُصل (الأوكسجين) عنها، وإذا كانت كينيا وإثيوبيا وأوغندا تشكل دول المنبع فإن السودان هي دولة الممر الرئيسية، وهنا يأتي العبث الصهيوني؛ حيث تشير معلومات إلى أنَّ هناك مشروعاً صهيونياً غربياً لبناء سدٍّ جنوباً في إثيوبيا، بوساطة شركة إيطالية؛ وذلك بهدف تحديد موارد مصر من المياه بشكل يرغمها مستقبلاً على قبول شروط لتزويد «إسرائيل» بالمياه، ناهيك عن بيع مياه النيل لاحقاً إلى مصر في حال احتاجت مصر إلى ما هو أزيد من حصتها وهو أمر محتَّم بحلول عام ٢٠١٦م.

أخيراً فإن مصالح «إسرائيل» في المفهوم الإستراتيجي لدولة جنوب السودان، أنها لن تكون إلا شوكة أخرى في خاصرة دولة عربية؛ لا سيما أن حقيقة انفصال الجنوب تجد مساندة قوية من اليمين المسيحي المتصهين في الولايات المتحدة للحدِّ من المد العربي والإسلامي داخل القارة الإفريقية، وهو ما يعني أن القادم بعد الانفصال سيكون لصالح «إسرائيل» بصورة أكثر خطراً وأبعد أثراً، لدرجة أن دولة الجنوب ستتحول إلى «قاعدة عسكرية» إسرائيلية في نهاية المطاف.

أسطول الحرية... الإغراق قبل الانطلاق

باسل النيرب
basilnerab@gmail.com

لإن كانت إسرائيل فشلت في إغراق أسطول الحرية (٢) في عرض البحر المتوسط أو في الموانئ التي ترسو فيها سفن المساعدات الإنسانية المتجهة إلى قطاع غزة؛ إلا أنها نجحت بفعل سياسة إعلامية واضحة المعالم مخططة مسبقاً متشعبة الاتجاهات في إغراق أسطول الحرية بالشائعات التي خوفت الدولة الأوروبية الحاضنة للسفن فتراجعت عن دعمها للناشطين الأوروبيين.

تلجأ الدعاية الصهيونية إلى الكذب والتبرير الإعلامي في مختلف المواقف السياسية منذ نشأتها، وتكون وظيفة رجل الدعاية الصهيوني أو المؤيد لها: أن يستخدم جميع الوسائل والحيل لعدم اكتشاف الأكذوبة. ولهذا تجدهم في حاله تأهب دائم مستعدين للرد على أي استفسار متقمصين دوماً صورة الضحية بطريقة لا تمكّن الخصوم أن يكتشفوا الكذبة، ويندرج هذا الدفاع السلبي في صورة النجاحات التي حققتها الصهيونية على الصعيد الإعلامي.

وفي حالة أسطول الحرية (٢) طفحت وسائل الإعلام الصهيونية بتقارير أشارت إلى أن سفن الأسطول ستحمل كثيراً من العرب والأتراك ذوي النيات الصدامية، وأكدت في تقاريرها الإخبارية من الموانئ الأوروبية على لسان مراسليها أن هناك معلومات حول شحن عدد من السفن بمواد كيميائية سوف تستخدم سلاحاً ضد الجنود الصهاينة.

ونقلت صحيفة يديعوت أحرونوت وغيرها من وسائل الإعلام العبرية عن مصادر في الجيش الصهيوني استعداده لمواجهة أسطول الحرية (٢) بشكل أكثر عنفاً من العنف الذي واجهته سفينة مرمرة السابقة، مشيرة إلى أنه «بحسب المعلومات التي جمعتها الاستخبارات الصهيونية يتبين أن نية الناشطين هي المساس وربما قتل جنود الجيش الذين يفترض أن يصعدوا إلى السفن ويسيطروا عليها، واستخدام موادَّ كيميائية ضد الجنود الصهاينة بهدف إحراقهم.

وحتى تُحبَك الرواية الرسمية الصهيونية أكثر قالت الوسائل الإعلامية: إن بعض أفراد تنظيم «أي إتش إتش» سيشاركون في السفن، بالإضافة إلى أوساط «إسلامية متطرفة» طبعاً! وادَّعت وسائل الإعلام العبرية أنَّ المشاركين في الأسطول مرُّوا بوُرَش تدريبية لكيفية مقاومة جنود الجيش الصهيوني، وأنهم حصلوا على إرشادات على الوسائل التي يستخدمها الجيش ضد الناشطين، ومنها خراطيم المياه، والكلاب، ونار القناصة، وكيفية التعامل مع مثل هذه المواقف.

يدخل التحليل السابق لمنظومة عمل الإعلام الصهيوني ضمن دائرة التأثير النفسي؛ حيث تلجأ الوسائل الإعلامية إلى التأثير عبر إثارة انفعالات معيَّنة مثل: القلق والخوف والشعور بالخطر والموت وإظهار تعبيراتها عند الحديث عن التهديد الذي يواجهه جنودها وخطورته على مستقبل الدولة والسلام عموماً.

وتتخذ في ذلك أسلوب التكرار الذي تقوم به مختلف الوسائل الإعلامية الصهيونية (صحف، مجلات، إنترنت، إذاعات، فضائيات، إعلام اجتماعي) للتذكير المستمر بالخطر القادم من البحر - مثلاً - بسبب أسطول الحرية (٢).

وتصل الرسالة الإعلامية إلى النتيجة؛ وهي في المحصلة: ترسِّيخ الإعلام الصهيوني في الأذهان أن دولة الاحتلال مهددة دوماً، وأن أمنها مرتبط بالأمن والسلام العالميين، وهي دولة صغيرة مسالمة ديمقراطية في محيط معادٍ غير ديمقراطي، يضم تيارات متطرفة.

أما في الجانب الدبلوماسي فقد استبق وزير الخارجية الصهيوني (أفيغدور ليبرمان) احتمال لجوء جيش الاحتلال للاعتداء على السفن باتهام الناشطين الدوليين بأنهم يريدون الصدام والدماء، وأعرب وزير الخارجية عن ارتياحه لنجاح الجهود الدبلوماسية والسياسية بهدف الحد من أهمية أسطول الحرية (٢)؛ حيث يقول: «إن سفراءنا ودبلوماسيينا أجروا مئات المحادثات، وفي نهاية المطاف فإن عدد السفن والركَّاب [في الأسطول] أقل مما هو متوقع»، وأشار ليبرمان إلى أن من بين أولئك الذين يصرون على الإبحار على متن السفن ناشطين مرتبطين بـ «الإرهاب» يسعون عن عمد إلى العنف وإراقة الدماء لجذب انتباه محطات التلفزيون.

في التحليل الإعلامي لتصريحات وزير الخارجية الصهيوني يلاحَظ أن وسائل الإعلام الصهيونية درجت على ربط بعض الشخصيات باستعمال أوصاف من نوع: (قاتل، إرهابي، يداه ملطختان بالدم) بطريقة تساعد على إبراز مشاعر معينة لدى الجمهور الصهيوني بدرجة أساسية والعالمي بدرجة ثانية.

وفي سبيل ذلك أوجدت الآلة الإعلامية الصهيونية مجموعة من الوسائل كالاتصال الشخصي من خلال إرسال المندوبين والممثلين الذين يتسربون باسم المنظمات الدولية. وهو الذي دفع بوزراء خارجية الدول الأوروبية - واليونان تحديداً - إلى وضع العراقيل أمام أسطول الحرية.

وفي المقابل غاب تماماً عن وسائل الإعلام الصهيونية والوسائل المتحالفة معها بيان رَفْض العنف الذي وقَّع عليه المشاركون في أسطول الحرية (٢)، كما غابت تصريحات درور فايلر (وهو إسرائيلي الأصل وناشط يساري مؤيد للحقوق الفلسطينية، وناطق باسم الأسطول) حيث قال في لقاءات مع وسائل إعلام فلسطينية: إن هدف ادِّعاءات الجيش الصهيوني هو تبرير استخدام العنف ضد الناشطين، ولم تسعفه تأكيداته أن جميع المسافرين وقَّعوا تصريحاً ينص على عدم استخدام العنف وأنهم لا يريدون أسطولاً شبيهاً بالأسطول السابق، وليست لديهم - كما يقول فايلر - أي نية للدخول في مواجهة مع أحد، بل الوصول إلى قطاع غزة بسلام.

إن نجاح الدعاية الإعلامية الصهيونية بات واضحاً؛ فالأسطول الذي من المقرر أن ينطلق مُنِع وخُرِّبت فيه أجهزة الملاحة، وهو بشكل أو بآخر يأتي في المصلحة الصهيونية فقد نجح قسم استخبارات التضليل الإعلامي التابع لمكتب رئيس الوزراء الصهيوني في هذه الجولة، وقدَّم التبريرات «المزيفة» ولكنها أقنعت العالم بخطورة أسطول الحرية (٢)، مثلما نجحت في وقت سابق بتبرير قصف سيارات الإسعاف الفلسطينية والترويج لمقولة: إن الفلسطينيين كانوا ينقلون عبرها الأسلحة والمتفجرات، وتبرير قتل الأطفال الفلسطينيين عبر القول بأن من يُقتَل هو إرهابي المستقبل، واتخذت من العمليات الاستشهادية والصور المباشرة التي تبثها لحظة وقوعها ذريعة لمواصلة القتل والقمع والتدمير والاحتلال تحت ذريعة «الدفاع عن الوجود».

لقد نجحت الدعاية الصهيونية في منع مغادرة أسطول الحرية (٢) بعد أن ساهم جيش المدونين التابع لوزارة الهجرة والاستيعاب الصهيونية في بث الأخبار عن خطورة الأسطول القادم من البحر على سكان فلسطين المحتلة وعلى السلام عموماً، ونجحت الصهيونية وفشلنا حتى عن تصوير فيلم يقدِّم نشطاء أسطول الحرية (٢) على أنهم أصحاب رسالة إنسانية مع أن وسائل إعلامنا حاضرة في تقديم عارنا إلى العالم وغائبة عند الطلب منها تقديم رسالة تمس معاناة شعب أعزل يُضطهَد!

الدراسات الاستشرافية في العالم الإسلامي

أحمد بن رشدي طومان

تمهيد:

من أبرز سمات العالم المعاصر أنه عالم يموج بالتغيرات المتلاحقة في شتى ميادين العلم والتقنية والاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة. إن أنواعاً كثيرة من التشابكات والتداخلات بين الظواهر والأحداث المختلفة، صارت تجري في العالم متجاوزة للحدود الوطنية. ومع ازدياد كثافة هذه الأنواع من التشابكات والتداخلات، أصبحت هناك نسبة غير صغيرة ومتزايدة من القرارات التي تمس حياة الناس في مختلف الأوطان، تُتَّخَذ على نطاق غير وطني من جانب كيانات مختلفة؛ لا سيما المنظمات العالمية والشركات متعدية الجنسيات. وتلك بعض خصائص ما أصبح يشار إليه بزمن العولمة أو الكوكبة [1].

ومما لا شك فيه أن الأمة التي لا تمتلك خريطة واضحة المعالم والتضاريس لهذا العالم سريع التغير شديد التعقيد، والتي لا تمتلك بوصلة دقيقة تعينها على تحديد مسارها الصحيح على هذه الخريطة، هي أمة تُعرِّض مستقبلها لأخطار عظيمة وتتحكم في تشكيل هذا المستقبل قوى خارجية لا يهمها من مستقبل هذه الأمة إلا أن يخدم مصالحها هي؛ سواء أكانت هذه المصالح متوافقة مع مصالح الناس في هذه الأمة أم لم تكن كذلك.

(١) للمزيد انظر: إسماعيل صبري عبد الله، توصيف الأوضاع العالمية المعاصرة، الورقة (٣) من أوراق مصر ٢٠٢٠م، منتدى العالم الثالث، القاهرة، يناير ١٩٩٩م.

الدول المتقدمة والنظر للمستقبل:

يندر أن تجد دولة متقدمة لا تستند إلى دراسات لاستشراف المستقبل في صنع قراراتها (الاقتصادية، أو السياسية، أو العسكرية). كما يندر أن تجد شركة كبرى - وبخاصة إذا كانت تنتمي إلى فصيلة الشركات متعددة أو متعدية الجنسيات - لا يشتمل بنيانها التنظيمي على مركز أو قسم للدراسات المستقبلية والتخطيط الإستراتيجي. إن هذه الدراسات وإن كانت تتطلب بالضرورة قدراً من الخيال والقدرة الذاتية على التصور المسبق لما هو غير موجود أو غير معروف الآن، إلا أن أنشطتها تختلف نوعياً عن الأنشطة التي تقع في حقل الخيال العلمي أو في ميدان التنجيم والرجم بالغيب؛ فما يطلق عليه اليوم الدراسات المستقبلية إنما يتمثل - على العموم - في دراسات جادة تقوم على مناهج بحث وأدوات درس وفحص مقننة أو شبه مقننة، وتحظى بِقَدْر عالٍ من الاحترام في الأوساط العلمية، وتنهض بها معاهد ومراكز بحثية وجمعيات علمية ذات سمعة راقية[1].

(١) من أشهر الجمعيات العلمية في هذا المجال جمعيتان: الأولى هي: World Future Society، التي تصدر مجلة The Futurist، ودورية Futures Research Quarterly، ودليل للمنظمات والدوريات في مجال البحوث المستقبلية Futures Research Directory: Organizations and Periodical، وكذلك دليل للأفراد المشتغلين بالدراسات المستقبلية: Futures Research Directory Individuals. للمزيد راجع موقع الجمعية على الإنترنت: www.wfs.org

أما الجمعية الثانية فهي: World Future Studies Federatrion، ولها نشرة ربع سنوية بعنوان: Futures Bulletin وكذلك كتاب دوري بعنوان World Future Studies Federation Newsletter وعنوان موقعها على الإنترنت هو : www.world futures.org

الحديث عن المستقبل[2] من منظور شرعي:

عندما يذكر القرآن تداولَ الأيام، فإنما يبذر في نفس المسلم إحساساً عميقاً من اليقظة التاريخية المستقبلية. وقصص الأنبياء في القرآن هي إعلام بما ستراه هذه الأمة بعد عصر الرسالة، وعندما قال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: (ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك)، إنما كان يبني على التجربة المستخلَصة في تاريخ دعوة الأنبياء، وقد بشَّر رسول الله ﷺ أصحابه بفتح بلاد كسرى وقيصر، وكان المسلمون يومئذٍ في قلة مع المكابدة للأعداء من كل جانب.

إن هذا العلم الذي يسمونه (المستقبليات) ليس غريباً على الثقافة الإسلامية؛ فقد كتب ابن خلدون عن (علم العمران) وذكر من فوائده: (يعرِّفنا بما هو واقع ومنتظَر)؛ فالذي يتقن هذا العلم برأي ابن خلدون يمكن له أن يستشرف ويتوقع القادم.

والأصل العام في الشريعة جاء مقرِّراً إثبات المصالح للمكلَّفين في الحاضر والمستقبل، كما يقول الشاطبي: «إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً».[3]

ومن تأمَّل سنن الحياة فإنه يدرك قوانينها الثابتة التي لا تتخرم عند تكامل موجباتها السببية؛ لذا وجب على المسلم أن يدافع القدر بالقدر من خلال فهم تلك النواميس الثابتة والعمل على مقتضاها الشرعي، فشيوع الظلم - مثلاً - مؤذن بخراب المجتمعات ونزوعها للثورات، ومن أجل تفادي وقوع هذا القانون الإنساني وجب على أهل الحلِّ والعقد المحافظة على موازين الحق والعدل من باب دفع الأقدار بالأقدار، وهي لا شكَّ استلهام عملي لتفادي توقُّعات المستقبل. وسِيَر الأنبياء وشرائعُهم نماذج حيَّة مليئة بالشواهد الاستشرافية للمستقبل الذي كانوا يتصورون وقوعه؛ فهذا نوح - عليه السلام - أمضى ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه، وحين رأى بحكمته ونفاذ بصيرته أن لا فائدة تُرجى منهم دعا على

(٢) محمد العبدة، موقع الإسلام اليوم
http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=37&catid=185&artid=952

(٣) من دراسة د. مسفر القحطاني، منشورة على موقع الإسلام اليوم:
http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=37&catid=185&artid=11273

قومه قائلاً: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح: ٢٧]. فكانت الرؤية المستقبلية واضحة عند نوح - عليه السلام - لذا كان القرار بالدعاء عليهم حكيماً لعدم توقُّع الإيمان منهم ولعِظم الضَّرَر من وجودهم، واستجاب الله - عز وجل - لدعائه. والمثل المشابه والمعاكس هو قول الرسول ﷺ لمَلَك الجبال الذي أراد أن يُطْبق الأخشبين على أهل الطائف: «بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» نظراً لتوقع الإيمان من ذراريهم في قادم الأيام.

وهذا يوسف - عليه السلام - فعندما فسَّر رؤيا العزيز بوجود كارثة اقتصادية في البلاد وحصول المجاعة، فقد قام بالتخطيط المستقبلي للخروج من هذه الأزمة بخطة مُحْكَمة لمدة خمسة عشر عاماً تنجو فيها البلاد من كارثة المجاعة. وقد قصَّ القرآن الكريم وقائعها في سورة يوسف، عليه السلام.

يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - في أهمية اعتبار هذه القاعدة عند النظر والاجتهاد: «النظر في مآلات الأفعال معتَبَرٌ مقصودٌ شرعاً كانت الأفعال موافقة أو مخالفة؛ وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعاً لمصلحة قد تُستَجلَب أو لمفسدة قد تُدرَأ ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحه تندفع به ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدَّى استجلابُ المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعاً من انطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية، ربما أدَّى استدفاعُ المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصحُّ إطلاق القول بعدم المشروعية. وهو مجال للمجتهد صعب المورد؛ إلا أنه عَذْب المذاق، محمود الغِبِّ، جارٍ على مقاصد الشريعة».

الدراسات المستقبلية وعلم الغيب:

إذا كان الإحصاء من دلائل الطريقة العلمية فالتخطيط كذلك، بل هو أوضح دلالة عليها، والتخطيط إنما يعتمد على الإحصاء. ويراد بالتخطيط وضع خطة لمواجهة احتمالات المستقبل وتحقيق الأهداف المنشودة.

وفي القرآن الكريم قصة جعلها الله عبرة لأولي الألباب، وهي قصة نبي الله يوسف - عليه السلام - وفيها يذكر القرآن لنا مشروع تخطيط للاقتصاد الزراعي لمدة خمسة عشر عاماً لمواجهة أزمة غذائية عامة، عرف يوسف - عليه السلام - بما ألهمه الله وعلَّمه من تأويل الأحاديث أنها ستصيب المنطقة كلها، وقد اقترح يوسف - عليه السلام - مشروع الخطة ووُكل إليه تنفيذها، وكان فيها الخير والبركة على مصر وما حولها: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ - ٤٩].

التخطيط والتوكل على الله:

بيَّن الرسول ﷺ أن التوكل على الله لا يعني اطِّراح الأسباب أو إغفال السنن، التي أقام الله عليها نظام هذا الوجود، ولا يكاد مسلم يجهل قصة الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ وترك ناقته أمام المسجد قائلاً: يا رسول الله! أأعقل ناقتي وأتوكل أم أطلقها وأتوكل؟ فقال له: «اعقلها وتوكل»[1].

وقال الإمام الطبري يرد على من زعم أن تعاطي الأسباب يؤثر في كمال التوكل: «الحق أن مَنْ وَثِقَ بالله وأيقن أن قضاءه عليه ماضٍ، لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب اتباعاً لسنته وسنة رسوله، فقد ظاهر ﷺ بين درعين ولبس على رأسه المغفر، وأقعد الرماة على فم الشِّعَب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة، وهاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادَّخر لأهله قُوْتهم ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك» أ هـ[2].

التخطيط للمستقبل في سيرة الرسول:

من قرأ سيرته ﷺ وجد أنه كان يُعِد لكل أمر عدته، ويهيئ له أسبابه وأُهبَته ويدل على ذلك: موقفه ﷺ من حرب الفرس والروم، وما كان من جدل بين المسلمين والمشركين في هذا مما نزلت فيه أوائل سورة الروم ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٢ - ٥].

ومن ذلك موقفه ﷺ في هجرته إلى المدينة؛ ففيها يتجلَّى التخطيط العلمي والتوكل الإيماني جنباً إلى جنب. فلقد أعد ﷺ من جانبه كل ما

(١) أخرجه الترمذي وابن حبان وابن خزيمة.
(٢) نقله الشوكاني في نيل الأوطار.

يستطيع البشـــر إعداده من الوسائل والاحتياطات والمعينات. ولقـــد اطمأن إلى المهجر الذي ســـينتقل إليـــه، بعد أن بايع المؤمنـــين من الأوس والخـــزرج بيعة العقبة الأولـــى والثانية، واشترط لنفسه أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم. واطمـــأن إلى الرفيق الذي ســـيصحبه، واطمأن إلى الفدائي الذي ســـيبيت مكانه، ورتب الدليـــل الذي يدله على الطريق، وهيأ الرواحل التي سيمتطيها هو وصاحبه ودليله في سفرهم الطويل، واتفقوا على المكان الموعود الذي سيلتقون به الركائب. وتخيَّـــر المخبأ الذي يختفي فيه أياماً معدودة حتى تخف حدَّة الطلب ويتملكَّ القومَ اليـــأس، واختاره في غير طريق المدينة زيادة في التعمية على القوم فكان غار (ثور).

ما قبل الدراسات المستقبلية:

رغم ما يُعتقَد للوهلة الأولى من أن الدراسات المستقبلية ربما تكون أكثر ســـهولة نســـبية من مثيلتها الواقعية، إلا أن العكـــس هو الصحيـــح، ولتوضيح ذلك نقـــول: إنه على خط الزمـــن لا يمكن اســـتيعاب مرحلة مـــا إلا بتحقيق قدر كافٍ من الاستيعاب لما يســـبقها؛ فلن نفهم الحاضر إلا باستيعاب الماضـــي، ولن نقرأ المســـتقبل إلا بفهم الماضي والحاضر؛ أي أن البحث في المســـتقبل أكثر مشـــقة؛ لأنه يحتاج إلى جهود مضاعفة، ومما ينبغي مراعاته:

أولاً: البيئـــة القانونيـــة: تعاني المجتمعات العربية من تدنٍّ في سرعة تدفُّق المعلومات بسبب عدم وجود قوانين كافية لتحقيق ذلك، بينما تكفل الدول الغربية حرية المعلومات بقوة القانون.

ثانيـــاً: مصـــادر المعلومـــات: يتمتع الباحثـــون في الدول الغربية بتوفر عدد هائل من مصادر المعلومات، التي تشـــمل مراكز البحوث والدراسات، والمكتبات العامة المتاحة للجميع.

ثالثـــاً: ضعـــف القـــدرات البحثية: العجيـــب أن مراكز البحوث والدراســـات العربية الكثيرة التـــي يُعلَن عنها ليس لها علاقة بالبحث أو الدراســـة؛ فأغلبها عبارة عن دُورٍ لنشر الكتـــب أو مجرد مواقع على الإنترنت، كما أن حركة الترجمة عـــن المصادر الأجنبية تعاني من ضعـــف واضح وتقتصر في الأغلب على ترجمة (الأكثر مبيعاً).

رابعـــاً: التكوين النفســـي: التكوين النفســـي للشخصية العربية يعطي مساحة واسعة ومتقدمة للعاطفة، وتلك مشكلة مزدوجـــة عند الرغبة في حلها؛ إذ نحتاج إلى تخفيض جرعة العاطفة، وإلى تحديد دقيق لمواطن إظهارها أيضاً.

مراكز الدراسات الاستشرافية[1]:

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية بدا واضحاً أن الحروب التاليـــة هي حروب أفـــكار، وأن المنتصر فـــي هذه الحروب الفكريـــة هو المنتصر علـــى جميع الأصعـــدة الأخرى؛ فبدأ ظهور مراكز الدراسات السياســـية والإستراتيجية باعتبارها مصانع لأسلحة الفكر، وليس أدلَّ على نجاح مراكز الدراسات الإســـتراتيجية في قيادة الولايات المتحدة إلى ما وصلت إليه الآن من شـــبه انفراد بالســـيطرة على العالـــم، من أن عدد هذه المراكز الأمريكية التـــي أُطلِق عليها منذ ظهورها (بيوت الخبرة) يتجاوز (١٧٥٠) مركزاً منتشـــرة في جميع الولايات الأمريكية، وتحتضن العاصمة واشـــنطن وحدها ما يزيد عن مائة منها، ولنا أن نتصور حجم الميزانيات الضخمة التي تُنفَق علـــى هذه المراكز التي تضم خيرة الباحثين والمتخصصين في العلوم السياسية والإستراتيجية، وهي مبالغ طائلة، يؤكد ذلك أن الولايات المتحدة عندما قررت خفض نســـبة ٢٪ فقط من موازنة المؤسســـة القومية للعلوم، كانت هذه الـ ٢٪ تزيد عن (١٠٥) مليـــون دولار، وهو ما يعني أن موازنة هذه المؤسســـة تتجـــاوز (٤) مليارات، والأهم من ذلـــك أن هذه المراكز تعمل بحرية كاملة لا تمنعها من انتقاد بعض السياسات والممارسات الحكومية، وتطرح البدائل الصحيحة وتقدِّم الأدلة الموضوعية على خطأ هذه الممارسات وصحة البدائل.

أهـداف الدراسـات المسـتقبلية أو استشـراف المستقبل:

الهدف الرئيســـي للدراسات المستقبلية توفير إطار زمني طويل المدى لما قد نتخذه من قـــرارات اليوم. ومن ثَمَّ العمل، لا على هدى الماضي، ولا بأسلوب (من اليد إلى الفم) وتدبير أمـــور المعاش يوماً بيوم، ولا بأســـلوب إطفاء الحرائق بعد ما تقـــع، بل العمـــل وَفْقَ نظرة طويلة المـــدى وبأفق زمني طويل نسبياً. فهذا أمر تمليه ســـرعة التغير وتزايد التعقد وتنامي (غيـــر اليقيني) في كل ما يحيط بنا. ومن جهة أخرى فإن ما تتيحه الدراســـات المستقبلية من إضفاء طابع مستقبلي طويل المدى على تفكيرنا، إنما هو علامة مهمة من علامات النضج العقلي والرشادة في اتخاذ القرارات.

---

(١) من مقال د. محمد بن سعود البشر، موقع الإسلام اليوم:
http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=37&catid=185&artid=4864

مهام الدراسات المستقبلية:

تحقق الدراسات المستقبلية أغراضها من خلال إنجاز عدد من المهام المحددة. وقد يكون من المناسب أن نبدأ بالتعريف الذي قدَّمه أحد أعلام الدراسات المستقبلية (ويندل بيل) للمهام التي ينشغل بها حقل الدراسات المستقبلية، وهي: (اكتشاف أو ابتكار، وفحص وتقييم، واقتراح مستقبلات ممكنة أو محتملة أو مفضلة). وبشكل أكثر تحديداً يذكر (بيل) تسع مهام محددة للدراسات المستقبلية، وهي[1]:

١ – إعمال الفكر والخيال في دراسة مستقبلات ممكنة.

٢ – دراسة مستقبلات محتملة.

٣ – دراسة صور المستقبل.

٤ – دراسة الأسس المعرفية للدراسات المستقبلية.

٥ – دراسة الأسس الأخلاقية للدراسات المستقبلية.

٦ – تفسير الماضي وتوجيه الحاضر.

٧ – التكامل بين المعارف المتنوعة والقيم المختلفة من أجل تصميم الفعل الاجتماعي.

٨ – زيادة المشاركة الديمقراطية في تصور وتصميم المستقبل.

٩ – تبني صورة مستقبلية مفضلة والترويج لها.

منهجيات وأدوات الدراسات المستقبلية:

ثمة مجموعة من الخصائص المنهجية المرغوب في توفرها في الدراسات الاستشرافية الجيدة. ومن أبرز هذه الخصائص ما يلي:

١ – الشمول والنظرة الكلية للأمور.

٢ – مراعاة التعقد.

٣ – القراءة الجيدة للماضي باتجاهاته العامة السائدة.

٤ – المزج بين الأساليب الكيفية والأساليب الكمية في العمل المستقبلي.

٥ – الحيادية والعلمية.

٦ – عمل الفريق والإبداع الجماعي.

٧ – التعلم الذاتي والتصحيح المتتابع للتحليلات والنتائج.

(١) انظر الفصل الثاني في المجلد الأول من كتاب:
Wendell Bell, Foundations of Futures Studies, Transaction Publishers, New Jersey, 1997.

طرق البحث في المستقبل:

ويمكن تقسيم طرق البحث المستقبلي وَفْقَ معايير متنوعة. فقد تصنَّف هذه الطرق حسب درجة اعتمادها على قياسات كمية صريحة إلى طرق كمية وطرق كيفية. كذلك قد تصنف طرق البحث المستقبلي إلى طرق استطلاعية تقدِّم صوراً مستقبلية احتمالية، وطرق استهدافية تقدِّم صوراً لمستقبلات مرغوب فيها. وقد يميز بين طرق نظامية أو موضوعية من جهة، وطرق غير نظامية أو ذاتية من جهة أخرى.

ويكتفي بتقديمها في عشر مجموعات تغلب على كل مجموعة منها سمة منهجية معينة[2]، وذلك على النحو التالي:

١ – طرق السلاسل الزمنية: ومنها طرق إسقاط الاتجاه العام trend extrapolation بالمتوسطات المتحركة وتحليل الانحدار.

٢ – طرق الإسقاطات السكانية: ومن أشهرها ما يُعرَف بطريقة الأفواج والمكونات cohort-component method؛ حيث يتم حساب النمو في عدد السكان من مكونات محددة كالمواليد والوفيات والهجرة إلى الدولة والهجرة من الدولة.

٣ – النماذج السببية causal models: وهنا يتم التنبؤ بقيم متغيرة ما أو مجموعة متغيرات باستعمال نموذج يحدد سلوك المتغيرات المختلفة استناداً إلى نظرية ما.

٤ – الألعاب أو المباريات gaming، وهي طريقة تعتمد على المحاكاة ليس فقط من خلال الباحث في الدراسات المستقبلية، بل وكذلك بإشراك الناس فيها على أنهم لاعبين يقومون بأدوار role playing يتخذون فيها قرارات أو تصرفات

٥ – تحليل الآثار المقطعية cross impact analysis وهو أسلوب لفهم ديناميكية نسق ما، والكشف عن القوى الرئيسية المحركة له.

٦ – الطرق التشاركية participatory methods: تتيح المجال لمشاركة القوى الفاعلة أو الأطراف المتأثرة بحدث ما في عملية تصميم البحث وجمع المعلومات اللازمة له وتحليلها واستخراج توصيات بفعل اجتماعي معين بناء على نتائجها.

(٢) للاستزادة حول الطرق المذكورة راجع كتاب Wendell Bell، مرجع سبق ذكره الفصل السادس من المجلد الأول. انظر أيضاً:
R. Slaughter, Futures Tools and Techniques, Future Study Centre and DDM Media Group, Melbourne/Australia, 1995.
انظر عرضاً أكثر تفصيلاً لبعض هذه الطرق في عملين لكاتب هذه الورقة:
١ – نظرة عامة على أساليب التنبؤ، ورقة ضمن المطبوعات التدريبية للمعهد العربي للتخطيط بالكويت، قدمت في برامج تدريبية متعددة خلال المدة بين عامي ١٩٩٢ – ١٩٩٥م.
٢ – السيناريوهات، الورقة رقم (١) من أوراق مصر ٢٠٢٠م، منتدى العالم الثالث، القاهرة، يوليو ١٩٩٨م.

٧ – طرق التنبؤ من خلال التناظر والإسقاط بالقرينة: وتقوم على استخراج بعض جوانب الصور المستقبلية استناداً إلى أحداث أو سوابق تاريخية معيَّنة.

٨ – طرق تتبُّع الظواهر وتحليل المضمون: يقصد بطريقة تتبُّع الظواهر monitoring استخدام طائفة متنوعة من مصادر المعلومات في التعرف على الاتجاهات العامة لمتغيرات معيَّنة، مع افتراض أن الاتجاهات العامة التي يتم الكشف عنها هي التي ستسود في المستقبل.

٩ – تحليل آراء ذوي الشأن والخبرة: ومن هذه الأساليب طريقة المسوح surveys التي يتم فيها استطلاع رأي أو توقعات عيِّنة من الأفراد؛ سواء من خلال استبيان يرسل بالبريد أو يتم تعبئته عن طريق المقابلة الشخصية أو الاتصال التليفوني. ومنها طريقة ندوة الخبراء panel discussion، وطريقة الاستثارة الفكرية أو القدح الذهني brain storming، وطريقة دلفي Delphi method التي يتم فيها استطلاع الآراء والتحاور بشأنها.

١٠ – السيناريوهات Scenarios: السيناريو وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، والأصل أن تنتهي كل الدراسات المستقبلية إلى سيناريوهات؛ أي إلى مسارات وصور مستقبلية بديلة.

مفهوم المراكز الفكرية[1]:

يعرف معجم وبستر webster dictionary المركز الفكري بأنه: (مجموعة من الناس وعادة من الأكاديميين أو مديري الأعمال، أو موظفي الحكومة المنظَّمين من أجل البحث ودراسة المشكلات الاجتماعية والعلمية وغيرها).

أما معجم التراث الأمريكي American heritage dictionary فيعرِّف المركز الفكري بأنه: (جماعة أو هيئة منظَّمة تقوم بأبحاث متعمقة لحل المشكلات، خصوصاً في مجالات التكنولوجيا والمجالات الإستراتيجية أو الاجتماعية أو السياسية أو التسلح).

ويعرِّف معجم العلاقات الدولية المركز الفكري بأنه: (معهد أبحاث مموَّل على نحو مستقل ويهتم بدراسة العلاقات الدولية ومجالات قضايا السياسة الخارجية).

وتعرِّف الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية والسلوكية المركز الفكري بأنه: (هيئة أو منظمة تتمتع باستقلالية نسبية وتتعاطى مع الأبحاث والتحليلات الخاصة بالقضايا المعاصرة (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية) بعيداً عن الحكومات والأحزاب السياسية وجماعات الضغط).

ومن هنا فالمركز الفكري مصطلح يصف – تحديداً – المنظمات التي تدعم أصحاب نظريات المعارف المتداخلة ودعاتها، وكذلك المفكرين الذين يحاولون وضع الأبحاث والتوصيات المتعلقة بالسياسة.

وبعد هذا العرض الموجز والإحصاءات المحفزة، لا زال الرجاء قائماً في أن ننقل العناية بمراكز الدراسات المستقبلية من حيز الأُمنيات والنظريات، إلى دائرة الطبعيات والمألوفات، وأن تصبح ثقافة عامة لدى العموم تنشأ وَفْقَ أسس منهجية إسلامية علمية يتربى عليها الصغار قبل الكبار، والله الموفق.

(١) كتاب المراكز الفكرية بأمريكا... الظاهرة والدور والتأثير عام ٢٠٠٨م، د. باسل رؤوف الخطيب، مركز الملك فيصل للبحث والدراسات الإسلامية – السعودية.

الثقافة الجدالية

د. محمد الفقيه الغامدي

لا يستطيع أحد أن يشكك في مدى سطوة الإعلام بوسائله المتعددة على العقول والأفكار والأذواق؛ بل حتى على المشاعر التي لم تسلم من عبث الإعلام بها، وهو ما ساهم في تفشّي ظواهر كثيرة ثقافية وغير ثقافية، ولعل من أبرز الظواهر الثقافية ظاهرة الجدل بكافة أنواعه وفنونه وعلى جميع المستويات (السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية)؛ بل كل ما يمتُّ للإنسان بصلَة امتدت إليه ظاهرة الجدل؛ فأصبحت كل قضية - جليلة كانت أم حقيرة - تُطرَح من منظور جدلي وتُعالَج بطريقة سجالية؛ وكأن الإعلام يعيد صياغة منهجية التفكير لدى الإنسان؛ فيصبح لا يأخذ قضية أو يتناول فكرة إلا وهي محمَّلة بالشكوك والجدالات. وفي خضم هذا كله كيف يصل إلى الصواب أو يهتدي إلى الحقيقة وهو لا يجد أمامه إلا أن يختار اختياراً اعتباطياً؟

لقد أصبح الجدال أحد أهم أُسُس الصناعة الإعلامية؛ فلا تكاد تخلو منه قناة مهما اختلف نوع المعروض فيها، بل يُعتبَر سِمة بارزة في بعض القنوات التي ساهمت في انتشارها؛ فحينما تطرح قضايا مشتعلة تتنازعها أطراف متعددة، وهو ما يجعل المهتمين بهذه القضايا ينجذبون لمثل هذه البرامج الجدالية التي في حقيقتها وسَّعت دائرة الخلاف وأضعفت الثوابت والقناعات، حتى أصبح الوصول للصواب أو الأقرب للصواب أمراً يشبه المستحيل عند المتلقين الذين بدورهم تحوَّل منهج التفكير لديهم إلى أسلوب جدالي، وأصبحت النفسيات مشبعة بحب الجدال والغلبة؛ فلا تبتغي سبيل الحق بمقدار ما يكون تفكير صاحبها مُنْصباً نحو الغلبة وفرض الرأي وإسقاط أراء الآخرين؛ وذلك عن طريق البحث عن أي سقطة أو خلل ينفذ منه إلى آراء خصومه فيبطلها أو يشوش الرؤية عليهم في أقل الأحوال.

والنتيجة ضياع الثقافة العميقة والأفكار الرصينة، والانتقال لثقافة سطحية تحمل كل ألوان الطيف غاية همِّها إرباك الخصم ومحاصرته ومن ثَمَّ التغلُّب عليه.

وانظر إلى أي برنامج جدالي مهما طالت مدته ثم انظر إلى الفوائد المجتناة من ذلك الجدل؛ فلا أظن أنك تظفر بفائدة تذكر إلا عنوان القضية المطروحة أولاً، وبعض النُّتَف الثقافية الهزيلة التي لا تُسمِن ولا تغني من جوع.

ثم ألقِ نظرة فاحصة على عقائد الناس وقيمهم وثوابتهم: كم تزعزعت، وأخذت التساؤلات والشكوك تتسرب إليها بقوة بعد شيوع هذه الظاهرة؛ حيث لم تسلم من طاولة النقاش عقيدة مهما عَظُمت، ولا مبدأ مهما عَلَت قيمته؛ إذ يعرض في مقابلها الضد الذي هو مرفوض أصلاً وغير معترَف به لدى أصحاب تلك العقيدة أو ذلك المبدأ، وتكون بداية الاعتراف به على أنه خصم يسمع منه أول خطوة لقبوله، فيأخذ من خلاله مساحة - ولو يسيرة أو هامشية - من إنصاتهم ومن رسوخهم في عقائدهم وقيمهم، ومع مرور الوقت وتتابع النقاشات تلو النقاشات تبدأ تلك المساحة الضئيلة في الاتساع مع انكماش في مساحة الثابت والراسخ إلى أن يتساويان، وفي هذه الحالة يكون الأكثر تمسكاً بمبادئه والأقوى رسوخاً في عقيدته هو مَن يستطيع أن يقول: هذا مبدأي أو عقيدتي أو قيمي وأنا أتمسك بها وألزمها كتمسكك والتزامك بقيمك، وهذا أقل حقوقي.

بينما يداخل الكثيرين شكٌّ في أن ذلك الضد المقابل وقد يكون على حق وهذا بعكس حالهم السابقة؛ حيث لم يكونوا يعترفون بعقيدته أو قِيَمه ويرون أنها باطلٌ، وليس أمامه من طريق إلا أن يتخلى عنها جملة وتفصيلاً.

وقد يقال: لماذا لا ننظر إلى الجانب الإيجابي في ثقافة الجدل؛ فبواسطتها نستطيع إزاحة العقائد الفاسدة أو إضعافها؟

وقد يُقبَل هذا التساؤل نظرياً، لكن إذا نظرنا للواقع الممارَس فسنجد أن الطعن والتشكيك والشغب وإثارة الخصوم صُبَّت صبّاً معتمَّداً متطرفاً على العقيدة الصافية والقيم الإسلامية الراسخة.

حتى أصبح يتردد على ألسنة الكثيرين قولهم: كنا نعتقد كذا فبان خلافه، وكنا نتشدد في كذا فظهر أن الأمر أيسر مما كنا نعتقد، وكنا نحرِّم كل شيء، وكنا أصحاب نظرة قصيرة وأفق ضيق، وكنا نظن أنَّا وحدَنا المسلمون... وهكذا من عُقَد الذنب غير المتناهية التي فتحت الباب على مصراعيه لكل عابث بدين الله ولكل باحث عن الأضواء، فانتشرت الآراء الغريبة والفتاوى الشاذة وكثرت التخبطات والانتكاسات.

ولكن: هل يحدث هذا الأمر هكذا فجأة ودفعة واحدة؟

ولعلنا لا نستغرب أنه إذا تزعزعت الثوابت فماذا ستكون النتائج؟ قطعاً ستكون شكوكاً وتردداً وتذبذباً ومحاولة بحث عن شيء ثابت، وأين الثابت وسط كل هذه الفوضى، وكل هذا الطوفان من الشكوك؟

ونظراً إلى ما قاله الصحابي الجليل حذيفة - رضي الله عنه - وكأنه يحكي ما يحدث في أيامنا هذه حينما قال له أبو مسعود: اعهد إليَّ. قال: ألم يأتك اليقين؟ قال: بلى. قال: «فإن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون؛ فإن دين الله واحد». [1]

وليست كما يتوهم بعض الناس أنها ظاهر صحية في الوعي حتى لا يحدث جمود في الفكر وتكلُّس في التفكير؛ بحيث يكون انتقال الأفكار وتداوُلها عن طريق التقليد دون أن تُعرَض على مشرحة النقد والتنقيح والتمحيص والنقاش. بل هو ظاهرة مَرَضية تصيب الأمم في فترات الخمول وأوقات الهزائم والتراجع، فيسعون لملأ فراغهم النفسي بشيء يشعرهم بدور يقومون به؛ فلا يوجد أشقُّ على النفوس من الإحساس بضآلة القيمة وضياع العمر في الأمور الصغيرة دون الكبيرة، فإذا لم يستطيعوا القيام بالأمور الكبيرة سدوا هذا الفراغ بكثرة الجدال والنقاش باعتباره نوعاً من الإشباع

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم: (١٧٧٥).

النفسي. وتخيل في مثل هذا الجو من التقاعس والخذلان وتجرُّع الهزائم ماذا سيطفو على السطح من أفكار؟

لا يمكن أن تكون أفكاراً عظيمة؛ فالأفكار العظيمة لا تنتج إلا في الأزمنة العظيمة والأفكار الهابطة نتاج الأزمنة الضائعة. وهو مصداق قول النبي ﷺ «ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨][1].

فثقافة الجدال هي البديل أو العقوبة التي تُسلَّط على مَنْ أعرض عن كتاب الله وهدي نبيِّه ﷺ علماً وعملاً.

والجدال يعطي صاحبه شعوراً بالامتلاء الكاذب والتفوُّق الزائف؛ فهو إذا أسكت فلاناً، وانقطع عنده آخَرُ شَعَر بالتميز الذي ما بعده تميُّز! وربما لم يعلم المسكين أن أكثر من يكف عن نقاشه إنما يستنكف استخفافاً به وتعالياً عليه أو توفيراً لعقلٍ وجهدٍ مهدورَين في نقاش لا فائدة تجتنى من ورائه.

ولا تُعَد الغلبة تميزاً في مجال اللجاج؛ فهي نوع من الخصومة لا يظهر فيها إلا إذا كان أكثر سوءاً. يقول الشاطبي: «ولا ترى أن ظهور حجة من يخاصمك نعمةٌ عليهم بل هو استدراج والعياذ بالله»[2].

وليس هناك من هو أكثر هشاشة وقابلية للكسر في مبادئه وثوابته من المجادِل، ومن ينظر إلى القوة التي يتحدث بها والثقة المبالَغ فيها ومحاصرة الخصوم وتفنيد حججهم، وقمعهم بالحجة تلْو الأخرى ظن فيه قوةً في المبدأ لا يتطرق لها الضعف وصلابة في اليقين لا تعرف اللين؛ بينما ليس أسهل من المجادل في تبنِّي أقوال الخصوم، فهو حين يجادل الخصم يتمثل مقولتَه ليستوعبها بغية الوصول لمواطن الضعف والخلل فيها حتى يجد فيها منفذاً قاتلاً يهاجم من خلاله خصمه المعاند حتى يُلزِمه ويقهره، وخلال تجواله في فكر الخصم يتشرَّبُها وهو لا يشعر. يقول عمر بن عبد العزيز – رحمه الله –: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل»[3].

كما أن أي عقيدة أو مبدأ أو فكرة تقوم على الاحترازات اللفظية وتتبُّع سقطات الخصوم تكون في غاية الهشاشة وترى صاحبها دائم الترحال بين الأفكار والأقوال لا يقر له قرار ولا يكاد يُعرَف بقول. يقول الإمام مالك: «أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟»[4].

وغالباً ما تتم مقارعة الخصم ومصاولته بإحدى وسيلتين: إما تحميل كلامه ما لا يحتمل، أو الانتقاء من كلامه ما يكون حجه عليه. ومن المعلوم أن الألفاظ مهما علت درجتها من الفصاحة لا يمكن أن تأتي مفصلة على المعنى تماماً لا تتجاوزه ولا يتجاوزها؛ وإنما اللفظ يدل على المعنى وتختلف الألفاظ بعد ذلك في قوة دلالتها. ولعسر هذا الأمر لم يتفق علماء فن على الحدود في ما بينهم.

فيجد المقابل فيها من المداخل والثغرات ما يخلخل به المعنى المراد ويهز دلالته عليه، وقد يخرج به إلى مواطن لم يقصدها، بل لم تخطر على باله أصلاً؛ وإنما اضطره إليها اضطراراً، وهذا يحصل بالتمرس في الجدال.

وقد تكون الفكرة المقابلة حقاً خالصاً، وقد تكون باطلاً خالصاً، وهذا لا يكون إلا في الإيمان والكفر والقطعيات، وقد تشتمل الفكرة على حق وباطل وربما غلب أحدهما على الأخر وكان المقابل قليلاً أو نادراً، كما أن بين الناس اختلاف واسع في تحديد الحق والباطل، فيسعى المجادِل لجعل فكرته حقاً محضاً وفكرة خصمه باطلاً محضاً، ويتخذ من الباطل الذي تضمنته فكرة الخصم وسيلة للنفوذ إلى خصمه وتوسيع دائرة الباطل لديه ليجعلها باطلاً خالصاً لا حق فيها أبداً؛ إذ لو كانت حقاً لما تضمنت مثل هذا الباطل بمقاييس العقلية الجدالية.

فتصبح هذه العقليات تتناول الأفكار، بل والأخبار بجدية تامة: إما الحق الخالص الذي لا يشوبه كدر الباطل، أو الباطل الخالص الذي ليس فيه من الحق. وهذا ينتج مزيداً من التباعد ويرسخ الفرقة والخصومة؛ لأن الالتقاء بين أمثال هؤلاء ومن سار على سننهم يكون فقط بأن يتخلى أحدهما عن فكرته ويتركها تركاً كاملاً ويتبرأ من تبعاتها ويغتسل مما علق منها، ثم يعتمد إلى فكرة خصمه فيتبناها كما هي دون حذف أو تعديل.

كما أنها تحجب أصحابها عن الرؤية السليمة العميقة النافذة للأمور. يقول الشاطبي: «تدقيق الأمور غير مطلوب شرعاً؛ لأنه تكليف وتنطع، ومَن تعسف وطلب المحتملات والغلبة بالمشكلات وأعرض عن الواضحات فيُخَاف عليه التشبُّه بمن ذمه الله – تعالى – بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧][5].

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وابن عبد البر في الجامع (١٨١١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
(٢) فتاوى الشاطبي، ص (١٨٣).
(٣) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (١٧٧٠).
(٤) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (١٧٩٧).
(٥) حمادي العبيدي: الشاطبي ومقاصد الشريعة، ص (١٦).

وكان أبو حامد الإسفراييني ينهى أن يعلق عنه كل ما يسمع في مجالس الجدال ويقول: إن الكلام يجري فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته. وكان من أثر الجدالات وتتبع الاحترازات وجود الأقوال المنحرفة والآراء المبتدَعة، وانظر إلى كثير من العقائد والمقالات المنحرفة في تاريخ الإسلام تجد أنها نتاج جدالات؛ حيث أنزلوا الإسلام لمجريات العقليات التي اخترعوها والجدليات التي ابتدعوها، ثم حاولوا إخضاع الإسلام لها وتسييره في مساراتها وأنى يخضع أو يسير في مساراتها وهو المهيمن عليها، فتكلفوا وتنطعوا فأخرجوا أقوالاً ما هي من الإسلام بسبيل وإن كسيت لبوساً إسلامياً.

ولا تكاد فكرة منحرفة - غالباً - إلا ووراؤها الجدل؛ حيث يحاول تحوير الفكرة وإقفال المنافذ على الخصم: فإما أن يحذف، وإما أن يزيد، وإما أن يغيِّر صورتها، وكلها تشويه لنصاعتها وصفائها، وتحريف لحقيقتها.

حتى الفكر الإسلامي المعاصر لم يكن بمنأى عن الأخطاء وبعض الانحرافات بسبب الجدالات مع الخصوم، وكان الهدف من الجدال خدمة الإسلام ودحر أعدائه، ولكن كم من مريد للخير لا يبلغه، ومما زاد الأمر سوءاً أنه قد صاحب هذه الجدالات إعجاب بالخصم المتحضر وإعلاء من شأنه مع تضاؤل أمامه، وشعور بأن اقتناعه أكبر غنيمة للإسلام والمسلمين، وهذا الخصم العنيد لم يدع فرصة لنأخذ من الحق وندع الباطل، بل يريد أن نأخذ بالباطل في ذيل الحق، فاضطر بعضهم تحت ضغط هجوم الخصم وتهمه التي لا نهاية لها للتحريف والتبديل حتى يشعره بعدم وجود اختلاف معه في القضايا الكبرى الهامة التي يطرحها ويبشربها، وأن ما يراه مخالفاً أو خطأ فالإسلام منه براء، فهو يحاول تقديم إسلام خالٍ من هذه المداخل والتهم، ولكنه في النهاية يقدم إسلاماً مشوهاً؛ ومع ذلك لن يرضى هذا الخصم منه إلا بالتخلي التام عن الإسلام: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وصدق الله - تعالى - فبعد كل هذه السنين من التنازلات والتحريفات لتحقيق رضاهم لم نحصل منهم على أدنى درجات الرضا.

يقول ألبرت حوراني: «وكانت إحدى غايات محمد عبده الرئيسة أن يُظهِر إمكان التوفيق بين الإسلام وبين الفكر الحديث، وأن يبيِّن كيفية تحقيق ذلك، وقد اشترك في مناقشتين حول هذا الموضوع: إحداهما مع المؤرخ الفرنسي هانوتو، والأخرى مع اللبناني المستمصر فرح أنطون. وكان الجدل من مقومات فكره، غير أن الجدال له أخطاره: ففي الدفاع عن النفس قد يصبح المجادل أقرب إلى خصمه مما كان يظن، ومما يلفت النظر أن محمد عبده لم يهتم في كلتا المناقشتين بمسألة صحة الإسلام أو خطأه، بل حصر اهتمامه بأمر اتفاقه مع ما يفترض بأنه من متطلبات العصر الحديث. ولعل نظرته إلى الإسلام قد تأثرت في ذاتها أثناء المناقشة بنظرته إلى ما يفتقر إليه الفكر الحديث؛ فقد تابع النهج الذي عهدناه لدى الطهطاوي وخير الدين والأفغاني في التوحيد بين بعض المفاهيم التقليدية للفكر الإسلامي وبين الأفكار السائدة في أوروبا الحديثة، وعلى هذا النهج انقلبت المحصلة تدريجاً إلى المنفعة، والشورى إلى الديمقراطية البرلمانية، والإجماع إلى الرأي العام وأصبح الإسلام نفسه مرادفاً للتمدن والنشاط اللذين كانا قاعدة التفكير الاجتماعي في القرن التاسع عشر»[1].

والجدل أحد أساليب أهل الباطل لترويج باطلهم وإشغال أهل الحق، وهو أحد أسلحتهم لختل خصومهم، وقد يرضون منه بمجرد الدخول في الجدال والعراك الفكري الذي يثيرونه باستمرار، ويشغلون الآخر بقضاياه الكرَّة تلو الكرة فيرمون له الحبائل ويزيدون في تمديدها حتى يطوقونه بها ثم يحصرونه في مناطق ضيقة وحتى لو تنبَّه لكمينهم؛ فكل الخيارات المتاحة لديه بعد ذلك تصبُّ في صالحهم.

ولا يقال بعد كل هذا: إن الجدال كله باطل وإلا وقعنا في ما نحذر منه؛ ولكنه كالدواء يؤخذ عند الحاجة وعلى قدرها، فإذا لم نجد وسيلة لقمع الباطل إلا الجدل ووجدنا مؤهَّلاً متمرساً فلا مانع من ذلك.

(١) الفكر العربي في عصر النهضة، ص١٥٢.

رمضان شهر الانتصارات

علي عفيفي علي غازي(*)

لقد أظلنا شهر عظيم مبارك نزلت فيه آيات القرآن الكريم، شهر ارتفعت فيه رايات المسلمين عالية خفاقة، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر؛ فما أعظمه من شهر! وما أعظم فضله! شهر انتصارات المسلمين التي ما زالوا يفاخرون بها، ويمنون أنفسهم بالرجوع إلى زمنها، ليس فقط في شهر رمضان بل في الشهور كلها. ولم تأت هذه الانتصارات إلا بعد أن تمسكوا بشرع الله القويم، وبكتابه الحكيم، وسنة رسوله الكريم ﷺ.

أول حلقة في سلسلة الانتصارات الرمضانية وأول معركة وقعت بين المسلمين والمشركين، هي معركة الفرقان بين الحق والباطل بدر الكبرى، وقعت بالقرب من ماء بدر صبيحة يوم الجمعة ١٧ رمضان ٢هـ (١٣ مارس ٦٢٤م). ورغم قلة عدد المسلمين مقابل المشركين فقد كان النصر حليفاً لهم، وخرج المسلمون من هذه الموقعة بكثير من المغانم. وقد قال الله – تعالى – في شأنها: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وكان من خبر هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ سمع أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام في قافلة عظيمة لقريش فيها أموالهم وتجارتهم، وفيها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش، ولو أن أهل مكة فقدوا هذه الثروة لكانت ضربة مؤلمة لهم، وفيها عِوَض عمَّ لحق بالمسلمين من خسائر أثناء هجرتهم إلى المدينة، كما أنها فرصة للنَّيل من هيبة قريش وصَلَفها، وكان الأمر الإلهي ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤].

لذلك ندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان حاضراً بالنهوض قائلاً: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا لعل الله ينفلكموها»؛ أي يجعلها غنيمة لكم. فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركبَ الذي معه ولا يرون قافلته إلا غنيمة لهم، ولا يظنون أن يكون قتال كبير إذا لقوهم، وهذا ما عبَّر عنه القرآن الكريم في قوله – تعالى –: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٧].

ولم يَدُر بخلد أحد منهم أنه مقبل على يوم من أخطر أيام الإسلام، ولو علموا لاتخذوا أهبتهم كاملة ولما سُمِح لمسلم أن يبقى في المدينة. واستعد رسول الله ﷺ للخروج ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً: ٨٢ أو ٨٣ أو ٨٦ رجلاً من المهاجرين، و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج. واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء ردَّ أبا لبابة ابن المنذر واستعمله على المدينة.

ولم يتخذ المسلمون أهبتهم كاملة؛ فلم يكن معهم إلا فرسان (فرس للزبير بن العوام، وثانية للمقداد بن الأسود الكندي)، وكان معهم سبعون بعيراً يتعاقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد – رضي الله عنهم – يتعاقبون بعيراً واحداً، فإذا ما كانت عُقْبة النبي ﷺ قالا: اركب حتى نمشي عنك فيقول: «ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى من الأجر منكما».

وكان الخروج من المدينة يوم الإثنين لثمانٍ أو تسعٍ أو لاثني عشر خلون من رمضان، ودفع الرسول ﷺ اللواء إلى مصعب بن عمير وراية المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ.

وبلغ أبا سفيان خروج الرسول ﷺ، وعلم بمقصده فأرسل إلى مكة ضمضم بن عمرو الغفاري مستصرخاً قريش ليمنعوه من المسلمين، وبلغ الصريخُ أهلَ مكة، فجدَّ جدُّهم ونهضوا مسرعين فكانوا بين خيارين: إما خارج الرجل بنفسه، وإما باعث مكانه رجلاً، لأن معظمهم كان له في القافلة نصيب، وخرجوا من ديارهم كما وصفهم الله – تعالى – ﴿ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٧].

(*) صحفي وأكاديمي مصري.

ولما سمع أبو سفيان بخروج المسلمين غيَّر طريقه المعتاد ولحق بساحل البحر الأحمر فنجا وسلمت العير، وأرسل إلى قريش أن ارجعوا فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم ورجالكم وأموالكم، وقد رجعت سالمة فارجعوا. وبينما همُّوا بالرجوع إذا بأبي جهل يأبى إلا القتال، وقال: والله! لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليها ثلاثاً فننحر الجذور، ونَطْعَم الطعام ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها فامضوا.

وعلى الرغم من قول أبي جهل فقد رجع بنو زهرة وبنو عدي بن كعب، ولولا سلاطة لسان أبي جهل ورميه المترددين بالجبن والضعف لأنسحب عدد كبير، ووقف عتبة بن ربيعة في معسكر المشركين يدعوهم إلى الرجوع؛ إلا أن صوت عتبة وغيره من عقلاء قريش ضاع بين صرخات الحرب وشهوة الانتقام من جانب أبي جهل ومن انضم إليه. ولجأ رسول الله ﷺ إلى الله - تعالى - داعياً: «اللهم! هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادُّك وتكذب رسولك، اللهم! فَنصْرَك الذي وعدتني، اللهم! إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبَد».

وقاتل المسلمون في معركة بدر قتالاً يميزه الصدق والإخلاص والحرص على الشهادة في سبيل الله تعالى، ولقد علم الله منهم هذا فساندهم وثبتهم وشد عزائمهم وأمدهم بملائكته ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]. وكانت هزيمة القرشيين نذيراً بنزول غضب الله على الكافرين؛ إذ بدأ المسلمون يهاجمونهم في كل أنحاء الجزيرة العربية، وترتب على هذه المعركة انهيار قوى الشرك وأسطورة قريش القوية.

وبعد ستة أعوام من الحلقة الرمضانية الأولى والانتصار الرمضاني الأول، كانت الحلقة الثانية، وهي فتح مكة بقيادة المصطفى ﷺ؛ فبعد أن غدرت قريش ونكثت العهد الذي أبرمته في صلح الحديبية بمساعدتها قبيلة بكر على قبيلة خزاعة حليفة المسلمين كان لا بد من نجدة خزاعة وإذلال الشرك والمشركين في العام الذي سُمِّي بعام الفتح.

وسار النبي ﷺ على رأس جيش المسلمين إلى مكة، وتحت قيادته عشرة آلاف مقاتل من المسلمين، وقسم الرسول ﷺ المسلمين إلى فرق، ورسم لكل فرقة خطة دخول مكة، ولم يلقَ جيش المسلمين أي مقاومة، ونجح في الاستيلاء عليها دون قتال يُذكَر في ٢٠ رمضان ٨ هـ (١١ يناير ٦٣٠م). ودخل الرسول الكريم ﷺ مكة منتصراً ومطهراً لبيت الله الحرام من الأوثان، ورفع بلال من فوق الكعبة نداء الحق: الله أكبر الله أكبر... وتم بذلك تطهير مكة من الأصنام وتم القضاء على الوثنية وأعلن فيها وحدانية الله، وأعز الله دينه ورسوله وجنده وأنقذ بلده الأمين، وطهر بيته الحرام الذي جعله هدى للعالمين من دنس الكفار والمشركين، وكان هذا الفتح تتويجاً لجهود النبي ﷺ في الدعوة، وإيذاناً بسيادة الإسلام في شبه الجزيرة العربية وارتفاع كلمة الحق والإيمان، ونزل فيه قول الحق - عز وجل -: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣]. وكان فتح مكة بمثابة اللبنة الأولى في بناء الدولة الإسلامية التي وضع أسسها المصطفى ﷺ بالمدينة قبل ذلك بما يزيد على ثمانية أعوام.

وفيها قال الرسول ﷺ مقولته المشهورة لمشركي قريش: «ما تظنـــون أني فاعل بكم؟»، قالوا: أخ كـــريم وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» كلمات تتجلى فيه عزة الإســـلام في هذا الموقف العظيم، وكرم الرسول ﷺ في هذا الموقف العصيب.

أمـــا أبرز المعـــارك التي انتصر فيها المســـلمون إبَّان عصر الخلفاء الراشـــدين، فهي معركة القادســـية على الضفة الغربية لنهر الفرات التي وقعت في شعبان واستمرت إلى رمضان ١٦هـ (٦٣٧م) بين المســـلمين والفرس، وكان قائد المسلمين الصحابي الجليل ســـعد بن أبي وقاص، رضي اللـــه عنه، وبلغ عدد جيش المســـلمين فيها نحو عشـــرة آلاف، وكان قائد الفرس رستم ذو الحاجب، ويتكون جيشه من مائة وعشرين ألف مقاتل، وقد مات المثنى بن حارثة الذي جرح في موقعة الجســـر قبل المعركة، ومن الصحابة الذين كانوا يســـاعدون سعد بن أبي وقاص: المغيرة بن شـــعبة، وقيس بن هبيرة، وطليحة بن خويلد الذي كان قد ادَّعى النبـــوة ثم تاب وأناب، وقبيل المعركة تم الاتصال بين المســـلمين والفرس بُغيَة الوصول إلى اتفاق يمنع الحرب، ولكن هذا الاتصال لم يســـفر عن نتيجة فقامت المعركة، وهي من المعارك الهامة في تاريخ الصراع بين المسلمين والفرس؛ إذ فرَّ فيها رستم وعشرات الآلاف من جنوده إلى المدائن عاصمة الساســـانيين، وغنم فيها المسلمون مغانم كثيرة.

وكانت موقعة القادســـية المعركة الحربية الحاســـمة التي ساعدت الأمة الإسلامية الفتية على أن تنعطف انعطافة جديدة في مســـيرتها التاريخية؛ وكان ذلك انعكاس طبيعي لانتصارها الظافر علـــى الفرس، الذين كانوا يهيمنـــون هيمنة كاملة على الجناح الشـــرقي للوجود البشـــري آنذاك، ومن ثَمَّ تسنَّى للأمة الإســـلامية في هذه الموقعة الحاســـمة تغيير ملامـــح التاريخ البشـــري؛ وذلك بعد أن اســـتطاع المســـلمون أن ينهوا الوجود الفارسي وســـيطرته على تلك المناطق الهامة من العالم حينئذٍ، وفي موقعة القادســـية تبلوَر أيضاً مدى الإعجاز الفريد للجانب العقدي الذي فجَّر ينابيعه الإيثار الفيَّاض والإيمان الصادق في نفســـيات المســـلمين؛ وذلك عبر الحوار الذي دار بين واحد من أبناء الحضارة الإســـلامية البازغة، وبين ممثل لتلك الحضارة الفارســـية الغاربة، وهذان المتحاوران هما: الصحابي ربعي بن عامر – رضي الله عنه – ورستم قائد الفرس، وذلك عندما دخل ربعي بن عامر على رستم، فقال رستم له: ما الذي جاء بكم إلى هنـــا؟ قال: جئنا لنُخرِج الناس من عبـــادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإســـلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

وفي ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ (١٨ يوليو ٧١١م) نشبت معركة شذونة أو (وادي لكَّة) بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد والقوط بقيادة لذريق، وكان النصر حليف المسلمين، وقد هيأ ذلك النصر أن يدخل الإســـلام إلى أسبانيا، التي كانت تسمى بشبه الجزيرة الأيبيرية، وأن تُفتَح الأندلس وتُضَم إلى كيان الدولة الإسلامية، وأن تظل دولة مسلمة ثمانية قرون.

وتم التقـــدم في فتح الأندلس بهـــذا النوع المتميز من أجناد العقيدة الإســـلامية في أجواء رمضان المعطرة بشـــذا الإيمان وبندى الإســـلام. فبدا ذلك ســـهلاً أمام هذا النوع من الجند، فقد اســـتهانوا بالصعاب وبذلوا النفـــوس رخيصة من أجل رفع شأن الإسلام وحضارته الحقة؛ فأمام هذا النوع من الجند كانت التضحيات كثيرة والجهد كبير، والدروب شـــاقة، والمناخ شديد، والجـــو غريب، والأرض صخرية عنيفة، وكان مســـتوى العقيدة أعلى من ذلك وأكبر، فانســـاب الفاتحون بهذه الســـرعة، فبدت لهم كأنها نزهـــة روحية من أجل إعلاء كلمـــة الله في الأرض، وهي ســـبب راحة المؤمن وفرحته بنصر الله إن عاش، وبجنته إن استشـــهد. وفي هذا يقول الحق – سبحانه –: ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَـا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْـنَيَيْنِ** ﴾ [**التوبـة** : ٥٢]. ولقد نتج عن هذا الفتح المبين أن انطلقت الأمة الإسلامية انطلاقتها الحضارية، ووصل إشعاعها إلى أوروبا المظلمة آنذاك.

ومن أعظم المعارك الإســـلامية الرمضانية تلك التي تسببت فيها امرأة صرخت: وامعتصماه! فحركت نخوة الخليفة العباسي المعتصم بالله فحرك جيشاً عرمرماً من قصر الخلافة إلى مدينة عمورية – التي هي إحـــدى مدن الدولة البيزنطية – وحاصرها اســـتجابة لنداء المرأة المسلمة التي استغاثت به، إنها معركة فتح عمورية.

حيث اقتحم المعتصم بالله العباســـي حصـــون عمورية في مائة وخمســـين ألفاً من جنوده ليجعل من غزوته غرة في جبين الدهر، ودرة وتاجاً في تاريخ الإسلام، وتعود أسباب تلك المعركة إلى أنه قد نقل إلى الخليفة المعتصم أن امرأة مســـلمة حرة قد وقعت في يد جند الروم، فلما همُّوا بســـبيها نادت: وامعتصماه! وامعتصماه! فهز النداء نخوته وأثار رجولته، وقال: لبيك، لبيك، فنهض المعتصم ولبس لأمته وتقلد سلاحه ثم ركب حصانه وصاح بالنفير وهو على أبواب قصره، وأقســـم ألا يعود إليه إلا شهيداً محمولاً علـــى الأعناق، أو ظافراً منتقماً للمدينة الغالية المنكوبة والمرأة المسلمة المغصوبة، وفي أرض المعركة قاتل الجيش المسلم الرومَ، ولم تغب شـــمس يوم ١٧ رمضان ٢٢٣هـ (١٢ أغســـطس ٨٣٨م) إلا والمدينة العريقة العتيدة بأيدي المســـلمين، وشـــوهد

المعتصم بن هارون الرشـــيد يدخلها على صهوة جواده الأصهب، وقد نكس رأسه خضوعاً لله وشكراً على نعمائه؛ فأين من يسمع صرخات النساء المستغيثات؟ وأين من يسمع استغاثات الأطفال والعجائز؟

ثم كانت المعركة التي أنقذت الإسلام والمسلمين، تلك المعركة التي قامت أمة الإســـلام بعدها من غفلتها واختلافها، وقامت تحـــت قيادة واحدة، هذه المعركة هي معركة عين جالوت في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ (٣ ســـبتمبر ١٢٦٠م) واحـــدة من أكثر المعارك حســـماً في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجَه بمثله من قَبْل، وأنقـــذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمـــت العالم الأوروبي أيضاً من شـــر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذٍ أن يدفعه.

فقد ظهر جنكيز خان في شـــمال الصـــين ومن ورائه جاء هولاكو يقود جيوشاً جرارة من المغول تلك التي تقدمت في البلاد تقتل وتخرب وتدمر كل شـــيء؛ دمرت الحضـــارة ودور العبادة وأصبحت خطراً على البشـــرية جمعاء، واندفعت هذه الجيوش الهمجية عبر إيران إلى العـــراق وجاءت بغدادَ فهدمت القصور وســـفكت الدماء وأحرقت الكتب ودمرت كل شيء، وبدأت مدن الشام تتســـاقط في أيديهم حتى وصلوا إلى غزة، وازداد غرور المغول وتوحشـــهم. ولكن الله جنَّد من يتصدى لهم، وهو القائد (ســـيف الدين قطز). زحف جيش المسلمين إلى عين جالوت في المنطقة التي تقع بين بيسان ونابلس بفلسطين، وقاد المظفر قطز المســـلمين، وكان المغول بقيادة (كتبغا)، ووجه الجيش الإسلامي هجوماً قوياً شـــديداً على جموع التتار، وكســـر شوكتهم، وعلت راية الإسلام، وانتهى اليوم الخالد بانتصار المسلمين نصراً هائلاً أوقـــف زحف المغـــول، بعدما لم يكن يظن أحد فـــي تلك الأيام أنه ســـتقوم للإسلام قائمة؛ فقد رثا الشعراء والأدباء والخطباء الإســـلام والمسلمين، ولم يَدُر في خلد أحدمنهم أن عبداً مملوكاً سيعيد للإسلام والمسلمين هيبتهم ومجدهم الغابر.

وفـي ١٠ رمضـــان ١٣٦٣هـ (٦ أكتـوبـــر ١٩٧٣م) عبـر الجيش المصري قناة الســـويس وحطم خـــط بارليف وألحق الهزيمـــة بالقوات الصهيونية، في يوم من الأيام الخالدة التي سطرها التاريخ في أنصع صفحاته بأحرف من نور؛ ففي هذا اليوم وقف التاريخ يســـجل مواقف أبطال حرب أكتوبر الذين تدفقوا كالسيل العرم يستردوا أراضيهم، ويستعيدوا كرامتهم ومجدهم؛ فهم الذين دافعوا عن أرضهم وكافحوا في ســـبيل تطهيرها وإعزازها فضربوا بدمائهم المثل، وحفظوا لأنفسهم ذكراً حســـناً لا ينقطع، وأثراً مجيداً لا يمحى. فبعد أن احتل اليهود ســـيناء الحبيبة والجولان والضفـــة الغربية والقدس وغزة في ٥ يونيو ١٩٦٧م أخذوا يتغنون بأســـطورة جيشـــهم الـــذي لا يقهر، لكن مصـــر نجحت في أعادة بناء جيشـــها وجهزته بالعتـــاد وخيرة جنود الأرض، وبالتخطيط الجيد مع أشقائها العرب وبإرادة صلبة قوية وإيمان قوي عظيم، وبخطة دقيقة محكمة فاجأت إســـرائيل والعالم كله الســـاعة الثانية بعـــد الظهر، وانطلقت أكثر من ٢٢٠ طائرة تدك خط بارليف الحصين ومطارات العدو ومراكز سيطرته، وفي الوقت نفسه ســـقطت أكثر من عشـــرة آلاف وخمســـمائة فوهة مدفعية وتعالت صيحات: الله أكبر، وتم عبور القناة واقتحام حصون العـــدو وتحطيمها واندحر العدو وهُزِم شـــر هزيمة، ورجعت أرض ســـيناء كاملة بعد ذلك نتيجة لهذه الحرب المجيدة، في هذا الشـــهر العظيم، شهر عزة المسلمين والذلة لأعداء الحق أعداء الدين.

وبعد: فهذه انتصارات رفعت من قدر الأمة الإســـلامية على بقية الشـــعوب ومكَّن الله لها فـــي الأرض؛ وما ذلك إلا لتوحُّدهم وجلوســـهم تحـــت مظلة واحـــدة وخلافة واحدة، فامتدت تلـــك الانتصارات منذ بزوغ نور النبـــوة بإنزال الله – تعالى – على رســـوله القرآن الكريم في غار حراء يوم ١٧ رمضان، عندما بلغ النبي ﷺ أربعين عاماً، مروراً بعهد الدعوة السرية والهجرة، ثم الخلافة الراشدة إلى نهاية خلافة الدولة العثمانية التي انهارت بســـبب اتحاد القوى الأوروبية ضدها. وهذه ليســـت كل الانتصـــارات؛ بل إن القارئ فـــي التاريخ الإسلامي ســـيجد غيرها كثيراً مما لا تتسع لاستيعابه هذه الصفحات القليلة؛ فهو بحاجة إلى مجلدات كثيرة لنســـتفيد من نتائجه في حاضرنا ونستشرف به مستقبلنا.

إن مـــن ينظر إلى هذه الانتصارات ســـينتابه العجب؛ كيف استطاع هؤلاء القيام بمثل هذه الانتصارات في وقت الصيام، وقد تكون في أيام صيف حار!

إن ذلك ليس بعجيب ولاغريب من أناس جعلوا الإسلام همَّهم وقدَّموا إعلاء رايته على كل شـــيء؛ فهو شهر عظيم جعله الله شـــهر انتصارات وعزة للإسلام والمسلمين. وها نحن اليوم نذكر تاريخاً كان بالأمس ليكون عبرة لنا نستفيد منـــه في حياتنا؛ بالتزامنا الحق ومـــا يدعو إليه الدين من العلم والعمل.

نسأل الله – تعالى – أن ينصرنا على أعدائنا إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

عدوانية الغرب

بين غريزة سفك الدماء وتصدير الكراهية!

عرض: محمد عبد الشافي القُوصي

نجح كتاب (عدوانية الغرب) في كشف حقيقة الصراع بين الغرب والإسلام، بلْ نجح بامتياز في الوصول إلى أصل الصراع وجذوره التي تمتد منذ نشأة الدولة الإسلامية في عهد الرسول الأكرم ﷺ؛ حيث أوضح المؤلف أن الإمبراطورية الرومانية لمْ تتسامح مع الإسلام، بلْ تعاملت معه على أنه عدو منذ البداية؛ فهي التي بادرت المسلمين بالعداء وواجهت الدعوة الجديدة بالرفض والمعاداة. وارتكبت تلك الإمبراطورية آنذاك جريمة تنكرها جميع الأعراف والمواثيق الدولية قديماً وحديثاً، وذلك بقتلهم مبعوث رسول الله! وهو الأمر الذي تسبب في معركة نشوب (مؤتة) في جمادى الأولى من العام الثامن للهجرة!

أشكال الصراع:

إنَّ كتاب (عدوانية الغرب) الصادر عن مكتبة مدبولي الصغير بالقاهرة لمؤلفه عامر عبد المنعم، يعد وثيقة تاريخية مهمة، وحجة دامغة لمن أراد أن يقف على خلفية الصراع بين الغرب والإسلام.

فقد أوضح المؤلف أن صراع الغرب مع الإسلام لمْ يكن عسكرياً فقط إنما اتخذ أشكالاً أخرى؛ فقد تم تشويه صورة الإسلام باختلاق كثير من الأكاذيب التي ساقها الكُتَّاب الغربيون، كما كان الهجوم على الإسلام هدفاً للإمبراطورية الغربية؛ سواء على الصعيد العقدي أو الصعيد الدعائي من جانب المؤرخين والمستشرقين المدعومين بعلماء اللاهوت في البلاد الخاضعة لسيطرة المسلمين، وقد تبعهم في المنهج نفسه أحبارٌ وقساوسةٌ بدءاً من القرن الثاني عشر الميلادي وحتى يومنا هذا. كانت هذه الدعاية قائمة على أساطير وأكاذيب جديدة لكتَّاب لمْ يعدموا الجهل بالأحاديث التاريخية، كما لمْ يُحرَموا موهبة تلفيق الأكاذيب، وكانت ثمرة هذه الدعاية ما اصطُلِح على تسميته في أوروبا باسم أسطورة مُحَمَّد.

إنَّ ما كتبه المستشرقون ضد الرسول الأكرم ﷺ يوضح بجلاء كَمَّ الكراهية وسوء النية المبيتة، وقد شهد «أرنيست رينان» على تحامل أبناء جنسه وملَّته من المستشرقين على الإسلام ونبيِّه ﷺ. يقول رينان: «لقد كتب الغربيون تاريخاً غريباً عن مُحمَّد [ﷺ]، إنه تاريخ مليء بالحقد والكراهية له».

ولم يحدث أن سعى الغرب لمراجعة مواقفه وتغيير أسلوب تعامله مع المسلمين، فموقفه العدائي هو الأصل الراسخ، وصراع الغرب مع الإسلام هو صراع لا يمكن أن يصل إلى حل؛ لأنه صراع بين مواقف نهائية. فالغرب يرى في الإسلام خطراً عليه، ثم إنه لا يعترف بأنه دين سماوي! وذلك يجعلهم يعتقدون أن الإسلام عدو يجب مواجهته والحد من أثره.

مراحل العدوان الغربي:

يقول المؤلف: لقد اندفع الأوروبيون لغزو العالم في ظل تفوقهم العسكري، واستخدموا القوة لحكم الدول الرافضة لهم. وقد شهد التاريخ المعاصر ظهور ثلاث موجات متتالية من الهجمات الغربية على العالم، تتلخص هذه الهجمات في (الحروب الصليبية)، و (الحملات الاستعمارية)، ثم (الحروب الاستباقية). وما حدث في هذه المحطات من خسائر كلَّف البشرية كثيراً على حساب عقائدها وأمنها ومصيرها؛ فقد أشاعت تلك الحروب الكراهية والعداوات الدينية، وبذرت التقسيمات الجغرافية والسياسية في حروب بين الجغرافيات والأعراق لا زالت ترهق الشعوب حتى اليوم.

كان الدافع الديني هو المحرك الأبرز وراء الحروب الصليبية؛ إذ توحَّدت أوروبا تحت راية الصليب. أما في الموجة التالية – وهي الموجة الاستعمارية – فقد اختلط الدافع الديني بالاقتصادي. وفي المواجهة المعاصرة اختلط الديني بالاقتصادي مع الرغبة في الهيمنة والسيطرة على العالم في الحروب الاستباقية.

لقد حرص الغرب منذ الحملات الاستعمارية على الهيمنة على العالم الإسلامي كما يقول المؤلف، ورغم سحب وتخفيف الوجود العسكري إبَّان حركات الاستقلال في الخمسينيات والستينيات، فإن الغرب نفذ كثيراً من الإجراءات التي حافظت على استمرار الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية. لكن مع ظهور وتنامي الحركات الإسلامية، وتصاعد الدعوة للاستقلال عن الغرب، وإعادة بناء الدولة الإسلامية، بدأ الغرب يكشف من وجوده العسكري لفرض سيطرته. وتطور الأمر إلى المبادأة بالاعتداء على المسلمين لإجهاض أي قوة ناشئة يمكن البناء عليها.

سياسة الحروب الاستباقية:

يشير المؤلف إلى أن الغرب بدأ في البحث عن عدو جديد مع نهاية الحرب الباردة وتفكُّك الاتحاد السوفييتي (سابقاً) فلم يجد سوى الإسلام. من أجل ذلك عقدت المؤتمرات والندوات، وصدرت التصريحات تلو التصريحات، ثم أُعلنت الإستراتيجيات والخطط لحشد التأييد الغربي للمواجهة مع العدو الجديد، الذي بالغوا في تضخيم خطره لتجهيز حلبة المصارعة للقضاء عليه، وتوج ذلك كله بنظرية صمويل هنتنغتون «صدام الحضارات».

فقد لوَّح هنتنغتون بخطر الحركات الإسلامية، والدعوة إلى مواجهتها قبل أن تمتلك أدوات القوة العسكرية. وقد لقيت هذه الدعوى الكاذبة تأييداً من أصحاب القرار في الولايات المتحدة، فسيطرت بشكل كبير على تفكيرهم، وانتقلت هذه التصورات إلى وسائل الإعلام الغربية التي بدأت بتعزيز صورة نمطية عن الحركات الإسلامية في المخيلة الاجتماعية الغربية ضد الإسلام والمسلمين.

وكان لروح الصراع دورها في تطوير الهجوم واستهداف الدول الإسلامية التي ترفض التبعية الكاملة للغرب وتضييق الخناق عليها. وفي هذا الإطار وضعت أمريكا قائمة حمراء

لهذه الدول أطلقت عليها اسم «الدول المارقة». وتم ضم دولتين غير إسلاميتين هما «كوبا، وكوريا الشمالية» للقائمة، لتمرُّدهما على الهيمنة الغربية وللضغط عليهما، ومنعهما من تقديم أي دعم في مجال التسليح للدول الإسلامية.

وقد بدأت أمريكا هذه الدول بالعدوان بحشد الدول الغربية المتحالفة معها لحصارها وتضييق الخناق عليها. وفي هذا الإطار هاجمت أمريكا ليبيا والسودان وأفغانستان والعراق بالصواريخ خلال الثمانينيات والتسعينيات، ثم غزو الدولتين الأخيرتين واحتلالهما عسكرياً مع بداية الألفية الجديدة.

ولمَّا كان الغرب لا يستطيع شن حروب عسكرية ضد كل الدول الإسلامية في وقت واحد، فإنه نوَّع أساليب الحرب تحت الاضطرار، وجَيَّش كلَّ ما هو متاح في الإجراءات الاستباقية. وفي هذا الإطار ابتكر الغرب الحرب على ما يسمى «الإرهاب» لاحتواء ظاهرة عودة المسلمين إلى الدين، ومواجهة الحركات الإسلامية التي تريد إعادة الخلافة الإسلامية مرة أخرى كوعاء يستعيد القوة الإسلامية.

وبالفعل فقد سعت الولايات المتحدة لحشد تحالف عالمي للصراع مع المد الإسلامي تحت شعار «مكافحة الإرهاب»، ورصدت ميزانيات ضخمة وشكلت منظمات أمنية وأطراً مؤسسية لتجنيد العالم في معركة المطاردة والمحاصرة. وحرَّضت أمريكا دولاً وحكومات للانخراط معها في هذه الحرب، وقدَّمت المعونات والخبرات الفنية لإلزام دول العالم وإجبارها على المشاركة. كما استطاعت الولايات المتحدة إدخال المنظمات الدولية في الصراع، واستخدمت الأمم المتحدة لإصدار التشريعات والمواثيق لإلزام العالم بالتورط في المعركة.

يرى المؤلف أن الحروب الأخيرة التي أشعلها الغرب عقب أحداث سبتمبر ٢٠٠١م لا يمكن النظر إليها على أنها ردُّ فعل، أو عزلها عن المعتقد والسلوك الصراعي للغرب مع المسلمين. فالعداوة سابقة على هذا التاريخ، والاستعداد للحرب كان مُبَيَّتاً؛ سواء وقعت أحداث سبتمبر أمْ لم تقع. لكن التوقيت ربما كان سيتأخر قليلاً. وأما هذا الانتقام من دول وشعوب المنطقة بالشكل المأساوي الذي حدث لا نجد له تفسيراً إلاَّ أن روح الصراع تجعل الغرب ينزع إلى الاعتداء والإبادة في كل الأحوال.

حصاد العدوان الغربي ونتائجه:

إن تفوُّق الغرب العسكري أغراه بالعدوان، وتسببت عقلية الصراع في توريط الغرب في مغامرات عسكرية، فوجئ أنها فاقت قدرته على تحمل اتساعها وامتدادها؛ فمع كثرة اعتداءات الغرب على المسلمين ظهرت نقاط الضعف لديه، في الوقت نفسه الذي تجلت فيه عناصر القوة لدى الطرف الآخر. وقد ثبت أن الإفراط في استخدام القوة يضعف تأثيرها مع الوقت، ولا تجلب النصر دوماً.

لقد دفعت روح الصراع الغربَ لغزو العراق وأفغانستان لتقديم عبرةٍ لباقي المسلمين، فإذا بالنتائج تأتي عكسية؛ فقد تسبب هذا التقطيع في أوصال الدولتين وتجريب أسلحة الدمار الفتاكة في شعبيهما، وانكشاف الوجه العدائي للغرب، تسبب في ردة فعل في الجانب الإسلامي؛ فأيقظ روح المقاومة وأحيى فكرة الجهاد. ووجدت أميركا نفسها متورطة في مستنقع لا مثيل له. وتحول النصر السريع في البداية إلى انكسار واستنزاف في ما بعد. وبدلاً من الاحتفال بالانتصار أصبحت الأُمنية هي الانسحاب والفرار.

نعم، لقد تسببت روح الصراع العدائية لدى الغرب في ولادة روح المقاومة في الجانب الإسلامي، وقوبلت القوات الغازية بروح قتالية لم تكن تتوقعها، ولم تستطع ترسانة الأسلحة الأمريكية كسر عزيمة المقاومين الذين يقاتلون بأسلحة لا تُقارن بما لدى الجيوش الغربية المتحالفة. ولم يرهبهم الهجوم الغربي المسلمين بقدر ما قوَّى قدرتهم على التحمل وامتصاص الضربات، وأفقد الجيوش الغازية هيبتها. ومقابل حشود الجيوش الغربية المتدفقة على مناطق القتال، احتشدت حركات المقاومة الإسلامية هي الأخرى، التي تشكلت من جنسيات عربية وإسلامية عدة وكونت جبهة مضادة، وقد تسبب توسيع ساحة الصراع في خروج المعارك عن السيطرة.

إن القدرة على شن الحروب لا تعني القدرة على إنهائها. ربما كانت الصوارخ والقنابل والقصف من الجو مؤلمة للخصم لكنها غير كافية لإنهاء المعركة؛ فهناك عوامل أخرى تحسم المعارك بجانب الأسلحة والتخطيط العسكري؛ فقد ظهر العنصر البشري عاملاً حيوياً في تحقيق النصر. هذا الصمود البشري والتفاني في القتال ربما لا يظهر في بداية المعارك لكن مع استمرار واتساع الحروب التي تحركها عقلية صراعية لا هدف لها سوى قهر الآخرين، تولد عناصر بشرية لا تتأثر بقوة الخصم ولا تبالي بقدرته التسليحية، وتفرض حقائق جديدة تقلب المتعارف عليه في الحسابات الإستراتيجية.

وصفة علاج:

يشخِّص المؤلف عِلَلَ الغرب وأمراضه، ثم يقدم وصفة علاج ناجعة، فيقول: إنَّ التاريخ القديم والحديث يثبت أننا أمام كيان يعاني من مرض مزمن. فالغرب مريض بداء الولع بالصراع مع الآخر والعدوان عليه، وهذا المرض الذي ألمَّ به تسبب في استنزافه، واستنزاف العالم معه، ومن ثَمَّ على العالم أن يساعد هذا المريض كيْ يتعافى. وأول مرحلة للعلاج أن نشخص المرض، وأن نوضح للمريض حقيقة مرضه. وفي حالة رفض الغرب الاعتراف بجرائمه في حق البشرية وفي حق نفسه، ليس أمام شعوب العالم إلاَّ التكاتُف والتصدي له، ووقف عدوانه وعزله ووقف خطره.

إن استمرار مرض الغرب لا يعني أنه سيظل يواصل تأثيره العدائي إلى الأبد، فها نحن نرى اتساع ظاهرة التمرد على الهيمنة الغربية في أمريكا اللاتينية وفي آسيا. لكن التمرد الإسلامي هو الأهم بالنسبة لنا وللعالم؛ فهو الكفيل بردع هذه الروح الشريرة. وها نحن نشعر بأن جسد العالم الإسلامي قد بدأ يُكَوِّن الأجسام المضادة ويُقَوِّي جهازه المناعي لكبح جنون «فيروس الصراع». وتبدو إرهاصات عودة الإسلام مرة أخرى محركاً وقائداً لاستعادة الدولة الإسلامية التي أصبحت ضرورة حتمية لحماية المسلمين وغيرهم، ولإعادة التوازن العالمي المختل.

في المقابل لم يعد لدى الغرب القوة القادرة على مواصلة الصراعات، بسبب الانهيار الذي أصاب الإنسان الغربي الذي سيطرت عليه المادية وملكت كيانه، وجعلته غير قادر على التضحية والقتال بسبب ظهور إرادة المقاومة وحب الموت عند المسلمين. وهنا الفرق بين إرادتين: إرادة محبة المتعة والحياة، وإرادة محبة القتال والشهادة. وعند الصدام تنهار الإرادة الأولى أمام الإرادة الثانية.

وفي سبيل مواجهة المرض العضال الذي ابتُلِي به الغرب (الصراع العسكري) يطالب المؤلف بضرورة كشف روح الصراع عند الغرب وإظهار مرضه المزمن حتى يتعامل معه الآخرون بما يفيدهم وبما يؤدي إلى عزل الكيان المريض والحد من خطره.

ويرى أيضاً ضرورة وقف انتشار روح العداء الغربية ومنع تصديرها إلى شعوب العالم؛ بتقوية المقاومة ضدها، وإحياء حالة الممانعة (فكرياً واجتماعياً وسياسياً)، ووقف حملات تحسين صورة الغرب التي يقوم بها بعض الناس عن عمد وسوء نية، أو عن جهل وسذاجة بإظهار مزاياه فقط، والتكتم على المشكلات الحقيقية التي يعاني منها.

كذلك البدء بتحرير البؤر التي تعاني من تصدير الصراع إليها في العالم الإسلامي؛ سواء من تدخلات خارجية في صورة احتلال أو هيمنة، أو تدخُّلات غير مباشرة في صورة محاولات تغيير السياسات والنُّظُم الاجتماعية.

وأيضاً السعي لتوحيد الجهود لإعادة الكيان الإسلامي لرد الاعتداء وصد العدوان الغربي والحد من أثره وإعادته إلى حدوده القديمة والسيطرة عليه.

ولا بد من التواصل مع الكيانات الحضارية الأخرى في آسيا وأمريكا اللاتينية وإفريقيا لبناء جبهة واسعة للتصدي لروح الصراع الغربية.

ويرى التحاور والتفاهم في الوقت ذاته مع الغربيين الذين يشعرون بخطورة المرض، ويشاركون في أداء أدوار إيجابية ضد روح الصراع السائدة في الغرب.

الحق أقول: إنَّ كتاب (عدوانية الغرب) لمؤلفه (عامر عبد المنعم) غاية في الأهمية للباحثين والمفكرين الإستراتيجيين على وجه الخصوص؛ للوقوف على حقائق الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب، أو بين الشمال والجنوب. ومعرفة جذور العداوة التاريخية، وكيفية التعامل مع هذا الملف الشائك، إنها معركة الوجود بين القرآن والتلمود!

عزلة وانفراد، أم تميز وتفرد؟

منذ أن أرسل الله – جل شأنه – رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق تعهَّد له ولأمته من بعده ببقائها وديمومتها واستمراريتها إلى يوم الدين ولو كره الكافرون ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]. ومنذ انطلاقة هذه الرسالة الإلهية السامية حملت في ثناياها العدالة المطلقة والتسامح البيِّن والاحترام الجليَّ للعقل البشري مع الوضوح التام في المعتقدات والشرائع؛ فجاءت سامية المبادئ شاملة البيان سهلة التكيف مرنة الاندماج مع المتغيرات البشرية والحياتية، متناغمة بتآلف ودود مع الفطرة والطبيعة الإنسانية، محملة بالوصايا الربانية للنبي ﷺ ثم لكل من ولي أمراً لبني البشر بالتزام الرفق وإحقاق الحق ومحاربة الظلم ورفع العنت والإصر والأغلال عن رقاب طالما ناءت بحملها الثقيل وأنَّت تحت نير الجهل والقهر والاستعباد من الإنسان لأخيه الإنسان.

ولأن لكلِّ خير وحق أعداءً يحاولون طمسه وإضعافه، فإن الإسلام – وهو أصدق الحقائق وأجلاها – له أعداؤه الكثر ابتداء من كفار قريش مروراً بكل حملات التشكيك القديمة والمعاصرة وإلى قيام الساعة؛ ولذلك بات من المألوف أن لا تهدأ وتيرة الغمز الخفي أو الحرب المعلنة ترتفع هنا أو هناك على كافة الصعد وفي مختلف الميادين، ومنها تلك التهمة التي تصور (بقاء الإسلام فكراً قوياً ومؤثراً محتفظاً بكل قوته وكيانه بأنه نتاج تقوقعه وعزلته وانفراده) بحسب قول أحد أعمدة التبشير وهو (شاتلييه) وكذلك المبشر (زويمر) الذي دعا إلى اعتماد أسلوب التشكيك بشريعة الإسلام وتغذية وتعميق الميل بل الاتباع لتلك الأفكار المفكِّكة – كما يقول – لعقائد الإسلام ومبادئه الخُلُقية (وَفْقَ ميزتي الهدم والبناء للإرساليات التبشيرية). وهم يرون أن المسلمين متعصبين وأن تعصُّبهم يحول بينهم وبين محبة وتقبُّل الآخر. يقول المبشر رايد: (إن ذلك الحاجز العظيم الذي يُدعى عادة بالتعصب؛ وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره، قد بناه الإسلام حول أتباعه ليحميهم من داخله ويترك المبشر خارجه).

إن دعاة الفرنكفونية ينهجون النهجَ ذاته وهم ما زالوا يحاولون اقتلاع جذور القيم الإسلامية متمثلة بالحجاب والمظهر الإسلامي – مثلاً – ويعتبرون قيمنا أمراً غير مرحَّب به في بلادهم؛ حيث يقول الرئيس الفرنسي ساركوزي: (إن البرقع الذي يغطي المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها أمر غير مرحَّب به في فرنسا. الفرنسيون لا يحبون رؤيته في بلادهم).

إن محاولات طمس الهوية الإسلامية والسعي إلى الحد من انتشار الإسلام ومحاربة وجوده وتجفيف شرايين اتصاله بالآخر بكل وسيلة: هو أكبر دليل على أنه دين حيٌّ متجدد سريع التأثير منفتح القنوات يُخشَى من انتشاره بسهولة ويسر وليس فيه صفة واحدة تدل على الانعزالية والتقوقع.

فهل يدرك أولئك الذين يلصقون تهمة الانعزالية بالإسلام ويعتبرونها السبب في ديمومته وبقائه، أو الذين يصفونه بالجمود والتخلف وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان، هل يدركون مدى الخطأ المقصود غالباً وغير المقصود أحياناً وهم يرون ويلمسون حكمة وعملية وسعة أفق الحلول الإسلامية لكل مشكلات البشرية قديماً وحديثاً؟ أم أنهم يخشون يقظة المارد النائم على حسب تعبيرهم فيوغلون بالاستخفاف بعقول البشر وتفكيرهم مستمرين في محاولات إبقاء الأمم مخدَّرة غافلة عن الحق وهي تلهث خلف سراب المادية والإباحية محقونة بجرعات متتابعة من الافتراءات على شرع الله ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

رقية القضاة

أوراد

أهل السنة والجماعة

من القرآن الكريم وصحيح السنة والنبوية

قال شيخ الإسلام: (فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان).

في هذا الكتاب..

الثناء • الصلاة على الحبيب • الاستغفار • السؤالات • الاستعاذات

تفريج الكرب والهم • الرقية الشرعية • أذكار الصباح والمساء

للتوزيع الخيري والمبيعات في المملكة العربية السعودية - اليمن - السودان

دار رسالة البيان للنشر والتوزيع - هاتف : ٤٥٤٦٨٦٨ - تحويلة ٥٠٢/٥٠٠ - جوال : ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

المنطقة الغربية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ - المنطقة الجنوبية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨ - القصيم : ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

الشرقية : ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ - مكة : ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠

روح العلم

أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

زرت قبل عدة سنوات أحد رموز ما يسمى باليسار الإسلامي في بيته، فلما حان وقت صلاة المغرب، استأذنته للصلاة جماعة، فاعتذر لأنه لا يصلي، فلما رأى علامات الاستغراب على وجهي أراد أن يلطف الجوَّ قائلاً: المهم عبادة القلب!

تأملْ هذا الموقفَ، ثم اقرأ معي ما كتبه أحد كبار المثقفين - وهو جلال أمين - عن والده الأديب أحمد أمين، الذي ملأ الدنيا بمؤلفاته ومقالاته عن الإسلام وتاريخ التراث الإسلامي، حيث يقول: (رغم أنَّ أهم كتاباته كانت تدور حول الإسلام، لم يكن متديناً بمعظم المعاني الشائعة اليوم؛ إني لا أتذكر - مثلاً - أني رأيت أبي وهو يصلي، ولا أذكر أني رأيته وهو يقرأ في المصحف، إني أتذكر اعتذاره عن الصوم بسبب مرض أو آخر كان يفرض عليه نظاماً معيناً في الأكل، أو بسبب التدخين، ولكني لا أتذكره وهو ينتظر حلول المغرب ليتناول إفطاره في رمضان...)(*).

هذا الفصام العجيب يثير سؤالاً في غاية الأهمية، وهو: هل التدين الشخصي له أثر في استقامة الفكر وسلامة التوجه، أم أنَّ الفكر يمكن أن يستقيم بمعزل عن الالتزام بأحكام الشريعة؟

والجواب الذي لا شك فيه: أنَّ العلم الصحيح سيقود بالضرورة إلى خشية الله - تعالى - وتعظيم أمره ونهيه، وتأمل قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقوله - سبحانه -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

فالعلم الذي لا يقود إلى الخشية والإنابة ما هو إلا بضاعة دنيوية كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦]، وقد بسطَ القولَ في تقرير ذلك جمعٌ من العلماء منهم الإمام الشاطبي في مقدمة الموافقات، ومن ذلك قوله: (روح العلم هو العمل، وإلا فالعلم عارية وغير منتفَع به)(١). وقوله (كل علم شرعي ليس بمطلوب إلا من جهة ما يُتوَسَّل به إليه، وهو

(*) جلال أمين، ماذا علمتني الحياة؟: (ص ٣٠٣)، ولولا أن من كتب هذا ونشره على الملأ هو الولد عن أبيه لما استحسنت ذكر الأسماء.

(١) الشاطبي، الموافقات: (١/ ٦٢).

العمـــل)[1]. وقوله: (العلم الذي هو العلم المعتبَر شـــرعاً - أعني الذي مدح الله ورســـوله أهله علـــى الإطلاق - هو العلم الباعث علـــى العمل، الذي لا يخلي صاحبه جاريـــاً مع هواه كيفما كان؛ بـــل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه الحامـــل له على قوانينه طوعاً أو كرها)[2]. ويقرر الشـــاطبي قاعدة كلية محكمة، وهي: (علماء الســـوء هم الذين لا يعملـــون بما يعلمـــون، وإذا لـــم يكونوا كذلك فليســـوا في الحقيقة من الراسخين في العلم؛ وإنمـــا هم رواة - والفقه في ما رووا آمر آخر - أو ممن غلب عليهم هوى غطى على القلوب، والعياذ بالله)[3].

وقد تأمَّلت حال بعض المنتســـبين إلى الفكر الإسلامي من حيـــث الجملة، ممَّـــن لا تظهر في آرائهـــم وأعمالهم علامات تعظيم النص الشرعي والوقوف عند حدوده والالتزام بهداياته، فوجدت أن من أعظم أســـباب ذلك، ضعـــف ما في القلب من الاستســـلام والخشـــية، وبيان ذلك في قول اللـــه - تعالى -: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤]، وفي قوله - جـــل وعلا -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧]، وفي قوله - سبحانه -: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨].

فأهـــل العلم الربانيـــون يخبتون للنص الشـــرعي إجلالاً واستسلاماً، ويخرون للأذقان سجداً تعظيماً وامتثالاً، ويلتزمون قول الله - تعالـــى -: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ولكي تكتمل الصورة قارن هـــذه الأوصاف الكريمة، بحال أهل الزيغ والضلالة المعرضين عن هدايات القرآن العظيم؛ فقد وصفهم الله - عز وجل- في قوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر: ٤٩ - ٥١]، فســـرعة الخضوع والامتثال عند أهل الحق يقابلها شدة النفور والإعراض عند أهـــل الباطل، وبقدر ما فـــي القلب من هوى وفساد تكون شـــدة النفرة. وفي مثل هؤلاء يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولهذا يوجد في هؤلاء - يعني: العبَّاد الذين عبدوا الله بآرائهم وذوقهم - وأتباعهم من ينفِّرون عن القرآن والشرع كما تنفر الحمر المســـتنفرة التي تفر من الرماة ومن الأســـد؛ ولهذا يوصفون بأنهم إذا قيل لهم: قال المصطفى. نفروا)[4].

وبعـــض هؤلاء تراه يلهث في أعشـــاش الغرب ومســـتنقعاته الآســـنة، فإذا ذُكِر عنده بعـــض رموز الفكر الغربي، وأســـاطين الفلســـفات المادية، احتفى به واستبشـــر برأيه! وأخشى أن يكون صنيع بعض هؤلاء داخل في دلالات قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْـمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِيـنَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥].

ووالله لقد رأينا فئاماً من أهل الأهواء يعرضون عن النصوص الشرعية المحكمة، ويفرون منها بكل صلف وعناد، وقد يتكلفون فـــي تأويلها وتجريدها من مقاصدهـــا، ويزعمون مع ذلك أنهم متبعون للشرع، وما ذلك إلا من العَشَا الذي ضُرب عليهم والعياذ باللـــه. قال الله - تعالى -: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْـرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَـيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٧]، وقال اللـــه - عز وجل - في وصف صنيـــع هؤلاء: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِـيَ مَا قَدَّمَـتْ يَدَاهُ إِنَّـا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُـوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

وقد كنت زماناً طويلاً أعجب أشـــد العجب من قول عمرو بن عبيـــد - وهو من أئمـــة المعتزلة - عندما ذكر حديث الصادق المصـــدوق: «إن أحدكم يُجمَع خلقُه في بطـــن أمه أربعين يوماً نطفة...» الحديث: «لو ســـمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو ســـمعته من زيد بن وهب لما صدقته، ولو ســـمعت ابن مسعود يقـــول هذا لما قبلته، ولو ســـمعت رســـول اللـــه ﷺ يقول هذا لرددته، ولو ســـمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذتَ ميثاقنا»[5]! فلما اســـتمعت وقرأت لبعض المعاصرين ممَّن تطلَق علـــى بعضهم أوصاف الثناء والتبجيل، أدركت أنَّ من لم يطمئن قلبه بكتاب الله - عز وجل - ولم تخالط بشاشة الإيمان نفسه، فإنَّه ســـيُعرِض عن الشرع، بل ســـينفر نفور المستكبرين، وهذا من قلة التوفيق والبركة، نســـأل الله الســـلامة، قال الله - عز وجل -: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢].

(١) المرجع السابق: (١/ ٦٧).
(٢) المرجع السابق: (١/ ٦٩).
(٣) المرجع السابق: (١/ ٧٦).
(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (١٣/ ٢٢٤).
(٥) الذهبي، ميزان الاعتدال: (٣/ ٢٧٨)، وسير أعلام النبلاء: (٦/ ١٠٤).

المملكة العربية السعودية
وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
فرع الوزارة بمنطقة القصيم
المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالصفراء ببريدة

لك ولوالديك ولمن تحب

وقف نصرة النبي ﷺ

بـ (500) ريال تساهم بنصرة نبيك ﷺ

حساب الوقف في مصرف الراجحي

IBAN:SA 7380000 162608010062226

معلومات الوقف :
* قيمة الوقف (2000000) مليونا ريال
* يقع الوقف في مكان رئيسي في مدينة بريدة على شارع تجاري بمساحة 750م
* تم تصميم الوقف على شكل شقق مفروشة ويحتوي على 14 شقة .
* سدد حتى الآن 1100000 والباقي 900000

من مصارف ريع الوقف :
١ - تنظيم المحاضرات والدروس والدورات بعدة لغات .
٢ - دعوة غير المسلمين للإسلام ومتابعتهم وتصحيح المعتقدات الفاسدة
٣ - ترجمة وطباعة الكتب بعدة لغات .
٤ - تنظيم رحلات الحج والعمرة .
٥ - تعليم القرآن الكريم وتوزيع المصاحف بعدة لغات .
٦ - إفطار الصائمين وإطعام الطعام لطلبة العلم والدارسين .
٧ - تفعيل الدفاع عن النبي ﷺ وإحياء محبته في القلوب ونشر سنته .
٨ - إقامة المعرض الدائم لنصرة النبي ﷺ

مصرف الراجحي = الحساب العام (162608010060006 sa 6870000) حساب الزكاة 192608010002226 2580000

للاستفسار : جوال 0545922111 - 0546419881
هاتف : 063830072 فاكس 063821620
ص . ب (877 الرمز 51421 بريدة)

موقعنا على الإنترنت
هذا ديني
www.dean 4Me.com

الإعلان برعاية فاعل خير أثابه الله